

لغة التأليف والترجمة والنشر

# مَحَاوِرُ أَفْلَاطُون

أوطيفرون . الدفاع . أقرطون . فيدون

---

عربها عن الإنجليزية

زكي نجيب محمود

مطبعة سميثsonian في واشنطن

١٩٣٧



لجنة التأليف والترجمة والنشر

# مَحَاوِرُ أَفْلَاطُون

أوطيفرون . الدفاع . أقرطيون . فيرون

---

مربها عن الانجليزية

زكي نجيب محمود

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

مطبعة مجنون تأليف والترجمة والنشر

١٩٣٧



## الهداء

---

إلى الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات .

أهدى هذا الكتاب ، فهو صدى «رسالته»

وثمره دعوته ؟

زكى نجيب محمود



# فهرس

صفحة	
١	مقدمة
٩	مقدمة « أوطيفرون »
١٨	أوطيفرون
٥٥	مقدمة « الدفاع »
٦٧	دفاع سقراط
١١٤	مقدمة « أقریطون »
١٢٠	أقریطون أو واجب المواطن
١٤٧	مقدمة « فيدون »
١٦٤	فيدون أو خلود الروح

---









أفلاطون

## مقدمة

نقل « بنيامين جويت Benjamin Jowett » محاورات أفلاطون إلى اللغة الانجليزية — كما نقلها كثيرون غيره — ولكنه اختص هذه المحاورات الأربع ، التي تقدمها اليوم إلى قراء العربية ، بكتاب مستقل ، لأنها تصور حياة سقراط تصويراً دقيقاً ، وأول ل أفلاطون قد أضاف إليها من فنه ما خلغ على تلك الحياة ثوبا من الكمال ؛ فنحن لا ندرى أهو يسوق في المحاورات الثلاثة الأولى أقوال سقراط بنصها التاريخي ، أم ينسج فيها بخياله صورة تمثل شخصية أستاذه تمثيلاً صحيحاً ، كما يفعل الروائي بأبطاله ، ومهما يكن من أمر ، فلا ريب في أنه وفق وأجاد في ذلك التصوير ، فجاء سقراط كما كان في حياته التي أثبتتها الرواية التاريخية : كثير السؤال ، قليل الجواب ، حاضر البديهة ، لاذع السخرية ، يحاور محدثه ويداوره ، آخذاً بزمامه إلى غاية خلقية قصص إليها ودبر لها الحديث ؛ ولكنك ستلمس في « فيدون » ، وهو رابع المحاورات في هذا الكتاب ، جانباً آخر من الفيلسوف ، ففيه صورة من سقراط في نزعتة المثالية وفلسفته الروحية التي بدأت عنده وبلغت أوجها في تلميذه

أفلاطون ؛ وهانحن أولاء نستعرض في هذه المقدمة أهم ماتحويه هذه المحاورات ، لعلها تعين القارئ على حسن الفهم وجودة الإيساعة والتقدير

ففي « أوطيفرون » — وهو الحوار الأول — يقدم لنا أفلاطون أستاذه سقراط في ثوب المعلم الذي يحاول بما أوتي من قوة الجدل أن يوقظ الناس من سباتهم ، فلا يسهلون تسليماً أعمى بما ورثوه من آراء لم توضع على محك البحث والاختبار ، وهو يحاول ما استطاع أن يثير فيهم حب البحث في معاني الأحكام التي يرسلونها إرسالاً عن إيمان ساذج غدير في مسائل الأخلاق ؛ فتراه يلتبس مع محدثه تعريفاً للتقوى لكي ينتهي بمحاوره إلى العقيدة بضعف الأساس الخلقى الذى يقيم عليه دعاة تعدد الآلهة مذهبهم ، فهو يرى بعد البحث أن الفعل لا يكون صالحاً إلا إذا صادف قبولاً من الآلهة جميعاً ، ومن ثم ينشأ إشكال آخر وهو : هل يكون الفعل صالحاً لأنه يرضى الآلهة ؛ أم أن الآلهة يرضون عنه لأنه صالح ؟ فإذا صح الفرض الأخير كان تعريف التقوى هو أنها جزء من العدالة — ولكن العدل بصفة عامة يتعلق بما نلتزم به نحو الناس من واجبات ، ولا شأن له فيما بيننا وبين الآلهة من صلة ، وهنا يغوص القارئ في بحث تحليلي للوضوح :

فهل تقتضى خدمتنا للآلهة واجبات خاصة غير ما تقوم به من واجب اجتماعي؟ . . . ثم يختتم الحوار بنتيجة تبدو سلبية في ظاهرها ، وهى أن التقوى تنحصر فى فعل ما يرضى الآلهة ، وهو نفس التعريف الذى قرر المتحاوران رفضه بادئ ذى بدء باعتباره ناقصاً لا يبنى بالعرض ؛ ولكن القارئ المدقق لن يخطئ ما انتهى إليه البحث من أن التقوى ليست جزءاً من الأخلاق ، ولكنها مظهرها الدينى فحسب

أما فى « الدفاع » وهو الحوار الثانى الذى ساق لنا أفلاطون فيه دفاعاً ، لسنا ندرى أهو نص صحيح لما نطق به سقراط أمام قضاة ، أم أن أفلاطون قد أنشأ إنشاء ليصور به دفاع سقراط ، أو ما كان يجب أن يقوله سقراط فى دفاعه ؛ ففى هذه المحاورة ترى سقراط يبسط لقضائه طبيعة الرسالة التى كلفته الآلهة بأدائها ، فكانت ما أرسل ليوقظ الأثينيين من رقادهم واستسلامهم للآراء التقليدية الموروثة وليلحمهم على التأمل فى معنى حياتهم والعرض منها ، إذ هم يعيشون فى جهالة يزيد فى ظلامها وخطورتها ما يتوهمونه فى أنفسهم من علم ومعرفة ، لأنهم بسبب هذا الوهم يرون أنفسهم أهلاً لأن يصدروا أحكاماً فى مسائل الأخلاق كلها لم يكذب يصدق سقراط ما قالت به راعية دلفى من أنه أحكم

الناس لأنه يوقن أنه لا يعلم شيئاً ، فانطلق يحاور الناس ويجادلهم ليرى مبلغ ما يعلمون لعله يقيم الدليل على كذب الراعية فيما زعمت له من مكانة ممتازة في الحكمة ، ولم يختر من الناس إلا من عرفت عنهم المقدرة والكفاءة من أعلام الساسة والجند وغيرهم ، فراعه أن يجدهم جاهلين فيما يدعون العلم به ، بل إن الشعراء أنفسهم الذين ينطقون بالقول الجزل والحكمة الرائعة لم يستطيعوا أن يجيبوا بشيء ذى غناء حين استفسرهم سقراط عما يقولون من شعر ، مما دل سقراط على أنهم ينشدون الشعر عن وحى لا عن معرفة ؛ أما أصحاب الحرف فقد ألفاهم يعلمون بعض العلم عما يدور حول حرفهم التي يزاولونها ، فهم يعلمون أغراضهم التي يقصدون إليها ، ويعرفون الوسائل الصحيحة التي تؤدي بهم إلى تلك الأغراض ، غير أنهم حين سئلوا : ما الغرض من حياتهم ، وكيف يحققون هذا الغرض ؟ كانوا أشد من غيرهم جهالة

ويسلم سقراط في حوار الدفاع بأن هنالك غرضاً خلقياً واحداً من أجله ينبغى أن يحيا الناس أجمعون إذا ما عرفوا حقيقة طبيعته ، فكل الناس ينشدون الخير ، وأما المال والشرف والمنزلة الرفيعة بين الناس وما إلى هذه الأشياء فليست تستحب إلا لأنها وسائل للخير ؛ ولقد ألقي سقراط على الحياة نظرة بما

عرف فيه من إدراك سليم مستقيم عملي ، فرأى أنه خير للمرء أن يموت من أن ينزل عن أداء واجبه ، نعم إن الموت بلاء فادح ، ولكن سقراط نظر إليه بعينين صافيتين ، فرأى أنه لا ينبغي أن يخشى جانبه : لأنه إما أن يكون حالة من اللاشعور ، فلا بأس فيه ؛ أو أننا سنحبها بعد الموت في عالم آخر نلتقي فيه بخير الرجال وأعلامهم الذين عاشوا فيما مضى ، وكلتا الحالتين لا تبعثان على الخوف .

وأما الحوار الثالث « أقريطون » فيمثل منظرا آخر من حياة سقراط : فهو في السجن يرقب منيته ، وأقريطون صديقه الحميم إلى جانبه يستحثه لينتهاز الفرصة السانحة للهروب قبل أن ينفذ فيه الحكم بالموت ، ولكن سقراط لا يستجيب لدعوته ويأخذ في تحليل الموقف كما هو شأنه دائماً . . . فإذا كان من المقطوع بصحته أن الغاية التي يجب أن ينشدها كل إنسان ليست هي مجرد الحياة ولكنها « الحياة الطيبة » أعنى أن واجب الإنسان أن يملأ حياته بالأعمال الصحيحة القويمة ، نقول إذا كانت تلك هي الغاية من الحياة ، فما أكل صورة للحياة ؟ يقول سقراط إنه قد تعاقد مع الدولة على ألا يقترب في حياته ما من شأنه أن يضعف سلطانها ، أو يجوز له إذن أن يحنث

بعده ذاك لكي يربح سنوات قليلة من حياة لاغناء فيها ؟ أو يحق له أن يفر من موقفه خشية الموت ؟

لم يرد أفلاطون بهذا الحوار أن ينيء القارئ برفض سقراط للهرب من السجن فرارا من الموت وكفى ، بل قصد كذلك أن يبرئه مما قد يتهم به من أنه مواطن سيئ يؤذى أمته أكثر مما ينفعها ؛ فلقد أعلن سقراط في حوار « الدفاع » أنه سيؤدى رسالته الفلسفية مهما كلفته من عناء ومهما أودى في سبيلها من ذوى السلطة والنفوذ ، إذ هو بأدائه لتلك الرسالة إنما يطيع أمر الله ، وطاعة الله عنده خير من طاعة الإنسان ، ولقد يتبادر إلى ذهن القارئ أن سقراط بذلك إنما يتحدى قانون دولته ويخرج عليه ، فأراد أفلاطون بهذا الحوار أن يصحح هذا الخطأ ، وأن يبين أن ذلك التحدى من سقراط لا يتنافى مع ولائه للدولة وقوانينها ، فها هو ذا يقبل على الموت حتى لا يحنث في عهده للدولة أن يكون خاضعاً لقانونها

أما الحوار الأخير « فيدون » فيسمو بنا إلى عالم جديد تجلت فيه عظمة سقراط حين دنا من الموت ، وتستطيع في هذا الحوار أن تتبع الفلسفة السقراطية في تدرجها حتى بلغت إلى مرتبة المثالية الأفلاطونية في تمامها وكلها



فهذا حوار يدور بين سقراط وأصدقائه الذين التفتوا حوله لينفقوا معه ساعاته الأخيرة ، فدار البحث بين الأستاذ وتلاميذه حول خلود الروح ، ولقد أقام سقراط على ذلك براهين عدة بناها على بقاء الأشياء ومقدرة النفس على إدراك ذلك البقاء ، فما دام العقل في تفكيره لا يقف عند المظاهر الحسية المتغيرة بل ينفذ إلى قوانينها الخالدة الكامنة وراءها ، فلا بد أن تكون طبيعته شبيهة بطبيعة هذه الأشياء ، أى أن له وجودا لا يخضع للتغير ولا للفناء ؛ والأولى أن يعتبر الموت خلاصاً للعقل من ضعف الجسد الذى كان يحول بينه وبين رؤية حقائق العالم المثالى — أى العالم العقلى — فى وضوح وجلاء ، وهنا قدم له تلاميذه اعتراضاً بأن الروح تعتمد فى أداء عملها على حياة الجسم ، فيرد عليهم اعتراضهم ثم ينتقل بعد ذلك إلى المقارنة بين نظرية المُثُل ، وبين المذاهب الطبيعية التى ذهب إليها أسلافه من الفلاسفة والتى لم تحاول أن تبين أن الخير هو الغاية من الـكون ، ثم استطرده فأخذ يبسط النظرية المثالية ، فينتقل من فكرة إلى فكرة أعم منها فأعم ، وهكذا حتى وصل إلى مبدأ شامل سام ، هو مبدأ المعرفة كلها وأصل الوجود ، وأخيرا يختتم سقراط حوارهِ بصورة خيالية للحياة الأخرى بما فيها من ألوان الثواب والعقاب ، معترفا بأنه لا يريد

بتلك الصورة أنها الحقيقة الحرفية لما سيكون ، ولكنها تدل على اتجاه الحقيقة لا أكثر ولا أقل

ليس ما في هذا الحوار من آراء ينتمى إلى سقراط ، فهو أقرب إلى مأساة نثرية سطرها أفلاطون ليصور بها خاتمة سقراط ، ففيها مميزات شخصية سقراط واضحة بارزة ، فترى تحمسه وحرثه الفكرية وهدوءه وتجرده عن الهوى في بحثه عن الحقيقة ، هذا ومن الجائز أن تكون بعض التفاصيل التي وردت في المحاوره عن موته صحيحة ، غير أننا نلاحظ أن العبارة التي ذكرت في النهاية على أنها آخر ما نطق به سقراط — أى حين يطلب إلى أقريطون أن يضحى من أجله ديكا إلى اسكليبوس شكرا على شفائه من مرض الحياة الممض الطويل — نقول إن هذه العبارة لا تدل على عقيدة سقراط ، ولكنها سبقت لتشف عن روح الفكاهة التي صرف بها الفيلسوف .

## مقدمة « أوطيفرون »

هذا حوار يمثل سقراط قبل محاكمته بتهمة الفجور التي اتهمه بها نفر من الأثينيين ، وقد أراد أفلاطون أن يبين للناس مدى جهلهم بحقيقة الفجور الذي رموا به سقراط ؛ فاتخذ حادثة قد تكون وقعت بالفعل في أسرة أوطيفرون موضوعاً لمحاورته ، وبطل الحادث رجل من أهل أثينا ، علا كعبه في شؤون العلم والدين ، ألا وهو « أوطيفرون »

يقدم لنا أفلاطون هذا الرجل وقد التقى بسقراط في دهايز كبير القضاة ، إذ كان لكل منهما عند القاضي مسألة قصد إلى إنجازها ، أما سقراط فقد جاء في شأن قضيته التي اتهم فيها بالإلحاد والتي أقامها عليه « مليتس » ، وأما « أوطيفرون » فجاء مدعياً في قضية قتل أقامها على أبيه ، وتفصيل هذه القضية الأخيرة أن رجلاً فقيراً من أتباع أسرة أوطيفرون قتل عبداً من عبيدها في « ناكسوس » ، فأمر أبو « أوطيفرون » بالقاتل فشد وثاقه وألقى في خندق ريثما يستفتى علماء الدين في أثينا عما ينبغي أن ينزل بهذا المجرم من صنوف العقاب ، ولكن النية لم تمهل الجاني

حتى يعود الرسول من أثينا يحمل الفتوى ، فقضى نحبه لما أصابه من جوع وبرد ، فلم يتردد « أوطيفرون » في أن يتهم أباه بجريمة القتل

لم يكد سقراط يصنى إلى رواية الرجل في اتهام أبيه حتى أتقن أنه لا بد عالم أدق العلم بطبيعة الخير والشر والتقوى والفجور ، وإلا لما اجتراً أن يقدم على هذا الاتهام الخطير ، وما دام سقراط نفسه على وشك أن يتقدم إلى المحاكمة مُتهماً بالفجور ، فخير ما يصنعه أن يلتقى عن « أوطيفرون » العلم بحقيقة التقوى والفجور لعله يفيد به شيئاً أثناء محاكمته ، ويكفيه أن يحتاج للقضاة برأى هذا الرجل ، ولن يسع القضاة إلا التسليم والقبول ... فما التقوى إذن ؟ أتى سقراط هذا السؤال فأجابه أوطيفرون أن التقوى هي أن يصنع كما صنع هو ، أعنى أن يتهم أباه — إن كان مخطئاً — بجريمة القتل ، وهو إن فعل ذلك فإنما يقتنى أثر الآلهة أنفسهم ، فذلك ما صنعه « زيوس » لـ « كرونوس » وما صنعه « كرونوس » لـ « أورانوس »

فلم يكد سقراط يسمع هذه القصة عن الآلهة حتى أعان مقتته هذه الأساطير ، وأخذ يستوثق من أوطيفرون صدقها ، فيجيب هذا بأنها حق صريح ، ويبدى استعداده أن يقص على

سقراط مزبداً منها ، ولكن سقراط يرده في رفق ويعود به إلى سؤاله الأول عن التقوى ، ما هي ؛ فأما أن يجيبه بأنها فعل ما فعله هو من اتهام المرء لأنفسه إن كان أبوه ذا خطيئة ، فإنه بذلك لا يزيد على أن يسوق مثلاً من أمثلة التقوى ، إذ لا يمكن أن يكون هذا القول تعريفاً جامعاً لها

هنا يجيب أوطيفرون بأن « التقوى هي ما هو عزيز لدى الآلهة ، والفجور ما ليس بعزيز لديهم » ، ولكن سقراط لا يطمئن إلى هذا الجواب ؛ أفلا يجوز أن يختلف الآلهة في الرأي كما يختلف الناس سواء بسواء ؟ إن ذلك جائز ولا ريب ، وبخاصة فيما يتعلق بالخير والشر ، إذ لا يقوم الخير والشر على قاعدة ثابتة . ولعل هذا الضرب من أوجه الاختلاف هو الذي يثير الخصومة والقتال ، وإذن فالفعل الذي يكون عزيزاً لدى إله قد لا يكون عزيزاً لدى غيره من الآلهة ، فيكون الفعل الواحد على هذا الحساب تقياً وفاجراً في وقت واحد ، خذ مثلاً لذلك اتهام أوطيفرون لأنفسه ، فقد يصادف هذا الفعل رضى في نفس « زيوس » (لأن زيوس أقدم على نفس الفعل نحو أبيه) ولكنه قد يغضب « كرونوس » أو « أورانوس » (لأنهما لقيما من ولديهما مثل هذا العقوق) هنا يجيب أوطيفرون أن الآلهة والناس أجمعين لا يختلفون

في وجوب عقاب القاتل ، فيوافق سقراط على ذلك ، ولكنه يشترط لهذا الإجماع على إنزال العقوبة بالقاتل أن يثبت أنه قاتل حقا ، وألا يقوم الاتهام على مجرد الظن ، فهل إذا نظرنا إلى قضية أوطيفرون على أيهه وتقصينا بالنظر كل ما يحيط بها من ظروف ، نستطيع أن نقيم الدليل على أن الوالد قد اقترف جريمة القتل ، حتى نقطع بأن الآلهة مجمعة على عقابه راضية عن فعلة أوطيفرون ؟ ويستطرد سقراط فيقترح تعديلاً في تعريف التقوى والفجور بحيث تكون صيغته : « إن ما تجمع الآلهة على حبه فهو تقى ، وما تجمع على كراهيته فهو فاجر » فيوافقه أوطيفرون على هذا التعديل

عندئذ يأخذ سقراط في تحليل الصيغة الجديدة ، فيقول إن في بعض الحالات يسبق الفعلُ الحالةَ ، أعنى مثلاً أن الفعل الذى يتم لك به أن تكون محملاً أو محبوباً يسبق حالة كونك محملاً أو محبوباً ، وبناء على ذلك يكون العزيز لدى الآلهة عزيزاً لأنهم أحبه أولاً ، والعكس غير صحيح ، أى أنهم لم يحبه لأنه عزيز لديهم ، أما الفعل التقي فيعجه الآلهة بسبب تقواه ، وهذا مساوٍ لقولك إنهم يحبونه لأنه عزيز لديهم ، وهنا يبدو لنا شيء من التناقض غير واضح ، إذ تبين لنا منذ برهة

قصيرة أن الفعل يسبق الحالة ، فيكون الشيء محبوباً أولاً وعزيزاً ثانياً ، ولكن هذا التعريف الجديد معناه كما رأينا أن الشيء يكون عزيزاً لدى الآلهة أولاً ومحبوباً من أجل ذلك . . . وهنا يحس أوطيفرون أنه قد تورط فيما لا قبل له به ويعترف لسقراط أن ما قدمه من أقوال وشروح مضطرب لا يثبت ولا يستقر ، بل إنه ليحس أن سبيل البرهان قد التوى عليه ، وأن براهينه تفلت من يده وتدور في دائرة كما تفعل أشباح « ديدالس » التي تُروى عنها الأساطير ، ولا عجب أن يثير سقراط في أقوال محاوره هذا الاضطراب وهذا الدوران ، إذ هو خالف تحدر من سلالة « ديدالس » فيظهر أنه قد ورث عن جده الأكبر هذا الفن

ولكن سقراط لا يأبه لهذا الضجر من صاحبه ويلقى السؤال في صورة أخرى فيقول : « هل كل تقى عادل ؟ » فيجيب أوطيفرون أن نعم ، فيتبع ذلك بسؤال ثان : « وهل كل عادل تقى ؟ » فيجيب محاوره بالنفي ، فيأتى سقراط سؤالا ثالثاً : « إذن فأى أجزاء العدل تكون التقوى ؟ » فيجيب أوطيفرون بأن التقوى هي جانب العدل الذي نخدم به الآلهة ، كما أن للعدل جانباً آخر نخدم به الناس ، ولكن ماذا نريد « بخدمة » الآلهة ؟ إننا إذا أطلقنا لفظة « الخدمة » فيما نقدمه من العناية إلى

الكلاب والحياد والناس ، إنما نريد أننا ننفع هؤلاء بما نؤديه لهم من « خدمات » ، فإذا كانت أفعال التقوى عبارة عن « خدمة » للآلهة ، فهل نريد بذلك أننا ننفع الآلهة بخدمتنا إياهم ؟ . . فيوضح أوطيفرون بما أشكل من الأمر على سقراط بأنه يريد بشعائر التقوى تلك الأفعال التي تؤديها في عبادتنا للآلهة ، فيستأنف سقراط اعتراضه بأن « الخدمات » التي يؤديها الزارع والطبيب والبناء لها غرض ترمى إليه ، فأى غرض نقصد بخدمتنا للآلهة ، وماذا تجدى عليهم خدماتنا ؟ فيعتذر أوطيفرون بأن الوقت قصير ، ولا يستطيع أن يجيب على مثل هذه الأسئلة بغير تدبر وتفكير ، ولكنه على كل حال يمكنه أن يقول في يقين إن التقوى هي أن نعلم كيف نرضى الآلهة بالقول والعمل ، أعنى بالصلاة وتقديم القرابين ، فيفسر له سقراط هذا القول بأن التقوى إذن هي « علم الأخذ والعطاء » ، فنطلب من الآلهة ما نريده ، ونرد إليهم في مقابلة ما يريدون ، أعنى أنها بعبارة موجزة لون من التبادل التجارى بين الآلهة والناس ، ولكنه تبادل مُجَحِّف بالآلهة لأنهم يعطوننا كل خير ، أما نحن فإذا تقدمه لهم من الخير في مقابل عطائهم ؟ فيعترض عليه أوطيفرون بأننا إذا لم نعط الآلهة خيراً ، فحسبنا أننا نتخلق إزاءهم بأخلاق الشرف ، فيقول سقراط



جواباً على ذلك : إذن فنحن لا نعطيهم شيئاً ينفعهم ، ولكننا نفعل ما يسرهم ، وما يكون عزيزاً لديهم ، وذلك ما أقننا البرهان على فساده فيما سبق

وهكذا لا يبرح سقراط ملحاً في سؤاله رغم ما يحاوله محاوره من المراوغة والهروب ، لأنه لا يشك في أن أوطيفرون لا بد عالم بحقيقة التقوى ، وإلا لما حدثته نفسه قط أن يتهم أباه وهو الشيخ المسن ، فهو إذن يرجو أوطيفرون ويلج في رجائه ألا يخل عليه بعلمه الغزير وأن يتفضل بتعليمه حقيقة التقوى ، فيعتذر أوطيفرون أن وقته قصير لا يسمح له بإطالة الوقوف ، فيخيب أمل سقراط في أن يعرف من هذا العالم شيئاً قد ينفعه فيما هو مقبل عليه من الحكمة

\*\*\*

لا ريب في أن أفلاطون قد قصد بهذا الحوار أن يقارن معنى التقوى والفجور كما يفهما عامة الناس بمعناها على حقيقته وكما يجب أن يفهم ؛ ولكننا نرى سقراط يفند الرأي الشائع عن التقوى والفجور دون أن يعقب على ذلك بتعريف لهما كما يراهما ، فهو يمهّد الطريق ليفنر من محدثه بجواب عن سؤاله الذي ألقاه في أول الحوار ، ثم يرفض أن يدلي آخر الأمر برأيه في الموضوع كما هو منهجه في المحاوراة

ومما ينبغي ملاحظته أن أوطيفرون رجل من رجال الدين كان له ما للسفسطائيين من الغرور الكاذب والاعتداد بالنفس ، فلم يداخله الشك أول الأمر في أنه على حق حين تقدم إلى القضاة باتهام أبيه ، في حين أنه كغيره من السفسطائيين يعجز أن يصوغ تعريفاً جامعاً لما يظن أنه على أتم العلم به ، بل يعجز عن أن يتابع إقامة البرهان على سلامة ما يقول ، ولقد أفلح أفلاطون في تصوير شخصيته تصويراً يمثل كل أفراد طائفته بما عرف عنهم من خطأ الرأي وضيق الفكر والثقة الكاذبة بالنفس

وإنه لجدير بنا أيضاً أن نشير إلى ما في هذا الحوار من موازنة رائعة بين العقيدة الدينية الجامدة حين تتمسك باللفظ فيضيق أفقها ، وتصدر عن الجهل والغرور ، والعقيدة الدينية السامية المستنيرة التي حاول سقراط عبثاً أن يستخرجها من محاوره ... « التقوى هي فعل ما أنا فاعل » ذلك هو معنى الدين كما يفهمه الرجل الساذج الذي لا يتسع صدره لما قد يكون لدى غيره من الناس ، أو لدى أم غير أمته ، من صنوف العبادة

ولقد أراد أفلاطون في جملة ما أراد بهذا الحوار أن يجيب عن هذا السؤال : « لماذا حكم على سقراط بالموت ؟ » فأنطق

سقراط بأن استنكاره للأساطير الخرافية قد يكون سبباً أثار عليه الخصوم ، كما أجرى على لسانه سبباً آخر حين قال : « إن الأثينيين لا يحفلون بالرجل إذا ظننت فيه الحكمة ، أما إذا أخذ يبيث في الناس حكمته فإنهم عندئذ ينتحلون سبباً لفضيحتهم عليه » . ولعل هذه العبارة صادقة في كل قوم وفي كل بلد ، فالناس متساحون مادمت تقصر علمك على نفسك ، أما إذا علمتهم إياه وكان مخالفاً لما درجوا عليه من علم فإنهم لا يدخرون وسعاً في المقاومة والمعارضة

\*\*\*

ويرمى أفلاطون بهذه المحاور القصيرة إلى أعراض ثلاثة :

- (١) فهو أولاً يتناول فكرة التقوى بالدراسة
- (٢) وثانياً يقابل بين الديانة الصحيحة والديانة الزائفة
- (٣) وثالثاً يدافع عن سقراط في تهمة ، لأنه إذا لم تكن التقوى والفجور واضحى المعالم والحدود ، فكيف نرمي سقراط بهذا الاتهام ؟

وهذا الحوار مثل قوى لأسلوب أفلاطون ، فترى فيه عمق النظر والمقدرة العظيمة في تصوير الأشخاص ، كما نلمس في كل سطره تهكماً لا ذعاً بارعاً

## أوطيفرون

أشخاص الحوار : سقراط أوطيفرون  
المنظر : دهليز كبير القضاة

أوطيفرون : فيم تر كك اللوقيون ( Lyceum ) <sup>(١)</sup> ياسقراط ؟  
وماذا تصنع في دهليز كبير القضاة ؟ يقيناً إنك لم تجبى\* مثلى في  
شأن قضية أمام القاضي

سقراط : لست بصدد قضية يا أوطيفرون ! إنما هو اتهام  
كما يسميه الأثينيون

أوطيفرون : ماذا ؟ أحسب أن أحداً قد رماك باتهام ،  
لأننى لا أصدق أن تقف أنت من غيرك موقف المتهم  
سقراط : كلا ولا ريب

أوطيفرون : إذن فقد آخذك امرؤ باتهام ؟

سقراط : نعم

(١) Lyceum اسم ملعب وحديقة تحفرهما المائى المعروشة بالقرب  
من معبد « أبولو » فى أثينا ، وفى ذلك المكان كان أرسطو يعلم تلاميذه  
وهم مشاة إلى جانبه ، ومن هنا سميت مدرسته الفلسفية بمدرسة المشائين ،  
ولقد استخدم هذا الاسم فى كثير من اللغات الحديثة بمعنى معهد



سقراط



أوطيفرون : ومن هو ذا ؟

سقراط : شاب نكرة يا أوطيفرون ، لا أكاد أعرفه ،  
اسمه مليتس وهو من أهل مدينة بتيثيس ( Pitthis ) ، ولعلك  
ذاكر صورته : فله منقار ، وشعر طويل مستقيم ، ولحية شعناء  
أوطيفرون : كلا ، لست أذكره يا سقراط . ولكن بأية  
تهمة رماك ؟

سقراط : بأية تهمة ؟ إنه اتهم خطير يدل على أنه ذو خلق  
عظيم ، ولا ينبغي بلا ريب أن يزدرى من أجله . فهو يقول إنه  
يَعْلَم كيف يَفْسُدُ الشباب ، ومن هم المفسدون .

ويخيل إلي أنه لا بد أن يكون رجلاً حكماً ، فلما رآني  
نقيض الرجل الحكيم أشار عني ، وهو معتزم أن يتهمني بإفساد  
أصدقائه من الشباب . وستكون الدولة — وهي أمنا — حكا في  
هذا . إنه الوحيد بين ساستنا الذي أراه قد بدأ بدءاً صحيحاً في  
غرس الفضيلة في الشباب . فهو كالزارع القدير ، يعني بالنبات  
الصغير أول ما يعني ، فيباعد بيننا وبينه ، لأننا متلفوه ، وما تلك  
إلا خطوة أولى إذا ما اتمها توجه بعنايته إلى النضج المكتملة ،  
ولو استمر كما بدأ لأصبح للشعب مصاحباً جدياً عظيماً

أوطيفرون : أرجو له أن يستطيع ، ولكنني كم أخشى

يا سقراط أن يكون العكس هو الصحيح ، فرأى أنه بمهاجمته إياك إنما يصبوب ضربة إلى الدولة في أساسها . ولكن كيف تفسد الشباب في زعمه ؟

سقراط : إنه يوجه إلى اتهاماً عجيباً يثير الدهشة فور سماعه ، فهو يقول إني شاعر أو مبتدع للآلهة ، فأخترت آلهة جديدة وأنكر وجود الآلهة القديمة ، هذا هو أساس دعواه

أوطيفرون : أفهم ما تقول يا سقراط ، فهو يريد أن يتهمك بالعلامة المعهودة التي تأتيك من حين إلى حين كما تقول . وسيقدمك إلى المحكمة لأنه يظن أنك ذو بدعة في الدين ، ولعله يعلم ما أعلمه علم اليقين من أن مثل هذه التهمة سهلة القبول لدى الناس ، فأنا حين أتحدث في الجاعة عن أشياء مقدسة وأتنبأ لهم بالمستقبل يهزأون مني ويظنون أنني مجنون ، ومع ذلك فمكل كلمة مما أقول حق ، ولكنهم يفارون منا جميعاً ، فيجب علينا أن نستبسل ونهاجمهم

سقراط هم ليس ضحكهم يا عزيزي أوطيفرون بذى خطر ، فقد يقال عن رجل إنه حكيم ، ولكن الأثينيين فيما أحسب لا يكفون أنفسهم عناء بشأنه إلا إذا أخذ يث في الناس حكمته ، عندئذ يأخذهم الغضب لسبب ما ، وقد يكون لغيره فيهم ، كما تقول أنت



أوطيفرون : لا ينتظر أن أختبر خلقهم على هذا النحو  
سقراط : أظن أنك لن تفعل ، لأنك متحفظ في  
سلوكك ، ويندر أن تبث حكمتك . أما أنا فقد تعودت محسناً  
أن أفرغ ما بنفسى لكل إنسان . بل إني لأود أن أوجر المستمع ،  
وإني لأخشى أن يظن الأثينيون أني كثير الثروة ، فلو حدث ،  
كما سبق لي القول ، أن اكتفوا بسخريتهم مني ، كما زعمت  
أنهم فعلوا معك ، إذن لأنفقنا الوقت في المحكمة في مراح شديد .  
ولكن قد يأخذهم الجد ، وعندئذ لا يستطيع أن ينبئ بالخاتمة  
إلا أتم معشر المنجمين

أوطيفرون : أظن يا سقراط أن الأمر سينتهي بلا شيء ،  
وأنك راجح قضيتك كما أظنني كاسباً لقضيتي

سقراط : وما قضيتك يا أوطيفرون ، أنت المتهم أم المتهم ؟  
أوطيفرون : أنا المتهم

سقراط : ومن تهم ؟

أوطيفرون : ستظنني مجنوناً حين أنبئك

سقراط : لماذا ؟ ألهارب أجنحة<sup>(١)</sup> ؟

أوطيفرون : لا ! إنه لا يمتاز بحضور البديهة في سنه هذه

(١) يريد هل التهم حاضر البديهة ماهر في التخلص

سقراط : ومن هو ذا ؟

أوطيفرون : إنه أبى

سقراط : أبوك يا رفيق العزيز ؟!

أوطيفرون : نعم

سقراط : وبماذا اتهمته ؟

أوطيفرون : بالقتل يا سقراط

سقراط : يا للآلهة يا أوطيفرون ! ما أقل ما يعلم غمار

الناس عن الحق والصواب ، إنه لا بد للإنسان أن يكون ممتازاً

وأن يكون قد خطا فى الحكمة خطوات فسيحة ، حتى يستطيع

أن يتلمس سبيله إلى مثل هذه الدعوى

أوطيفرون : حقاً يا سقراط ، لا بد أن يكون كذلك

سقراط : أحسب أن الرجل الذى قتله أبوك كان أحد

أقربائك ، لا شبهة فى هذا ، لأنه لو كان غريباً لما فكرت قط

فى اتهامه

أوطيفرون : يدهشنى يا سقراط أن أراك تفرق بين القريب

والغريب ، إذ لا شك أن جرمك هو هو فى كلتا الحالتين ، إذا

أنت ظاهرت القاتل عن عمد ، حيث ينبغى عليك أن تبرئ

نفسك وتبرئه بإقامة الدعوى عليه ؛ فالسؤال الصحيح هو هل

قتل القتل عدلاً ؟ فإن كان قد قتل عدلاً ، فواجبك أن تدع الأمر جانباً ، أما إذا كان ظلماً فلا بد أن تشكو القاتل ، حتى لو كان يساكنك تحت سقف واحد ، ويطعم معك على مائدة واحدة ، وقتيلنا هذا كان رجلاً فقيراً يعتمد على معوتى ، وكان يشتغل فلاحاً فى حقنا فى ناكسوس ( Naxos ) <sup>(١)</sup> ، وذات يوم أخذته نشوة الخمر فاعترك مع خادم بالمنزل وقتله ، فكبله أبى يداً وقدماً وقذف به فى خندق ، ثم أرسل إلى أئتنا ليستفتى كاهناً عما يجب أن يفعل به ، وكان فى ذلك الحين لا يأبه له ولا يعنى به لأنه اعتبره قاتلاً ، وظن أن لن يقع ضرر جسيم حتى ولو أصابه الموت ، وذلك بعينه ما حدث ، فقد أثر فيه البرد والجوع والأغلال التى تكبله تأثيراً أدى إلى موته قبل عودة الرسول من لدن الكاهن ، وأبى وأسرتى غاضبان منى لنيايتى عن القاتل فى اتهام أبى زاعمين أنه لم يقتله ، وأنه حتى لو فعل ذلك فما الميت إلا قاتل ، وما ينبغى لى أن أبه له ، لأن ابناً يتهم أباه فهو فاجر ، ذلك يدل يا سقراط على مبلغ علمهم الضئيل برأى الآلهة فى التقوى والفجور

(١) Naxos جزيرة فى بحر إيجه تعرف بمخصب تربتها ووفرة محصولها ، وبخاصة فى الكروم وما يستخرج منها من نبيذ ، ولهذا جعلت مركزاً لعبادة إله الخمر « باكوس Bacchus »

سقراط : يا الله يا أوطيفرون ! وهل بلغ علمك بالدين وبالتقوى  
وبالفجور مبلغ الدقة العظيمة بحيث لو سلمنا أن الظروف كانت  
كما تروى ، فلا تخشى أنك أنت كذلك قد ترتكب شيئاً  
من الفجور في إقامة الدعوى على أيبك ؟

أوطيفرون : إن أفضل ما في أوطيفرون ، وهو ما يميزه  
ياسقراط من سائر الناس ، هو دقة علمه بمثل هذه المسائل جميعاً ،  
وهل تراني أصلح لشيء لو سلبتني ذلك العلم ؟

سقراط : أيها الصديق النادر ! أحسب أن خير ما أصنعه  
أن أكون تلميذاً لك ، وإذن فسأتحدى مليتس قبل أن تحين  
الحكمة معه ، وسأقول له : إنني ما فتئت عظيم الشغف بالمسائل  
الدينية ، فما دام يتهمني بطيش الخيال والإبداع في الدين ،  
فقد أصبحت تلميذاً لك . إنك يا مليتس — هكذا سأسوق إليه  
القول — تعترف بأن أوطيفرون لاهوتي عظيم ، وبأنه شديد  
الرأى ، فإذا اعترفت به وجب أن تعترف بي ، وألا تدعوني  
للمحكمة ، أما إذا أنكرته فقد وجب عليك أن تبدأ باتهامه لأنه  
معلمي ، ولأنه سيكون فساداً ، لا للشبان ، بل للشيوخ ، أعني  
فساداً لي لأنه يعلمني ، وفساداً لأبيه إذ ينذره ويعاقبه . فإذا  
أبي مليتس أن يصغى إلي ، ومضى في سبيله دون أن ينقل

الدعوى منى إليك ، فخير ما أصنعه أن أكرر هذا التحدى فى  
الحكمة

أوطيفرون : نعم ولا ريب يا سقراط ؛ فإذا ما حاول أن  
يتهمنى ، فأنا المخطئ ، إن لم أجد له مفعلاً فتوجه إليه الحكمة  
من القول أكثر جداً مما توجهه إلى

سقراط : ولما كنت يا صديق العزيز أعلم عنك هذا ،  
فأنا راغب فى أن أكون تلميذاً لك ، إذ يلوح لى أنك لست  
ملحوظاً من أحد ، فلم يلحظك حتى مليتس هذا ، ولكن  
عينيه الحادثين قد استكشفتانى على الفور فاتهمنى بالفجور ، وعلى  
ذلك فأنا أتوسل إليك أن تنبئنى حقيقة التقوى والفجور التى  
قلت إنك تعلمها جيد العلم ، كما تنبئنى بطبيعة القتل وسائر ضروب  
الاعتداء على الآلهة ، ما هى ؟ أليست التقوى فى كل فعل هى  
هى دائماً ؟ وكذلك الفجور ، أليس دائماً نقيض التقوى ؟ ثم  
أليس هو هو دائماً ، فله تعريف واحد يشمل كل ما هو فاجر ؟  
أوطيفرون : كن على يقين من ذلك يا سقراط

سقراط : وما التقوى وما الفجور ؟

أوطيفرون : التقوى هى أن تفعل كما أنا فاعل ، أعنى أن  
تقيم الدعوى على كل من يقترب جريمة القتل أو الزندقة أو ما إلى

ذلك من الجرائم ، سواء أكان أباك أم أمك أم كائنًا من كان ،  
فذلك لا يبدل من الأمر شيئًا ، وأما الفجور فهو ألا تقيم على  
هؤلاء الدعوى ؛ وأرجو أن ترى يا سقراط الدليل الساطع الذى  
أقيمه لك على صدق ما أقول ، وهو دليل سقته بالفعل إلى سائر  
الناس ، برهانًا على مبدأ أن الفاجر لا ينبغي أن ينجو من العقاب  
كائنًا من يكون . ألا ترى إلى الناس كيف يعدون « زيوس »  
أفضل الآلهة وأقدمهم مع اعترافهم بأنه كبل سلفه « كرونوس  
Cronos » لأنه مزق أبناءه تمزيقًا مروعًا ، بل إنهم ليقرون أنه  
أنزل العقاب بأبيه نفسه « أورانوس Uranus » لسبب شبيه بهذا  
عقابًا يفوق الوصف ، ثم يفضيئون منى إذا أنا أقت الدعوى على  
أبى ، وهكذا ترى الناس يتناقضون فى موقفهم إزاء الآلهة وإزائى  
سقراط : ألا يجوز يا أوطيفرون أن أكون قد رميت  
بالفجور لأنى أمت هذه الأفاضيل التى تروى عن الآلهة ؟  
وإذن فأحسب أن الناس قد أخطأوا فهمى ، ولكن ما دمت  
أنت تسلم بها وأنت الخبير بها ، فخير ما أصنعه هو أن أستسلم  
لحكمتك العليا . ماذا أقول غير هذا ، وأنا معترف بأننى لا أعلم  
عنها شيئًا ؟ نشدتك حب « زيوس » إلا أنبأتنى هل تعتقد حقًا  
فى صدقها ؟

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، بل وهناك من الأشياء ما هو أشد عجباً والناس عنها غافلون

سقراط : وهل تعتقد حقاً أن الآلهة كان يحارب بعضها بعضاً ، وأن قد نشبت بينها معارك ومواقع حامية ، كما يقول الشعراء ، وما تستطيع أن تراه مبسوطاً في تأليف الأعلام من رجال الفن ؟ إن المعابد ملأى بها ، وإنك لترى بمخاصة ثوب Athene — الذي يقدم إلى الأكروبوليس عند Panathenaea<sup>(١)</sup> العظيمة موثى بها . أكل هذه القصص عن الآلهة حق يا أوطيفرون ؟

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، وأعود فأقول إننى أستطيع أن أنبئك بأشياء كثيرة أخرى عن الآلهة تثير منك أبلغ الدهشة إذا أنت أصغيت إليها

سقراط : أود هذا ، ولكن أحب أن تنبئنيها في ساعة

---

(١) Panathenaea أقدم الأعياد الأثينية وأهمها وقد كان في باديء الأمر احتفالاً دينياً يقام لإجلال الآلهة « أثينا » حامية مدينة أثينا . فلما وحد ثيسوس Theseus البلاد كلها تحت حكومة واحدة جعل الاحتفال بالهة مدينة أثينا عيداً عاماً للدولة كلها ، وغير الاسم القديم « أثيني » فجعله « بان أثيني »

يلاحظ أن المقطع الأول « Pan » معناه وحدة أو جامعة

أخرى من فراغى ، أما الآن فأوثر أن أسمع منك جواباً دقيقاً  
لم تعطنيه حتى الآن يا صديقى عن سؤالى : ما التقوى ؟ إذ أنك  
لم تجب حين سألتك إلا بقولك : إنها فعل ما أنت فاعل ، أى  
اتهم أهلك بالقتل

أوطيفرون : وما قتلته لك يا سقراط حق

سقراط : لست أشك فى ذلك يا أوطيفرون ، ولكنى  
أحسبك مسلماً بأن هنالك فى التقوى أفعالاً كثيرة أخرى  
أوطيفرون : نعم هنالك

سقراط : تذكر أنى لم أطلب إليك أن تضرب لى للتقوى  
مثلين أو ثلاثة ، بل أن تشرح الفكرة العامة التى من أجلها  
تكون الأشياء التقية كلها تقية . ألا تذكر أن ثمت فكرة واحدة  
من أجلها كان الفاجر فاجراً والتقى تقياً ؟  
أوطيفرون : أذكر ذلك

سقراط : أنبئنى ما حقيقة هذه الفكرة ، حتى يكون لدى  
معيار أنظر إليه ، وأقيس به الأفعال ، سواء فى ذلك أفعالك  
أم أفعال سواك ، وحينئذ أستطيع أن أقول إن هذا العمل المعين  
تقى وإن ذلك فاجر

أوطيفرون : سأنبئك إن أردت



سقراط : لشد ما أريد

أوطيفرون : إذن فالتقوى هي ما هو عزيز لدى الآلهة ،  
والفجور هو ما ليس بعزيز لديهم

سقراط : جد جميل يا أوطيفرون ، لقد أدليت لي الآن  
بالجواب الذي أردت ، لكنني لا أستطيع حتى الآن أن أقرر إن  
كان ما تقوله حقاً أم لا ، ولو أنني لا أشك في أنك ستقيم الدليل  
على صدق عبارتك

أوطيفرون : بالطبع

سقراط : إذن ففعال معي نختبر ما نقول ، إن هذا الشيء  
أو هذا الشخص عزيز لدى الآلهة فهو تقي ، وذلك الشيء أو ذاك  
الشخص ممقوت من الآلهة فهو فاجر . فكأن التقوى والفجور  
طرفان يناقض كل واحد منهما الآخر ، ألم نقل هذا ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : ألم نحسن التعبير عنه ؟

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، إنني أعتقد ذلك ، لقد قلنا ذلك  
من غير شك

سقراط : وماذا يحدث لو اختلفت الآلهة في الرأي ، هذا فضلاً  
عما سلمنا به يا أوطيفرون من أن للآلهة ما يعادونه وما يمتقونه ،

ومن أن بينهم شيئاً من أوجه الخلاف  
أوطيفرون : نعم لقد قلنا ذلك أيضاً

سقراط : وأى ضرب من الخلاف يولد العداوة والغضب ؟  
افرض مثلاً يا صديقى العزيز أنك اختلفت وإياى على عدد ، هل  
هذا النوع من الخلاف يعادى بيننا ويفرق أحدنا عن الآخر ؟  
ألسنا نلجأ من فورنا إلى الحساب ونفض ما بيننا من خلاف  
بعملية حسابية ؟

أوطيفرون : هذا حق

سقراط : أو هبنا اختلفنا على أطوال ، ألسنا نسارع إلى  
القياس لنفض الخلاف ؟

أوطيفرون : جد صحيح

سقراط : كما نمحو ما بيننا من تضاد حول الثقيل والخفيف  
بأن نلجأ إلى آلة وازنة ؟

أوطيفرون : لا ريب فى هذا

سقراط : ولكن أى أنواع الخلاف لا يمكن تسويتها على  
هذا النحو ، وأيها إذن يشير فينا الغضب ويقفنا موقف العداوة  
أحدنا من الآخر ؟ أظن أن الجواب لا يحضرك الآن ، وعلى ذلك  
فأنا أبسط رأيى بأن هذه العداوة إنما تنشأ حينما يكون موضوع

الخلاف هو العادل والظالم ، والخير والشرير ، والشريف والوضيع ،  
أليست هذه نقط الخلاف بين الناس والتي نشتجر بسببها ، إذ  
نشتجر أنا وأنت وكلنا جميعاً ، حينما نعجز عن تسوية أوجه  
الخلاف تسوية مرضية ؟

• أوطيفرون : نعم ياسقراط ، إن أوجه الخلاف التي نشتجر  
حولها هي في حقيقتها كما تصف

سقراط : أى أوطيفرون النبيل ! أوليس التشاجر بين الآلهة  
حينما وقع هو شئ كهذا في طبيعته ؟  
أوطيفرون : لا شك في أنه كذلك

سقراط : إن بينهم خلافاً في الرأي كما تقول عن الخير  
والشرير والعادل والجائر والشريف والوضيع ، فلم يكن بينهم  
هذا الخلاف لما كان بينهم اشتجار ، أليس كذلك ؟  
أوطيفرون : إنك جد مصيب

سقراط : ألا ترى أن كل إنسان يحب ما يراه نبيلاً  
وعادلاً وخيراً ، ويمقت نقيض هؤلاء ؟  
أوطيفرون : جد صحيح

سقراط : ولكن الناس كما تقول يرون أشياء بعينها ،  
فيعدها بعضهم عادلة ، ويعدها بعضهم جائرة ، وهم يتنازعون

حولها ، فتنشأ لهذا بينهم الحروب والمعارك

أوطيفرون : جد صحيح

سقراط : إذن فأشياء بعينها يكرهها الآلهة ويحبها الآلهة

وهى ممقوتة منهم وعزيزة لديهم فى وقت معاً ؟

أوطيفرون : صحيح

سقراط : وعلى هذا الأساس تكون أشياء بعينها

يا أوطيفرون تقية وفاجرة معاً ؟

أوطيفرون : أظن ذلك

سقراط : إذن فيدهشنى يا صديقى العزيز أن أراك

لا تجيب السؤال الذى سألتكه ، فلا ريب أنى لم أطلب إليك

أن تذكر لى الفعل الذى يكون تقياً وفاجراً معاً ، ولكن ها قد

بدا لى أن الآلهة يحبون ما يكرهون ، وعلى ذلك يا أوطيفرون فقد

يرجح أن تكون فى عقابك لأبيك فاعلا ما يرضى « زيوس » ،

وما يغضب « كرونوس » أو « أورانوس » وما يقبله « هفستوس

Hephaestus » <sup>(١)</sup> وما يرفضه « هرى here » ، وقد يكون

هنالك من الآلهة الآخرين من يكون بينهم خلاف فى الرأى

شبيه بهذا

أوطيفرون : ولكنى أعتقد يا سقراط أن الآلهة جميعاً  
سيتفقون على وجوب عقاب القاتل ، فلن يكون ثمة من خلاف  
فى رأى حول هذا .

سقراط : حسناً ، فلنتحدث عن البشر يا أوطيفرون . فهل  
سمعت قط أحداً يقيم الحجة على أنه ينبغى أن يطلق سراح القاتل  
أو فاعل الشر أياً كان ؟

أوطيفرون : إبنى لأقرر أن هذه هى المشاكل التى لا ينفك  
الناس يجادلون فيها ، ولا سيما فى ساحات القانون . إنهم يقررون  
كل ضروب الجرائم ، ثم لا يحجمون عن قول أو فعل دفاعاً  
عن أنفسهم

سقراط : ولكن هل يعترفون بجرمهم يا أوطيفرون ، ثم  
يزعمون ألا ينبغى أن ينزل بهم عقاب ؟  
أوطيفرون : لا ، إنهم لا يفعلون

سقراط : إذن فهناك من الأشياء ما لا يستطيعون لها  
قولاً ولا فعلاً ، لأنهم لا يجروون أن يقيموا الدليل على وجوب  
إفلات المذنبين من العقاب ، بل يعمدون إلى إنكار جرمهم .  
أليس كذلك ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : إذن فهم لا يزعمون أن فاعل الشر لا يجوز أن يعاقب ، ولكنهم يجادلون في من هو فاعل الشر ، وما ذا فعل ومتى !

أوطيفرون : صحيح

سقراط : وهذا نفسه هو موقف الآلهة إن كانوا كما تقول أنت يختلفون في العادل والجائر . وإن كان بعضهم يثبت أن الظلم قد يحدث بينهم بينما ينكر ذلك آخرون . فلا ريب في أن الله والإنسان كليهما لا يجروا قط أن يقولوا إن مرتكب الظلم لا ينبغي أن يعاقب

أوطيفرون : هذا حق في أساسه يا سقراط

سقراط : ولكنهم يختلفون في التفاصيل ، سواء في ذلك الآلهة والناس . فإذا كان ثمة بينهم من نزاع فإنما يتنازعون على فعل معين يكون موضوع البحث ، فيقرر بعضهم أنه عادل ويثبت الآخرون أنه جائر . أليس ذلك صحيحا ؟

أوطيفرون : إنه جد صحيح

سقراط : إذن فأبنتني — أي عزيزي أوطيفرون —  
فذلك أقوم لتعليمي وإرشادي ، أي برهان تقيم على أن بين آراء الآلهة كلهم إجماعا على أن خادما جريمته القتل فكبله

بالأغلال سيد القتل ، فمات بفعل الأغلال قبل أن يعلم مكبله من رسل الله ماذا ينبغي أن يفعل به ، يكون قد مات ظلماً ؟ وأى برهان تقيم على أن ابنا ينبغي أن يقيم على أيسه الدعوى نيابة عن مثل ذلك الخادم ، متهما إياه بالقتل ؟ كيف تبرهن على أن الآلهة جميعا تتفق اتفاقاً تاماً على قبول فعله ؟ أقم على الدليل على أنهم يفعلون ذلك أمدح لك فعلتك ما حييت

أوطيفرون : إنه عمل مضمّن ، ولكنى أستطيع أن أوضح لك الأمر وضوحاً تاماً

سقراط : أفهم ما تقول ، فأنت تريد أنى لست سريع الفهم كالقضاة : إذ حتم عليك أن تبرهن لهم على أن الفعل جائر ومكره من الآلهة

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، لا شك فى هذا ، ولا سيما إن أنصتوا لما أقول

سقراط : إنهم لابد منصبتون إن رأوا أنك متكلم قدير . لقد اختلجت فى نفسى فكرة إذ كنت تتحدث ؛ قلت لنفسى ماذا عسى أن أفيد إن أقام لى أوطيفرون الدليل على أن الآلهة جميعاً يعدون موت العبد ظلماً ؟ كيف يزيدنى ذلك علماً عن حقيقة التقوى والفجور ؟ إذ لو سلمنا أن هذا الفعل قد يكون

مكروها من الآلهة ، فليس هذا التحديد تعريفاً دقيقاً للتقوى والفجور ، فلقد رأينا أن ما تكرهه الآلهة هو في نفس الوقت سار لهم ومميز لديهم ، وعلى ذلك فلا أطلب اليك يا أوطيفرون أن تقيم على هذا دليلاً ، وسأفرض — إن أردت — أن الآلهة جميعاً تنكر مثل هذا الفعل وتمقته ، ولكنني سأعدل التعريف بحيث يكون أن ما يُجمع الآلهة على كرهه فهو فاجر ، وأن ما يحبونه تقي مقدس . وأن ما يحبه بعضهم ويكرهه بعضهم الآخر فهو تقي وفاجر معاً ، أو لا هو هذا ولا ذاك ، فهل توافق على هذا التعريف للتقوى والفجور ؟

أوطيفرون : لم لا أوافق يا سقراط ؟

سقراط : لم لا توافق ا يقيني يا أوطيفرون أن ليس ثمت ما يبرر — فيما أعلم — ألا يكون التعريف هكذا . أما هل يفيدك قبول هذا التعريف فائدة عظيمة في تعليمي الذي وعدتني به ، فذلك أمر موكل لك النظر فيه

أوطيفرون : نعم ، ينبغي أن أقول إن ما تجميع الآلهة على حبه تقي مقدس ، وإن نقيضه الذي يجمعون على كرهه فاجر سقراط : هل يجب علينا أن نبحث في صحة هذا يا أوطيفرون أم نسلم بالعبارة تسليماً ، متخذين من أنفسنا ومن سوانا حجة نعتمد عليها ؟ ماذا ترى ؟



أوطيفرون : يجب أن نبحثها ، وأعتقد أن العبارة ستصمد  
لتجربة البحث

سقراط : أى صديق العزيز ! لن تمضى برهة قصيرة ، حتى  
نزداد علما ، غير أنى أود أن أعلم قبل كل شيء إذا كان التقى  
أو المقدس محبباً لدى الآلهة لأنه مقدس ، أم أنه مقدس لأنه  
محبب لديهم

أوطيفرون : لا أفهم ما تريد يا سقراط

سقراط : سأحاول الشرح : إننا نفرق في حديثنا بين  
أن تحصيل وأن تحصل ، وبين أن تقود وأن تقاد ، وبين أن ترى  
وأن تُرى وإنك لتعلم أن تمت اختلافاً في هذه الحالات جميعا ،  
كما تعلم كذلك مواضع هذا الخلاف ؟

أوطيفرون : أحسبني أفهم ما تقول

سقراط : ثم أليس المحبوب متميزاً من المحب  
أوطيفرون : يقينا

سقراط : هذا جميل ، إذن فحدثني أياكون الشيء المحمول  
في حالة الحمل لأنه محمول أم لسبب آخر ؟  
أوطيفرون : كلا ، بل لهذا السبب

سقراط : وهل هذا صحيح بالنسبة لما يُقاد وما يُرى ؟

أوطيفرون : خقا

سقراط : ولا يكون الشيء مرئياً لأن في الإمكان رؤيته ، بل على العكس هو ممكن الرؤية لأنه مرئى ، كما لا يكون الشيء منقاداً لأنه في حالة الانقياد ، أو محولاً لأنه في حالة الحل ، بل العكس هو الصحيح . أظن يا أوطيفرون أن ما أقصده أصبح يسير الفهم . وإنما أقصد أن أية حالة من حالات الفعل أو العاطفة تتضمن فعلاً أو عاطفة سابقة لها ، فالشيء لا يتحول لأنه متحول ولكنه في حالة التحول لأنه يتحول ، كما أن الشيء لا يتألم لأنه في حالة الألم ، ولكنه في حالة الألم لأنه يتألم . ألا توافق ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : ألا يكون الشيء المحبوب في حالة ما من حالات التحول أو الألم ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : وما مر بنا في الأمثلة السابقة صحيح هنا ، فحالة كون الشيء محبوباً يتبع فعل كونه محبوباً ، ولكن لا يتبع الفعل الحالة

أوطيفرون : يقيناً

سقراط : وماذا تقول عن التقوى يا أوطيفرون ؟ أليست

التقوى بناء على تعريفك محبوبة لدى الآلهة جميعاً ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : لأنها تقية أو مقدسة أم لسبب آخر ؟

أوطيفرون : لا ، بل لهذا السبب

سقراط : إنها محبوبة لأنها مقدسة وليست مقدسة لأنها

محبوبة ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : وما هو عزيز لدى الآلهة يكون محبوباً لديهم ،

وهو في هذه الحالة من حب الآلهة له لأنه محبوب لديهم ؟

أوطيفرون : يقينا

سقراط : إذن فما هو عزيز لدى الآلهة ، أى أوطيفرون ،

ليس مقدساً ، ولا ما هو مقدس محبوب لدى الله ، كما تقرر أنت ،

ولكنهما شيئان مختلفان

أوطيفرون : ماذا تريد يا سقراط ؟

سقراط : أريد أنناقـدـمـلـمـنـأـنـ المقدس محبوب لدى الله

لأنه مقدس ، وليس هو مقدساً لأنه محبوب

أوطيفرون : نعم

سقراط : أما ما هو عزيز لدى الآلهة فهو عزيز لأنه

محبوب ، وليس هو محبوبا لأنه عزيز  
أوطيفرون : حقا

سقراط : ولكن يا صديقي أوطيفرون ، إذا كان ما هو  
مقدس نفسَ ما هو عزيز لدى الله ، وكان محبوبا لأنه مقدس ،  
لكان ما هو عزيز لدى الله محبوبا لأنه عزيز لدى الله . أما إذا  
كان ما هو عزيز لدى الله عزيزاً لأنه محبوب لديه ، لكان  
ما هو مقدس مقدساً لأنه محبوب لديه ، ولكنك ترى أن الأمر  
على عكس ذلك ، وأنهما مختلفان أشد الخلاف أحدهما عن  
الآخر ، فأولهما من نوع يُحِبُّ لأنه محبوب ، وأما الثاني فمحبوب  
لأنه من نوع يُحِبُّ ، وهكذا يلوح لي يا أوطيفرون ، حين  
أسألك عن جوهر القداسة ، أنك تجيبني بالعرض فقط لا بالجوهر ،  
أعني عَرَض كونها محبوبة لدى الآلهة جميعا ، ثم إنك لتأبى  
مع ذلك أن تشرح لي حقيقة القداسة ، ولهذا أتوسل إليك  
أن تتفضل عليّ ، فلا تحفِ كنزك عني ، وأن تنبئني مرة أخرى  
ما حقيقة القداسة أو التقوى ؟ هل هي عزيمة لدى الآلهة أم لا  
( فذلك أمر لن نشتجر فيه ) ثم ما الفجور ؟

أوطيفرون : حقا يا سقراط لست أدري كيف أعبر عما أريد ،  
إذ يلوح أن براهيننا تدور ثم تغلت منا ، على نحو لا أدريه ،  
أيا كان الأساس الذي نقيمها عليه

سقراط : ألا إن ألفاظك يا أوطيفرون لشبيهة بنسج سافى  
ديدالوس « Daedalus » <sup>(١)</sup> ، ولو كنتُ أنا قائلها أو موحيا لها لجاز  
لك أن تقول إن براهينى تفر ولا تستقر حيث وضعت لأننى من  
سلالة ديدالوس ، أما والآراء آراؤك أنت فينبغى أن تلتبس  
سخرية أخرى ، فأراؤك بغير شك مضطربة كما اعترفت بنفسك  
أوطيفرون : لا يا سقراط ، فما أزال أزعم ، أنك أنت  
ديدالوس الذى يحدث فى البراهين الاضطراب ، فلست أنا ،  
ولا ريب ، الذى يقلقها ، ولكنك أنت الذى تضطرها أن  
تتحرك أو تدور . ولو كان أمرها بيدي وحدى لما أصابها  
اضطراب قط

سقراط : إذن فلا بد أن أكون أعظم من ديدالوس ،  
إذ بينما هو لم يستطع أن يحرك إلا ما صنعت يده ، ترانى  
أحرك صنائع سواى : ولكن الجبيل فى الأمر هو أننى لا أود  
أن أفعل ذلك ، بل إنى لأستغنى عن حكمة ديدالوس وثروة

---

(١) Daedalus تقول الأساطير اليونانية إنه مثال قديم ، وقد نسبت  
إليه آثار فى العمارة كثيرة ، تروى الأساطير أنه لما غضب عليه أحد الآلهة  
صنع لنفسه ولابنه أجنحة وطارا إلى صقلية . وكان اليونان القدماء ينسبون  
إليه كل بناء أو تمثال لم يسرف له صانع . والحقيقة أن اسم « ديدالوس »  
رمز فقط يرمز به إلى مرحلة من مراحل الفن عند اليونان حيث كان الخشب  
هو المادة الأساسية فى فن النحت

تانتالوس (Tantalus) <sup>(١)</sup> إن أتيح لي أن أمسكها (أى الصنائع) وأقوى دعائهما . ولكن دع هذا فسأحاول بنفسى أن أدلك كيف تعلمنى حقيقة التقوى ، لأنى أراك كسولا . وأرجو ألا تنذر من العمل . حدثنى إذن — هل العدل والتقوى شيء واحد أم التقوى جزء من العدل ؟ أليس ما هو تقي عادلا بالضرورة ؟

أوطيفرون : نعم  
سقراط : ثم أليس كل ما هو عادل تقياً ؟ أو أليس ما هو تقي عادلاً كله ، أما ما هو عادل فتقى بعضه فقط لا كله ؟  
أوطيفرون : لست أفهمك يا سقراط

سقراط : ومع ذلك فأنا أعلم أنك أحكم منى بقدر ما أنت أصغر منى ، ولكنى أعود فأقول ، أى صديق المحترم ، إن غزارة حكمتك ولدت فيك الكسل . أرجو أن تبجهد نفسك ،

---

(١) Tantalus هو فى الأساطير اليونانية ابن زيوس ، فكان يحضر اجتماعات الآلهة ، غير أنه أذاع بين الناس بعض الأسرار الإلهية ، كما يروى عنه لأنه قتل ابنه وقدمه طعاماً للآلهة ليختبر ما لهم من قوة الملاحظة . من أجل هذا وغيره من التهم ، قضى عليه الآلهة أن يقف فى الماء حتى العنق وأن تتدلى فوق رأسه عناقيد الفاكهة ، فإذا أراد أن يجرع من الماء الذى حوله أفلت منه الماء ، وإذا أراد أن يطعم من الفاكهة التى فوق رأسه بعدت عنه ولم تمكنه من أخذها

فالحق أن ليس فهم قولى عسيراً ، وأستطيع أن أشرح لك ما أريد بِمَثَلٍ مما لا أريد ، فقد أنشد الشاعر «ستاسينوس»<sup>(١)</sup>  
( Stasinus ) قائلاً :

إنك لن تروى شيئاً عن زيوس ، مبدع  
هذه الأشياء كلها وخالقها ، إذ حيث  
يكون الخوف يكون التقديس إلى جانبه  
أما أنا فلست أوافق هذا الشاعر . أأنبئك فى أى شيء  
أخالفه ؟

أوطيفرون : نعم  
سقراط : لست أرى أنه حيث يكون الخوف يكون  
إلى جانبه التقديس ، لأننى على يقين أن كثيراً من الناس يخشى  
الفقر والمرض وسائر هذه الشرور ، ولكنى لا أراهم يقدسون  
ما يخشون

أوطيفرون : جد صحيح  
سقراط : ولكن حيث يكون التقديس يكون الخوف

---

(١) Stasinus شاعر قديم يقال إنه كتب ملحمة فى أحد عشر  
فصلاً ، والمفروض أن ملحمة تلك ( واسمها Cypira ) كانت أسبق من  
إلياذة هومر

لأن من يحس شعور التقديس والعار من ارتكاب فعل ما ،  
يخاف ويخشى سوء الأحداث  
أوطيفرون : لا شك

سقراط : إذن فنحن مخطئون في قولنا إنه حيث يكون  
الخوف يكون التقديس أيضاً . ويجب أن نقول إنه حيث يكون  
التقديس يوجد الخوف كذلك . ولكنك لا ترى التقديس  
دائماً حيث ترى الخوف ، لأن الخوف فكرة أوسع والتقديس  
جزء من الخوف ، كما أن الفردى جزء من العدد والعدد فكرة  
أوسع من الفردى . أظن أنك تدرك الآن ما أقول ؟  
أوطيفرون : أدركه تمام الإدراك

سقراط : ذلك هو نوع السؤال الذى أردت أن أثيره  
حين سألتك هل العادل نقي دائماً ، أم النقي دائماً عادل . وهل  
من الجائز ألا تكون عدالة حيث لا تكون التقوى ، لأن العدالة  
فكرة أوسع ، وليست التقوى إلا جزءاً منها . أنت مخالفنى  
فى هذا ؟

أوطيفرون : لا ، أظن أنك على حق تام  
سقراط : إذن ، فإذا كانت التقوى جزءاً من العدالة ،  
فأحسب أن واجبنا أن نبحث أى جزء هو ؟ إذا أنت تابعت



البحث في الأحوال السالفة ، فسألتني مثلاً ما العدد الزوجي ،  
وأى جزء من العدد ترى يكون الزوجي ، لما ألفت عسراً  
في الجواب بأنه العدد الذى يمثل رقماً له جانبان متساويان .  
ألست توافق ؟

أوطيفرون : نعم إنى موافقك تماماً

سقراط : وطى مثل هذا النحو ، أريد أن تنبئنى أى  
جزء من العدالة ترى تكون التقوى أو القداسة ؛ لكى أستطيع  
أن أطلب إلى مليتس ألا يأخذنى بالظلم أو يتهمنى بالفجور  
ما دمت الآن قد تزودت منك بعلم صحيح عن طبيعة التقوى  
أو القداسة ونقيضها !

أوطيفرون . يلوح لى أن التقوى أو القداسة يا سقراط  
هى ذلك الجزء من العدالة الذى نخدم به الله ، وأما الجزء الآخر  
من العدالة فنخدم به صالح الناس

سقراط : هذا حسن يا أوطيفرون ، ولكن لا تزال عندي  
مسألة يسيرة أريد أن أستزيد بها علماً . ما معنى « الخدمة » ؟  
إذ من العسير أن تطلق لفظ الخدمة ، حين تتحدث عن الآلهة ،  
بنفس المعنى الذى تطلقه به حين تتحدث عن سائر الأشياء . فيقال  
مثلاً إن الجياد بحاجة إلى الخدمة ، وليس كل إنسان قادراً أن

يخدمها ، إنما يستطيع ذلك الشخص الماهر في سياسة الجياد  
دون غيره — أليس كذلك ؟

أوطيفرون : يقيناً

سقراط : وأنا أظن أن فن سياسة الجياد هو فن خدمتها ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : كذلك ليس كل إنسان قادراً على خدمة الكلاب ،

إنما الكفء لذلك هو الصائد وحده ؟

أوطيفرون : صحيح

سقراط : وأرى أيضاً أن فن الصائد هو فن خدمة الكلاب ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : كما أن فن راعي الأبقار هو فن خدمتها ؟

أوطيفرون : جد صحيح

سقراط : وهل على هذا النحو نفسه تكون القداسة

أو التقوى هي فن خدمة الآلهة ؟ — أذلك ما قصدت إليه

يا أوطيفرون ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : وهلا يُقصد دائماً بالخدمة أن تكون لخير أولنفع

للمخدوم ؟ فكما رأيت في حالة الجياد أنها حين وجهت إليها

خدمة السائس ، أفادت وتحسنت ، أليس كذلك ؟

أوطيفرون : صحيح

سقراط : كما تستفيد الكلاب من فن الصائد ، والثيران من فن راعيها ، وسائر الأشياء جميعاً تتجه أو تُوجَّه لخيرها لا لأذاها ؟

أوطيفرون : يقيناً إنها لن تتجه لأذاها

سقراط : ولكن لخيرها ؟

أوطيفرون : بالطبع

سقراط : وهل التقوى أو القداسة ، التي صرفناها بأنها فن خدمة الآلهة ، تنفعها أو تقوِّمها ؟ هل تزعم أنك حين تؤدي شعيرة تصلح شأن واحد من الآلهة ؟

أوطيفرون : لا ، لا . يقيناً لم يكن ذلك ما قصدت إليه

سقراط : وأنا يا أوطيفرون لم أفرض قط أنك قصدت إلى ذلك ، لقد وجهت إليك سؤالاً عن طبيعة الخدمة لأننى كنت أظن أنك لم تقصد إلى مثل هذا

أوطيفرون : لقد أنصفتنى يا سقراط ، ليس هذا هو نوع

الخدمة التى أريد

سقراط : جميل ولكن ينبغى لى أن أعود فأسألك ما تلك

الخدمة للآلهة التى تسمى بالتقوى ؟

أوطيفرون : إنه يا سقراط ذلك النوع من الخدمة الذى يؤديه الخدَمَةُ لسادتهم

سقراط : أفهمُ ما تريد . نوع من الخِدْمَةِ للآلهة

أوطيفرون : هو كذلك

سقراط : والطب أيضاً ضرب من الخدمة التى يقصد

منها الوصول إلى غرض معين — إلى الصحة — أليس كذلك ؟

أوطيفرون : نعم

سقراط : كذلك هنالك فن يخدم صانع السفن يقصد به

الوصول إلى نتيجة معينة

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، يُقصد به بناء السفينة

سقراط : كما أن هنالك فنا يخدم البناء ، وهو يرمى إلى

تشديد الدور

أوطيفرون : نعم

سقراط . والآن حدثنى يا صديقى العزيز عن الفن الذى

يخدم الآلهة ، أى غرض يعمل ذلك الفن على أدائه ؛ فلا ريب

فى أنك بذلك عليم ، إذا كنت بين الأحياء من الرجال أكثرهم

علماً بالدين كما تقول

أوطيفرون : وإنما أقول الحق يا سقراط

سقراط : حدثني إذن ، نعم حدثني ما هو العمل الجميل الذي تؤديه الآلهة بفضل خدماتنا لهم ؟

أوطيفرون : إنهم يعملون يا سقراط أعمالاً كثيرة وجميلة  
سقراط : وكذلك القائد يا صديقي . فإنه يعمل أعمالاً  
كثيرة وجميلة ، ولكن من اليسير أن نذكر أهم أعمال القائد ،  
ألمست ترى أن النصر في الحرب هو أهم أعماله ؟  
أوطيفرون : يقيناً

سقراط : وكذلك أعمال الزارع كثيرة وجميلة ، إذ ألم أكن  
مخطئاً ، ولكن عمله الرئيسى هو إنتاج الطعام من الأرض  
أوطيفرون : هو كذلك

سقراط : ومن الأشياء الكثيرة الجميلة التى يؤديها الآلهة ،  
أيها الرئيسى الهام ؟

أوطيفرون : لقد أنبأتك فيما سلف يا سقراط أن الإحاطة  
بكل هذه الأشياء على وجه الدقة جد مضنية ، ولأقل لك  
فى بساطة إن التقوى أو القداسة هى أن تعلم كيف تسرُّ  
الآلهة فى القول والعمل بالصلاة والضحايا ، وفى مثل هذه  
التقوى خلاص الأسرات والدول ، كما أن دمارها وخرابها هما

في العمل الفاجر الذي يغضب الآلهة

سقراط : أظنك كنت تستطيع أن تجيب في عبارة أوجز  
بكثير من هذه — لو أردت — عن السؤال الرئيسي الذي  
وجهته إليك يا أوطيفرون ، ولكني أرى في وضوح أنك  
لا تريد أن تعلمني ، فذلك جلي ، وإلا فلماذا درت بالحديث  
إذ بلغنا بيت القصيد ، فلو أنك أجبتني إذن لعلمت بحق طبيعة  
التقوى ، ولما كنت باعتباري سائلا معتمداً بالضرورة على  
الجيب فلا بد أن أتبعه إلى حيث يقودني . فلا يسعني إلا أن  
أعيد السؤال : ما التقى وما التقوى ؟ أتريد أن تقول إنهما  
ضرب من علم الصلاة والتضحية ؟

أوطيفرون : نعم إنى أريد ذلك

سقراط : والتضحية هي قربان للآلهة ، والصلاة

طلب منهم

أوطيفرون : نعم يا سقراط

سقراط : وعلى هذا الأساس إذن تكون التقوى هي علم

الأخذ والعطاء ؟

أوطيفرون : إنك تفهمنى الآن يا سقراط فهماً جيداً

سقراط : نعم يا صديقي ، وعلة ذلك أننى تلميذ متحمس

لعلك ، فأنا ألقى بالى إليه ، وعلى ذلك فلن يفلت منى شيء مما تقول . تفضل إذن فنبتنى ما طبيعة هذه الخدمة للآلهة ؟  
أهى فى رأيك تقدُّمنا إليهم بالرجاء وتقديمنا لهم العطايا ؟  
أوطيفرون : نعم هذا ما أعنى

سقراط : أليست الوسيلة الصحيحة لرجائهم هى أن نطلب منهم ما نريد  
أوطيفرون : يقيناً

سقراط : والوسيلة الصحيحة للعطاء هى أن نعطيهم فى المقابل ما يريدونه منا ، فلا خير فى فن يعطى لأى أحد ما لا يريد  
أوطيفرون : جـد صحيح يا سقراط

سقراط : إذن فالتقوى يا أوطيفرون هى فن لدى الآلهة والناس ، يتصلون به فريق بفريق ؟

أوطيفرون : نستطيع أن نستخدم هذا التعبير — إن أردت  
سقراط : ولكنى لست حريصاً على حب شيء غير الحق ، ومع ذلك فأحب أن تدلنى أى نفع تجنيه الآلهة من عطايانا ؟  
فليس من شك فى نفع ما يعطوننا إياه ، إذ ليس ثمت من خير لا يهبوننا إياه . أما كيف نستطيع نحن أن نعطي لهم خيراً فى مقابل ما أعطونا فأبعد ما يكون عن هذه الدرجة من الوضوح .

فإذا كانوا يعطوننا كل شيء ولا نعطيهم شيئاً فتلك مبادلة لنا فيها الصفقة من دونهم

أوطيفرون : وهل يخيل إليك يا سقراط أن الآلهة تجنى من عطايانا نفعاً ما ؟

سقراط : فإن كانوا لا يجنون شيئاً يا أوطيفرون ، فأى معنى لما نقدم لهم من العطايا ؟

أوطيفرون : ليس ذلك إلا جزية الشرف وهو كما أسلفت لك القول يسرُّ الآلهة

سقراط : التقوى إذن تسر الآلهة ، ولسكنها ليست بنافعة لهم أو عزيزة لديهم ؟

أوطيفرون : إنى أرى أنه ليس ثمت ما هو أعز لدى الآلهة منها

سقراط : وإذن فأنت تعيد القول مرة أخرى بأن التقوى عزيزة لدى الآلهة ؟

أوطيفرون : يقيناً

سقراط : أو تعجب وأنت تقول هذا إذ ترى عبارتك لا تثبت بل تعتمد على الهروب ؟ أتتهمنى بأنى «ديدالوس» الذى يؤدى بها إلى الهروب ، ولا تدرك أن ثمت فناً آخر أعظم جداً



في فنه من ديدالوس ؟ فهو يجعلها تدور في دائرة ، وذلك الفنان هو أنت . لأن البحث كما ترى يدور إلى حيث بدأ . ألم تقل إن المقدس أو التقى ليس هو بنفسه ما تحبه الآلهة ؟ أنسيت ؟  
أوطيفرون : أذكر جيداً

سقراط : ثم ألا تقول الآن أن ما تحبه الآلهة مقدس ؟  
ثم أليس ذلك نفسه ما هو عزيز لديهم ؟ هل ترى ؟  
أوطيفرون : صحيح

سقراط : إذا قد أخطأنا فيما قررناه سالفاً ؛ وإلا فإن  
كنا قد أصبنا فنحن مخطئون الآن  
أوطيفرون : أحد الاثنين صحيح بغير شك

سقراط : فإذا فلنبداً من جديد وتساءل : ما التقوى ؟  
ذلك بحث لن أمل قط من متابعته ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .  
وأتوسل إليك ألا تهزأ مني بل أن تشحذ ذهنك وتنبثني بالحقيقة  
لأنه إن كان بين الناس من يعلم فهو أنت ؛ وعلى ذلك فلا بد  
أن أحجزك مثل « بروتئوس Proteus <sup>(١)</sup> » حتى تخبرني ؛

---

(١) « Proteus » تروى الأساطير اليونانية أنه رجل كهل كان يعيش في البحر ، وقد اشتهر بقدرته على التنبؤ . ويقول « هومر » إنه كان يعيش في جزيرة « فاروس Pharos » بالقرب من مصب النيل  
كان اليونان يعتقدون أنه يعلم كل أحداث الماضي وكل ما يقع في =

فلمست أشك أنك لو لم تكن تعلم علم اليقين طبيعة التقوى والفجور  
لما اتهمت قط أباك الشيخ نيابة عن العبد بتهمة القتل . إنك  
لو لم تكن تعلم ذلك لما استهدفت لمثل هذا الخطر ؛ أغنى ارتكاب  
الخطأ على مرأى من الآلهة ولا حترمت آراء الناس احتراماً عظيماً .  
لذلك فأنا على يقين أنك عليم بطبيعة التقوى والفجور . أبدي  
علمك إذن يا صديقي أوطيفرون ولا تخفه  
أوطيفرون : في وقت آخر يا سقراط ، لأننى عجлан ولا بد  
أن أذهب الآن

سقراط : وا أسفاه يارفيقي . وهل تُخَلِّفُنِي في يأس ؟ لقد  
كنت أومل أنك ستعلمنى طبيعة التقوى والفجور ؛ وعندئذ  
أستطيع أن أبرئ نفسى من ملبس ومن دعواه . كنت سأقول  
له : إننى استنرت بأوطيفرون ونبذت بدعى وتأملاتى الطائشة  
التي انغمست فيها بسبب الجهل ؛ وإننى أوشك الآن أن أحيا  
حياة أفضل

---

== الحاضر وما تجبته الأيام في المستقبل ، غير أنه لم يكن يرضى أن يبوَح  
بهمى مما يعرف . فاذا أراد أحد أن يستفسره شيئاً ، دأبه في منتصف  
النهار في كهفه الذى كان يقضى به عادة ساعة القيلولة ، ثم ربطه وأوتق  
قيوده حتى لا يفلت منه قبل أن يصرح له بما جاء يستفسر عنه

## مقدمة «الدفاع»

لسنا نستطيع أن نقطع برأى فى مقدار صحة هذا الدفاع صحة تاريخية ، فلا ندرى أأراد أفلاطون أن يسجل فيه أقوال سقراط فى دفاعه عن نفسه أمام قضائه ؛ أم أراد أن يكتب ما كان يجب أن يقوله سقراط فى ذلك الدفاع ، أعنى بعبارة أخرى أنه أراد أن يدافع عن سقراط أمام الأجيال المقبلة ؟ ولكن أرجح الظن أن يكون أفلاطون قد صور سقراط ، وعنى بإخراج الصورة كاملة من حيث الفن ، دون أن يلتزم النقل الحرفى لما قاله سقراط ، والحق أنه استطاع أن يصور سقراط فى دقة بالغة وجمال رائع ، حتى ليحس القارىء شخصية سقراط فى كل جزء من أجزاء الحوار ، فهذا التحدى للقضاة سقراطى بغير شك ، وهذا الأسلوب المفكك هو أسلوب سقراط الذى كان يستخدمه فى نقاشه مع الآثينيين فى الطرقات والأسواق ، وهذه السخرية المرة وذلك الجأش الرابط والخلق القوى المتين والاستخفاف بالموت ، كلها نواح سقراطية وفق أفلاطون فى إخراجها وتصويرها أكمل ما يكون توفيق الفنان البارع . ولقد تعمد أفلاطون أن

يسرد كثيراً من الحقائق التاريخية في حياة سقراط . وأجراها في الحديث مجرى المصادفة كأنها جاءت عفواً وبغير تدبير سابق ليسجل على صفحة الدهر تاريخ أستاذه إلى جانب صورة شخصيته

ومع ذلك فقد يكون سقراط تحدث فعلاً بما رواه أفلاطون في هذا « الدفاع » بل قد يكون استخدم كثيراً من العبارات التي أوردها أفلاطون بنصها ، ولكننا رغم ذلك ينبغي أن نذكر أن أفلاطون قد أعمل فيها قلمه وفنه قبل كل شيء ، لأنه لم يكن مؤرخاً حريفاً للحقائق ، فلم يرد قط أن يكون حوار « الدفاع » سجلاً يردد فيه عبارة سقراط بنصها ، ولكنها إنشاء محض وتأليف خالص شأنها في ذلك شأن كل محاوراته ، ولكننا نعود فنقول إن ذلك لا يمنع أن تكون بعض عبارات سقراط قد رسمت في ذهن أفلاطون — وقد كان أفلاطون يشهد المحاكمة — فرددها دون قصد منه ، ومن يدري ؟ فلعل دفاع سقراط عن نفسه كان أمثناً وأروع من هذا الدفاع الأفلاطوني ، وإذن فنحن نريد بذلك أن نخلص إلى نتيجة ، وهي أن محاولة « الدفاع » تصوير صادق لشخصية سقراط ، ولكننا لا نستطيع أن نقطع في الرأي بأن هذه العبارة أو تلك قد نطق بها سقراط كما هي ، أو أن هذه

الحادثة أو تلك قد وقعت فعلا بغير تحوير أو تحريف

وينقسم « الدفاع » إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الاتهام وانكار التهمة

الثاني : خطاب قصير يطلب فيه تخفيف العقوبة

الثالث : عتاب وتقريع .

ويبدأ الجزء الأول بطلب المذرة من القضاة عن أسلوبه العامى الذى لا زخرف فيه ولا طلاء ، إذ كان دائما عدوا للبلاغة ولا يعرف بلاغة غير الحق ، وإذن فلن يستر شخصيته بشيء من الزيف والخداع بما ينمق من عبارة الخطاب ... ثم يبدأ الدفاع فيقسم متهميه طائفتين : أولاهما متهم لا اسم له — أعنى رأى العام ، فقد سمع الناس جميعاً خلال السنوات الأخيرة أنه يفسد الشباب بتعاليمه ، كما شهدوا كيف مثله أرستوفان فى رواية « السحاب » تمثيلاً شائناً . وأما الطائفة الثانية من المتهمين فرجال نابهون أرادوا باتهامهم إياه أن يعبروا عما يختلج فى صدور سائر الناس ... وأما التهم التى وجهها الفريقان فيمكن تلخيصها فيما يلى :

يقول الفريق الأول : « إن سقراط فاعل للشر ، وهو رجل طُلعةٌ يبحث فيما تحت الأرض وما فوق السماء ، ويلبس الباطل

ثوب الحق ، ثم هو يعلم هذا كله للناس » . وأما الفريق الثانى  
 فيقول : « إن سقراط فاعل للشر ويفسد الشباب ، وهو لا يعترف  
 بالآلهة التى اعترفت بها الدولة ، ويستبدل بها معبودات جديدة »  
 ويظهر أن هذه العبارة الأخيرة كانت نص الدعوة التى توجه  
 بها المتهمون إلى القضاة

ويبدأ سقراط فى الإجابة عن هذه التهم بتوضيح بعض  
 الجوانب الغامضة ، فقد فرض الشعراء الهازلون وظن غمار الشعب  
 أنه يذهب فى رأى مذهب الفلاسفة الطبيعيين والسفسطائيين  
 ولكن ذلك خطأ كله ؛ فهو مع احترامه لكلتا الطائفتين احتراماً  
 أعلنه صراحة أمام المحكمة (مع أنه فى سائر المحاورات يسخر  
 منهما) إلا أنه ليس واحداً من هؤلاء ولا أولئك ؛ فهو من ناحية  
 لا يدري شيئاً عن الفلسفة الطبيعية ، لا احتقاراً لأبحاثها ، ولكن  
 الواقع أنه يجهلها فبدهى أنه لم يقل كلمة فيها ، ومن ناحية أخرى  
 لم يكن من السفسطائيين لأنه لم يؤجر على تعليمه ، وذلك لأنه  
 فى الحقيقة لم يعلم شيئاً حتى يعلمه ؛ وهنا يمتدح أحد السفسطائيين  
 (إفينوس Evenus) لأنه يُعلِّم الفضيلة بأجر معقول فلا يتقاضى  
 أكثر من خمسة دراهم ؛ وفى ذلك ترى سخريه سقراط التى  
 لم ينسها حتى وهو فى موقف المحاكمة وأمام جمع غفير من السوق

ويستطرد سقراط في شرح السبب الذي دعا الناس أن يقذفوه بهذه التهمة المردولة ، فيقول إن علة ذلك هي رسالته التي أخذ على نفسه أن يؤديها على أكل وجوه الأداء . فلقد ذهب « شريفون » إلى دلفي وسأل الراعية إن كان بين الناس من هو أحكم من سقراط فكان جوابها أن ليس فيهم من ترجح حكمته على حكمة هذا الرجل ، فليت شعري ماذا تريد الراعية بقولها : كيف تعلن الراعية أن الرجل الذي لا يدري شيئاً والذي يدري تمام الدراية أنه لا يدري شيئاً هو أحكم الناس ؟ فكر سقراط فيما يمكن أن يعنيه جواب الراعية فصمم أن يقيم البرهان على خطئه بأن يلتمس في الناس من هو أحكم منه فيبطل بذلك قول الراعية بطلاناً حاسماً ، فقصد أول ما قصد إلى الساسة ثم إلى الشعراء ثم إلى أرباب الصناعة ، ولكن لشد ما أدهشه أن يجد هؤلاء جميعاً لا يعلمون شيئاً ، أو لا يكادون يعلمون شيئاً أكثر مما يعلم هو ، فإن امتازوا بعلمهم أحياناً أذهب الغرور حسنة امتيازهم . إنه لا يعلم شيئاً ولكنه يعلم عن نفسه ذلك الجهل ، أما هم فإن علموا فلا يعلمون إلا أقل العلم وأضالته ، ومع ذلك يتوهمون أنهم أحاطوا بعلمهم كل شيء . لهذا كان حقيقاً بسقراط أن ينفق حياته كلها يؤدي رسالته ، وهي أن يكشف عن حقيقة

ما يزعم الناس لأنفسهم من حكمة ، وهذه المحاولة قد استنفدت كل ما وسعه من جهد حتى اضطر اضطراراً ألا ينغمس في أمور الدولة العامة بل أن يهمل شؤون حياته الخاصة نفسها ، ولقد حلا لأثرياء الشبان أن يقلدوه ، فأخذوا يزجون فراغهم الطويل في امتحان أدعياء الحكمة واختبارهم ، مما كان يدعو إلى العجب حقاً ، فنشأت من أجل ذلك عداوة مرة في نفوس العلماء لسقراط إذ صور لهم ظنهم أنه يحرص هؤلاء الشبان ويدفعهم إلى ما يصنعون دفعاً ، فأرادوا أن يثأروا لأنفسهم فأطلقوا عليه هذا الاسم الخبيث ، أعنى مفسد الشباب ، ثم زادوا في النكاية فأخذوا يوهمون الناس أنه القائل بالآراء الطبيعية القديمة ، وأنه مادی ملحد وأنه سفسطائي المذهب ، وذلك لعمرى هو الاتهام بعينه الذى ما يفتأ الناس فى كل عهد يرمون به الفلاسفة لكى يسيثوا إليهم عند عامة الناس

أما التهمة الثانية ، فيبدأ ردها بأن يلقي سؤالاً على « مليتس » « إذا كنت أنا المفسد فمن ذا يصلح أبناء الوطن ؟ » فيرد « مليتس » بأن كل الناس مصلحون ، ولكن أى قول أكثر تناقضاً من هذه العبارة ، فهل يعقل عاقل أن يسمى سقراط إلى أبناء الوطن مع أنه يعيش بين ظهرائهم ؟ اللهم إنه إذا أساء



فاساءة غير مقصودة ولا متعمدة ، وإن كانت كذلك فما كان أخرى « مليتس » أن يرشده إلى طريق الهدى بدل أن يسارع فيقدمه إلى المحاكمة

ولكن متهميه لم يقتصروا على اتهامه بافساد الشباب ، بل زعموا أنه يحث الناس على أن يكفروا بآلهة المدينة وأن يعبدوا آلهة جديدة ابتدعها هو ابتداءً ، بل إنهم ليذهبون إلى أنه أنكر الآلهة إنكاراً تاماً ، وحتى الشمس والقمر ظن فيهما أنهما من صخور وتراب ، فيعجب لذلك سقراط ويبين لقضاته أن ذلك خلط واضح بين آرائه وبين ما كان يقوله « أنا كسجوراس » من قبله ، فلا يمكن أن يكون الشعب الآثيني من الجهالة بحيث تجوز عليه هذه المغالطة فينسب إلى سقراط ما قاله سواه

ثم يختم سقراط استجوابه للمليتس ، ويوجه عنايته إلى التهمة الأساسية . فقد يسأل سائل : لماذا يصر سقراط على أداء رسالته إذا كانت تلك الرسالة تؤدي به إلى الموت ؟ فيجيب سقراط بأن ذلك واجب حتم عليه ، فما ينبغي أن يتخلى عن مكانه الذي اختاره له الله ، كما لم يُجْزَ لنفسه أثناء الحروب أن يزول عن موقفه الذي اختاره له القواد ، هذا فضلاً عن أنه لم يبلغ من الحكمة مبلغاً يمكنه من العلم إن كان الموت خيراً أم شراً ، في

حين أن تركه لواجبه شر محقق ، فكيف يقدم على شر لا شك فيه خلاصاً من الموت الذى لا يدرى إن كان خيراً أم شراً . كلا ! إن ذلك لا يجوز ، فلن ينثنى عن أداء واجبه ، وسيؤثر لنفسه طاعة الله على طاعة الإنسان . وسيظل يعلم الناس جميعاً فى مختلف أسنانهم وجوب الفضيلة وضرورة الإصلاح ، فإن أمرضوا عنه وأبوا أن يعيروه آذاناً مصغية فسيعمد إلى تأنيبهم ولومهم . ذلك هو إفساده للشباب الذى لن يتردد فى فعله صدوعاً بأمر الله ، وإن تهدده فى هذه السبيل ألف موت لا موت واحد

إن سقراط حين يرغب إلى الحكمة أن تنجيه من عقوبة الموت لا يفعل ذلك من أجل نفسه ولكن من أجل قومه ، لأنه صديقهم الذى قبضته السماء لإصلاحهم ، ومن يدرى ؟ لعلمهم إن أماتوه لا يوفقون إلى خلف له يقوم لهم بما كان يقوم به ، وهنا قد يعترض معترض قائلاً إن كان سقراط بحق يسعى إلى صالح قومه فلماذا لم يحاول قط أن يساهم فى الشؤون العامة بنصيب ؟ فيجيب سقراط بأنه إن فعل ذلك وحارب من أجل الحق لما قدر له أن يمتد أجله فيفعل ما فعل من خير . هذا إلى أنه قد خاطر فعلاً بحياته مرتين بأن اشترك فى شؤون الدولة من أجل العدالة : الأولى فى محاكمة القواد ، والثانية فى مقاومة استبداد حكومة الطغاة الثلاثين

ولكنه إن لم يتم بقسط وافر من شؤون الدولة فقد أنفق أيامه في تعليم مواطنيه تعليماً لم يؤثر عليه . . . تلك كانت رسالته فسواء انقلب تلاميذه اختياراً أم أشراراً فليس من العدل في شيء أن يُتهم بجريرتهم ، لأنه لم يمدّهم قط بأن يُعلّمهم شيئاً فكان لهم أن يقبلوا عليه إن شاءوا وأن ينفضوا من حوله إن أرادوا ، ولكنهم شاءوا لأنفسهم أن يلتفوا حوله لأنهم أحسوا لذة عظيمة في الاستماع إلى أدعياء الحكمة يمتحنون فيفتضح أمرهم . فلو كان سقراط قد أفسد هؤلاء الشبان لقضى الواجب على ذويهم من الشيوخ — إن لم يكن واجبهم هم — أن يتقدموا إلى المحكمة بالشهادة ضده ، وهنا يقول سقراط في شيء من التحدى إن الفرصة لا تزال سانحة لكائن من كان منهم أن يتقدم إلى القضاة بشهادته ، ولكن العجب أن آباء أولئك الشبان وأقرباءهم جاءوا إلى المحكمة ليبرئوا ساحة سقراط من تهمة الإفساد . وإذن هؤلاء جميعاً ألسنة ناطقة بأن سقراط إنما يقول الحق ، وإذن مليتس مفتر كذاب

ذلك كل ما أراد أن يقوله سقراط تقريباً ، وهو بعد هذا الخطاب يأبى أن يسترحم القضاة ليخلوا سبيله ، كما يرفض قطعاً أن يأتي بأطفاله باكين معولين ليؤثروا في قلوب القضاة ببكائهم

فتلك كانت عادة الآثينيين إذا حكم على أحدهم ، بل إن سقراط ليزعم أن القضاة أنفسهم لم يكونوا يتعففون عن مثل هذا في ظرف كظرفه ذاك ، ولكنه يقرر أنه على ثقة بأن القضاة لن يحنقوا أن لم يلجأ سقراط إلى ما تواضع الآثينيون أن يلجأوا إليه فراراً من العقاب ، لأنه على يقين أن ذلك السلوك مجلبة للعار لآثينا بأسرها ويضيف سقراط إلى هذا أن القضاة قد أقسموا ألا يتهاونوا في تطبيق العدالة ، فكيف إذن يبيح لنفسه أن يسترحمهم لكي يحملهم على الحنث في أيمانهم ، إنه لو فعل لعد ذلك فجوراً منه في الوقت الذي يقف متهماً بالفجور

وصدر الحكم بادانته كما توقع ، فترى سقراط بعد هذه الإدانة لا يرق ولا يضعف ولا يلين ، بل إنه على النقيض ليسمو وتأخذه نزعة قوية من الكبرياء ... إن « أنيتس » قد اقترح أن تنزل بالجاني عقوبة الإعدام ، فماذا يقترح سقراط من جانبه ؟ ( إذ كانت هذه عادة الآثينيين في محاكمتهم ) ؛ يجب سقراط بأنه قد كان محسناً للشعب الآثيني ، فأنفق حياته كلها في تقديم الخير له ، ولذا فهو يرى نفسه جديراً على الأقل بمثل ما يُجزى به الظافرون في الألعاب الأولمبية ، أعنى أن يعيش على حساب الدولة ، فليس من الحكمة أن يقترح لنفسه عقوبة أخرى ، لأنه لا يدرى إن كان الموت الذي اقترحه « أنيتس »

خيرا أم شرا ، وماذا عساه يقترح ؟ أيقترح السجن أو النفي ،  
وكلاهما شر محقق ؟ نعم قد لا تكون خسارة المال شرا ، ولو كان  
يملك من المال شيئا لا يقترح أن يُقضى عليه بغرامة مالية ، وهنا  
يتعهد أصدقاؤه أن يدفعوا له الغرم إن قضى به ...

### يصدر الحكم بالاعدام

يقول سقراط لقضائه بعد أن أجروا فيه حكم الإعدام ،  
إنه قد اكتهل ، وإن الاثنينين لن يفيدوا شيئا حين يسلبوه  
السنوات القلائل الباقية له من حياته ، ولكنهم سيجلبون على  
أنفسهم العار بقتله ؛ وقد كان يستطيع أن يلجأ إلى الفرار من  
أثينا ، ولكن فيم الفرار وهو لا يرجو إطالة الحياة ؟ بل إنه ليؤثر  
أن يموت كما يشتهي ، فذلك خير من أن يعيش كما يريد له الناس  
أن يعيش ، نعم إنه قضى عليه بالموت ، ولكن هذا القضاء  
بغير شك دنس قضائه بخطيئة الزيف والفجور ، وإنهم في ذلك  
لأفدح منه مصابا ، لأنَّ الفجور أسرع لحاقا بصاحبه من الموت ،  
فإن كان هو سيلقى عقوبته بعد حين ، فقد لقي متهموه عقابهم بالفعل  
أما وهو الآن على وشك الموت ، فإنه يتنبأ لهم بنبوءة ، إنهم  
يحكمون عليه بالموت ليتخلصوا ممن ينقص عليهم العيش ، ولكن  
موته سيكون نواة تنتج عددا وفيرا من الأتباع الذين قد يكونون

في محاسبتهم أشد منه عنفاً وقسوة ، لأنهم أصغر منه سناً ،  
وأكثر جرأة

وما دامت أمامه فسحة من الوقت ، فإنه يود أن يقول  
كلمة قصيرة لهؤلاء الذين حاولوا أن يبرثوه ، فهو ينبئهم أن شارته  
الإلهية لم تعترضه قط في دفاعه ، ولعل معنى ذلك أن الموت الذي  
يقبل عليه خير لا شرف فيه ، وذلك لأن الموت إما أن يكون نوماً  
طويلاً ، وبذلك يكون أحلى ضروب النعاس ، وإما أن يكون  
سياحة إلى العالم الآخر حيث تحتشد أرواح الموتى في صعيد واحد  
وعندئذ تسنح له الفرصة الجميلة بأن يلتقي بفحول الأبطال الذين  
تولوا قبله ، ومما يحجب في تلك الحياة أنها خالدة ، فإن يكون ثمة  
موت يجزع منه الناس فيكتمون آراءهم في نفوسهم

إنه يستحيل أن يصيب الرجل الطيب شر لا في حياته  
ولا بعد مماته ، ولقد رضيت الآلهة اسقراط أن يرحل ، فهو إذن  
يعفو عن قضائه لأنهم لم يؤذوه بقضائهم فيه ، بل هم على عكس  
ذلك ساقوه إلى الخير ، وإن يكن خيراً لم يقصدوا إليه قط

ويعقب سقراط على هذا القول بطاب أخير : فهو يرجو  
الناس أن يرهقوا أبناءه من بعده ، كما أرهقهم هو ( أى أرهق  
الناس ) ، وذلك إن بدا منهم أنهم يؤثرون المال على الفضيلة ،  
أو ظنوا في أنفسهم العلم وهم جاهلون





معبد دلفي

حيث أجابت الراعية بأن سقراط أحكم الآنبيين



## دفاع سقراط

لست أدري أيها الأثينيون كيف أثر متهمى في نفوسكم ،  
أما أنا فقد أحسست لكلماتهم الخلافة أثرا قويا أنسيت معه  
نفسى ، وإنهم لم يقولوا من الحق شيئا ، ولشد ما دهشت  
إذ ساقوا في غمر باطلهم نذيرا لكم أن تكونوا على حذر ،  
فلا تتخذكم قوة فصاحى ، إني إذا نبستُ بينت شفة نهضت لكم  
دليلا على عي لسانى واقتضح أمرهم ، وإنهم بذلك عالمون ،  
ولكنهم يمارون ولا يخجلون ، أم تراهم يطلقون الفصاحة على  
قوة الحق ؟ إذن لأشهدت أنى مصقع بليغ . . ألا ما أبعد الفرق  
بينى وبينهم ! فهم كما أنبأتكم لم ينطقوا كلمة صدق ، أما أنا فخذوا  
الحق منى صراحا ، ولن أصوغها عبارة خطابية منمقة كما فعلوا ،  
لا والله بل سأسوق الحديث والأدلة إليكم عفو ساعتها ، لأنى  
على يقين من عدالة قضيتى ، فلن أقف يوما بينكم أيها الأثينيون  
موقف الخطيب الصبيانى ما دمت حيا ، فلا يرجن الآن أحد  
منى خطابا ، ولعلى أظفر منكم بهذا الفضل : إذا دافعت عن نفسى  
بأسلوبى المهود ؛ فجاءت فى دفاعى كلمات قلتها من قبل ، وسمعها

بعضكم في الطريق أو عند موارد الصيارفة أو في أى مكان آخر ، فلا تدهشوا ولا تقاطعوا الحديث ، لأننى أقف — وقد نيفت على السبعين عاماً — للمرة الأولى في ساحة القانون ، فلم آلف لغة هذا المكان ، فانظروا إلى نظركم إلى الغريب تلمس له المعذرة لوجرى لسانه بلغة قومه ولهجة وطنه ، وما أحسبني بذلك أطلب شططاً ، فدعكم من عبارتي التي قد تكون حسنة وقد لا تكون ، وانظروا في صدق العبارة وحده ، وإذا حكم منكم قاض فليحكم بالعدل ، وإذا نطق متكلم فلينطق بالحق .

ولأبدأ أولاً برد التهم القديمة والطائفة الأولى من المدعين<sup>(١)</sup>

ثم أستطرد إلى دعوى الفريق الثاني ؛ فلقد اتهمني من قبل نفر كثير ، ولبثت دعواهم الباطلة تتردد أعواماً طويلاً ، وإني لأخشاهم أكثر من هذا الرجل ( أنيتس ) وعصبته ، وإن كيدهم لعظيم ، ولكن أولئك الذين همضوا إذ كنتم أطفالاً فملكوا ألبابكم بأباطيلهم لأشد من هؤلاء ~~خطرا~~ ، فهم يحدثونكم عن يسمي سقراط أنه حكيم يسبح بفكره في السماء ، ثم يهوى به إلى الغبراء ، وأنه يخلع على الباطل رداء الحق ، أولئك هم من أخشى من الأعداء ، فقد أذاعوا في الناس هذا الحديث ، وما أسرع

(١) يقصد بها الرأي العام

ما يظن الدهاء أن هذا الضرب من المفكرين كافر بالآلهة ،  
 كثيرون هم أولئك المدعون ، ودعواهم قديمة العهد ، نشروها  
 حين كنتم في سن الطفولة أو الشباب ألين انطباعاً ، ولم يكادوا  
 ينطقون بالدعوى حتى انطلقت تحمل عنى في ذيلها السوء دون  
 أن تجد لها مفنداً ؛ وأهول من ذلك كله أن لبثت أسماؤهم مجهولة  
 لأعلمها لولا ذلك الشاعر الهازل<sup>(١)</sup> الذى ساقته الظروف ،  
 وإنه لمن العسير أن أتحدث إلى أشخاص هؤلاء الهجائين الذين  
 نفذوا إلى نفوسكم بما يحملون من ضغينة وحققد ، صدر فيها  
 بعضهم عن عقيدة ، ثم ألقوا بذورها في قلوب الآخرين ؛  
 فلا أستطيع أن أدعوم إلى هذا المكان لأستجيبهم ، فأنا إن  
 دافعت الآن فإنما أدافع أشباحاً ، وأستجيب حيث لا يجيب ؛  
 وإني لأرجو أن تقبلوا ما فرضته لكم من قبل بأن الأعداء  
 صنفان : فطائفة حديثة العهد وأخرى قديمة ، وأحسبكم ترون  
 صواب رأيي في أن أبدأ بالرد على هذه الطائفة الأخيرة ، فدعواها  
 أقدم عهداً وأكثر تردداً .

وبعد فما كم دفاعي ، ولعلى أستطيع في هذه البرهة القصيرة

(١) يقصد به أرسطوفان الذى مثل بسقراط في روايته « السحاب »

التي تفضلتم بها على أن أحمو شائعة السوء التي قرت عني في أذهانكم طوال هذا الزمن ، وعسى أن أصيب توفيقاً إن كان في التوفيق خير لي ولكم ، إذ كان في الأرجح ينفعني في قضيتي ، فأنا أعلم أنني مقدم على أمر عسير ، وإني لأقدر مهمتي حق قدرها ، فليقض الله بما يريد ، وهأنذا أبدأ دفاعي طوعاً للقانون واستهل الحديث بهذا السؤال : أي ذنب جنيت حتى حامت حولي الشبهات ، فاجترأ مليتس أن يرفع أمرى للقضاء ؟ ماذا يقول عني دعاة السوء ؟ إنهم بمثابة المدعين وهاكم خلاصة ما يدعون : « قد أساء سقراط صنعا ، وهو طلبة يصعد البصر إلى السماء وما تحتوى ، ثم ينفذ به تحت أطباق الثرى ، وهو يلبس الباطل ثوب الحق ، ثم إنه يثبت تعاليمه هذه في الناس » تلك هي جريرتي ، وقد شهدت بأنفسكم في ملهاة أرسطوفان كيف اصطنع شخصاً أسماه سقراط جعله يجول قائلاً إنه يستطيع أن يسير في الهواء ، وأخذ يلغو في موضوعات لا أزمع أنني أعرف عنها كثيراً ولا قليلاً — لست أقصد بهذا أن أسوء إلى أحد من طلاب الفاسنة الطبيعية — فلشد ما يسوؤني أن يتهمني مليتس بمثل هذا الاتهام الخطير . أيها الأثينيون ! الحق الصراح أنني لا أتصل بتلك الدراسة الطبيعية بسبب من الأسباب ، ويشهد

بصدق قولي كثير من الحضور ، فإليهم أحكم . انطلقوا إذن  
يا من سمعتم حديثي وأنبثوا عني جيرانكم ، هل تحدثت في مثل  
هذه الأبحاث كثيرا أو قليلا ؟ أنصتوا إلى جوابهم لتقطعوا في  
سائر الاتهام بصدق مما يقررون في هذا الجزء

أما القول بأنى معلم أتقاضى عن التعليم أجرا فباطل ليس  
فيه من الحق أكثر مما في سابقه ، على أننى أجد المعلم المأجور  
إن كان معلما قديرا على تعليم البشر ، فهؤلاء جورجياس  
الليونتى (Gorgias of Leontium) وبرودييكوس الكيوسى  
(Prodicus of Ceos) وهيبياس الأليزى (Hippias of Elis)  
يطوفون بالمدن يحملون الشباب على ترك بنى وطنهم الذين  
يعلمونهم ابتغاء وجه الله ليسعوا إليهم ، فلا يؤجرونهم وكفى ،  
بل يحمدون لهم ذلك الفضل العظيم ؛ ولقد أتانى نبأ فياسوف  
من بارا يقيم فى أثينا ، حدثنى عنه رجل صادفته ؛ قد  
بذل للسوفسطائيين مالا طائلا ، هو كاليباس بن هبونيكوس .  
ولما أنبأنى أن له ابنين سألته : لو كان ابنك يا كاليباس جوادين  
أو بقرتين لما شق عليك أن تجدهما مدربا ، فما أهون أن تستخدم  
مدرّب الخيول أو فلاحا يقومهما ويبلغ بهما حد الكمال فى حدود  
ما يعدهانه فضلا ونبوغا ، ولكنهما إنسانان من البشر ، فمن ذا

فكرت أن يكون لها مؤدباً؟ أثمت من يدرك فضيلة الإنسان وسياسة البشر، حدثني فلا بد أن تكون قد تدبرت الأمر ما دمت والدأ. فأجاب. «نعم وجدت». فسألته: من هو ذا وأين موطنه وكم يؤجر؟ فأجاب «هو أفينس الباري وأجره خمسة دراهم» فقلت في نفسي: «أنعم بك يا أفينس إن كنت تملك هذه الحكمة حقاً؛ وتعلمها بمثل هذا الأجر الضئيل، فلو كانت لدى لزهيت وأخذني الغرور، ولكنني بحق لا أعلم من تلك الحكمة شيئاً»

أيها الأثينيون! رب سائل منكم يقول: «وكيف شاعت عنك تلك التهمة يا سقراط إن لم تكن قد أتيت أمراً إذا، فلو كنت كسائر الناس لما ذاع لك صوت ولا دار عنك حديث. أنبتنا بعله هذا إذ يؤلنا أن نسارع بالحكم في قضيتك» وإني لأحسب هذا تحدياً رقيقاً، وسأحاول أن أوضح لكم لم دعيت بالحكيم، ومن أين جاءتني الأحذوثة السيئة؛ فأرجو أن تنصتوا لقولي. ولو أن بعضكم سيظن بي الهزل، ولكنني أعترف أنني لن أقول إلا الحق خالصاً. أيها الأثينيون! إن لدى ضرباً معيناً من ضروب الحكمة كان مصدر ما شاع من أمري، فان سألتوني عن هذه الحكمة ما هي؟ أجبت أنها في مقدور البشر، وإلى هذا

الحد فانا حكيم . أما أولئك الذين كنت أتحدث عنهم فحكمتهم معجزة فوق مستوى البشر ، لا أستطيع أن أصفها لأننى لا أملكها ، ومن ظن أنها لدى قد ظن باطلا ، وكان أشد ما يكون بعداً عن حقيقتي . أيها الأثيبيون ! أرجو ألا تقاطعوني ولو بالغت فى القول فلست قائل هذا الذى أرويه لكم ، ولكنى سأنيب عنى شاهداً جديراً بالثقة ، ليحدثكم عن حكمتى — فسينبئكم هل أملك من الحكمة شيئاً ؟ وإن كنت أملك فما نوعها — وأعنى بذلك الشاهد إله دلفى . إنكم ولا ريب تعرفون (شريفون) فهو صديق منذ عهد الصبا ، وهو صديقكم منذ ظاهركم على نقي من نفيتم ثم عاد أدراجه معكم . كان شريفون كما تعلمون صادق الشهور فى كل ما يعمل ، فقد ذهب إلى معبد دلفى وسأل الراعية فى جرأة لتنبئه — وأعود فأرجو ألا تقاطعوني — سأل الراعية لتنبئه إن كان هناك من هو أحكم منى ، فأجابت النبىة أن ليس بين الرجال من يفضلنى بحكمته . لقد مات شريفون ، ولكن أخاه ، وهو فى الحكمة بيننا ، يؤيد صدق ما أروى

وفيم أسوق إليكم هذا الخبر ؟ ذلك لأننى أريد أن أتقصى لكم علة ما ذاع عنى من سوء الذكر ؛ لما آتانى جواب الراعية قلت فى نفسى : ما ذا يعنى الإله بهذا ؟ إنه لغز لم أفهم له معنى .

أنا عليم أن ليس لدى من الحكمة كثير ولا قليل ، فإذا عساه  
يقصد بقوله إننى أحكم الناس ؟ ومع ذلك فهو إله يستحيل عليه  
الكذب ، لأن الكذب لا يستقيم مع طبيعته . ففكرت وأمعت  
فى التفكير ، حتى انتهيت آخر الأمر إلى طريقة أحقق بها القول ،  
اعتزمت أن أبحث عن يكون أحكم منى ، فإن صادفته ، أخذت  
سمتى نحو الإله لأرد عليه ما زعم ، فأقول له : « هاك رجلا  
أكبر منى حكمة ، وقد زعمت أنى أحكم الناس » . لهذا قصدت  
إلى رجل من الساسة — ولا حاجة بى إلى ذكر اسمه — فقد  
عرف بحكمته ، وامتحنته فاتمهت إلى النتيجة الآتية : لم أكد  
أبدأ معه الحديث حتى قرّرت فى نفسى عقيدة بأنه لم يكن حكيما  
حقا ، على الرغم من شهادة الكثيرين له بالحكمة ، وعلى الرغم  
حما ظنه هو نفسه فى حكمته ، وقد جاوز به الغرور شهادة الشاهدين  
لحاولت أن أقنعه بأنه وإن يكن قد ظن فى نفسه الحكمة إلا أنه  
لم يكن بالحكيم الحق ، فأدى به ذلك إلى الغضب منى ، وشاطره  
فى غضبه كثيرون ممن شهدوا الحوار وسمعوا الحديث ، فغادرته  
قائلا فى نفسى : إنى وإن كنت أعلم أن كلينا لا يدرى شيئا عن  
الخير والجمال . فإننى أفضل منه حالا ؛ لأنه يدعى العلم وهو لا يعلم  
شيئا . وأما أنا فلا أدرى ولا أزعم أننى أدرى — ولعلى بهذا



أفضله قليلا . ثم قصدت إلى آخر ، وكان أعرض من سابقه دعوى في الفلسفة ، فاتهيت معه إلى النتيجة نفسها ، وعاداني هو الآخر ، وأيده في موقفه عدد كبير

أخذت أتمس الناس رجلاً فرجلاً وأنا عالم بما أثيره في الناس من غضب كنت آسف له وأخشاه ، ولكنها ضرورة لم يكن عن المضي فيها محيص . إنها كلمة الله ، ويجب أن أحلها من اعتبارى المكان الأسمى ، فقلت لنفسي : لا بد أن أحاور أدعياء العلم جميعاً على أفهم ما قصدت إليه الراحية . وأقسم لكم أيها الأثينيون أغلظ القسم <sup>(١)</sup> — فواجبى أن أقول الحق — إننى قد انتهيت من البحث إلى ما رويت ، إذ وجدت أن أشهر الناس أكثرهم غباء ، وقد صادفت فيمن هم دون هؤلاء مقاماً رجلاً بلغوا من الحكمة ما لم يباغفه هؤلاء . وسأقص عليكم حديث تجوالى وما عانيت خلاله لتحقيق ما قالته الراحية . تركت رجال السياسة وقصدت إلى الشعراء ، سواء فى ذلك شعراء المأساة أو الأغاني الحاسية أو ما شئت من صنوف الشعر ، وقلت فى نفسى : إن الأمر لا ريب مكشوف لدى الشعراء فسأجدنى بإزائهم أشد جهلاً . ثم جمعت طائفة مختارة من أروع

---

(١) فى الأصل « أقسم لكم أيها الأثينيون بالكاب » وقد آثرنا هذا التعريف

ما سطرت أعلامهم ، وحملتها إليهم أستفسرهم إياها لعل أفيد  
عندهم شيئاً . أفأنتم مصدقون ما أقول ؟ واخجلتاه ! أكاد  
أستحي من القول لولا أنى مضطر إليه ، فليس بينكم من  
لا يستطيع أن يقول فى شعرهم أكثر مما قالوا هم وهم ناظموه .  
عندئذ أدركت على الفور أن الشعراء لا يصدرون فى الشعر عن  
حكمة ، ولكنه ضرب من النبوغ والإلهام . إنهم كالقديسين  
أو المتنبئين الذين ينطقون بالآيات الرائعات وهم لا يفقهون معناها .  
هكذا رأيت الشعراء ، ورأيت فوق ذلك أنهم يعتقدون فى  
أنفسهم الحكمة فيما لا يملكون فيه من الحكمة شيئاً استناداً  
إلى شاعريتهم اقوية . تخلفت الشعراء وقد علمت أنى أرفع منهم  
مقاماً ، فقد فضلتى عليهم ما فضلتى على رجال السياسة

وأخيراً قصدت إلى الصناع ، وكنت أظننى جاهلاً بما  
يتصل بالصناعة من علم ، وكنت أحسب أن لدى هؤلاء الصناع  
مجموعة طريفة من المعارف ، وقد ألفتنى مصيباً فيما ظننت ، إذ  
كانوا يعلمون كثيراً مما كنت أجهله ، فكانوا فى ذلك أحكم  
منى بلا ريب . ولكنى رأيت حتى مهرة الصناع قد تردوا فيما  
تردى فيه الشعراء من خطأ ، فتوهوا أنهم ما داموا أكفاء فى  
صناعتهم فلا بد أن يكونوا ملدين بكل ضروب المعرفة السامية ،

فذهبت سيئة الغرور بحسنة الحكمة . لهذا ساءلت نفسى بالنيابة  
عن الراعية : أكنت أحب أن أظل كما أنا ، لا أملك ما يملكون  
من علم ، ولا أكبو فيما كبوا فيه من خطأ ، أم كنت أحب أن  
أكون شبيههم فى العلم والجهل على السواء ؟ فأجبت نفسى ،  
وأجبت الراعية : إننى خير منهم حالاً

وهذا الذى انتهيت إليه قد حرك العداوة فى قلوب نفر من  
أشد الناس سوءاً وخطراً ، كما نسج حولى طائفة من الدعاوى  
الباطلة . ولقد جرى الناس على تسميتى بالحكيم إذ خيل إليهم  
أننى ما فتئت أحمل الحكمة التى كانت تعوزهم . ولكن الله  
— أيها الأثينيون — هو الحكيم الأوحى ، ولعل الله أراد بجوابه  
أن الحكمة فى البشر ضئيلة أو معدومة . إنه لم يتحدث قصداً  
عن سقراط ، إنما ضرب باسمى مثلاً ، كأنما أراد أن يقول إن  
من يدرك كما أدرك سقراط أن حكمته فى حقيقة الأمر لا تساوى  
شيئاً ، يكون أحكم الناس . فأنما كما تروننى أسير وفقاً لما يرسمه  
لى الله ، أقتش عن الحكمة فى كل من يدعيها ، لا أبالى أكان  
من أبناء الوطن أو غريباً ، فان لم أجده كما ادعى ، صارحته  
بجهله كما أمرتنى الراعية . ولقد انصرفت إلى هذا الواجب انصرفاً  
لم يبق لى معه من الوقت ما أبذله فيما يشغل بال العامة ، أو أنفقه

فى شؤونى الخاصة ؛ وهكذا كرسى حياتى لله فعشت فقيراً معدماً  
 أما أن الشبان الأثرياء الذين لاتضنيهم شواغل الحياة كثيراً  
 قد التفوا حولى ، فهم قد جاءوا يسعون من تلقاء أنفسهم ليشهدوا  
 امتحان الأدعياء ؛ وكثيراً ما انطلقوا بدورهم يلتمسون أديعاء  
 الحكمة ليجروا عليهم التجربة نفسها . وما أكثر ما صادفوا  
 رجالاً ظنوا فى أنفسهم العلم ، فإذا بهم لا يعلمون إلا قليلاً ، أو هم  
 لا يعلمون شيئاً ؛ فلا يلبث هؤلاء الذين امتحنهم الشبان أن يصبوا  
 على جام غضبهم ، وأنفسهم أحق بهذا الغضب ، ويستنزلون  
 اللعنة على سقراط لأنه أفسد الشبان . فإن سألمهم سائل فيم هذه  
 اللعنة ، وأى جريرة أنى ، وأى رذيلة علم ، لما حاروا جواباً  
 لأنهم لا يعرفون لغضبهم سبباً . ولكى يستروا علام الحيرة  
 تراهم يميذون التهم المعروفة التى قذف بها الفلاسفة جميعاً ، من  
 أنهم يعلمون ما يتصل بالسحاب ، وما هو دفين تحت الثرى ،  
 وأنهم كافرون بالآلهة ، وأنهم يلبسون الباطل صورة الحق ؛  
 والحقيقة أنهم جاهلون ويأبون الاعتراف بجهاهم المكشوف .  
 ولما كانت تلك الفئة كثيرة طامعة نشيطة ، وقد تصدوا جميعاً  
 للنزال بما لهم من ألسنة حداد تلعب بالنفوس ، فقد ملأوا  
 أسماعكم بهذا الاتهام الباطل . وكان أن ناصبني العداء هؤلاء

المدعون الثلاثة : مليتس ، وأنيتس ، وليقون . فقد ناهضني مليتس ليمثل جماعة الشعراء ؛ وأنيتس ليمثل طبقة الصناع والسياسيين ؛ وليقون ليمثل الخطباء . وإنتي كما قدمت لا آمل في أن أحمو في لحظة كل ما علق بي من تهم باطلة . أيها الأثينيون ! لقد رويت لكم الحق كل الحق ، لم أخف شيئاً ، ولم أشوه شيئاً ، ومع هذا فأنا أعلم أن صراختي في الحديث ستصدكم عني ، وما هذا الصد إلا برهان على أنني أقول الحق . تلك هي دعواهم وذاك منشؤها ، ولن تسفر هذه المحاكمة ولا أية محاكمة مقبلة عن غير هذا

حسبي هذا دفاعاً للفريق الأول من المدعين . وهأنذا أتوجه الآن بالحديث نحو الطائفة الأخرى وعلى رأسهم مليتس ، ذلك الرجل الطيب ، الوطني ، كما يقول عن نفسه . وسأحاول أن أدفع عن نفسي ما اتهمني به هذا الفريق الجديد . وجدير بنا أن نبدأ بتلخيص دعواهم ، فماذا يزعمون ؟ إنهم يقولون : إن سقراط فاعل للرذيلة ، مفسد للشباب ، كافر بآلهة الدولة ، وله معبودات اصطنعها لنفسه خاصة . تلك هي دعواهم ، وسبيلنا الآن أن نناقشها تفصيلاً

أما الزعم بأنني فاعل للرذيلة مفسد للشباب ، فأنا أقر أياها الأثينيون عن هذا الرجل مليتس ، أنه هو صاحب رذيلة . ورذيلته

أنه يتفككه حيث يجب الجدد ، وهو لا يرى غضاضة في أن يسوق الناس إلى ساحة القضاء متستراً وراء الحاسة المصطنعة والاهتمام المتكلف بأمور لا تعنيه في شيء ؛ وسأقيم لكم الدليل على صدق هذا .

اقترب مني يا مليتس لألقى عليك سؤالاً . هل تفكر طويلاً في إصلاح الشباب ؟

— نعم ، إنى أفعل

— إذن فقل للقضاة من هو مصلح الشباب ، فأنت لا بد عالم به ما دمت قد عانيت آلاماً في اكتشاف مفسدهم ، فها أنت ذا قد سقتني إلى القضاء متهماً . تكلم إذن وقل للقضاة من هو مصلح الشباب . مالي أراك يا مليتس لا تحير جواباً ؟ أليس هذا دليلاً قاطعاً ، مزرياً بك ، يؤيد ما ذكرته من أن أمر الشباب لا يعينك في شيء ؛ تكلم يا صديقي وحدثنا عن مقوم الشباب !

— هي القوانين

. — ولكن ليست القوانين هي ما عانيتُ يا سنيدي ، إنما أردت أن أعرف ذلك الشخص الذي يحفظ القوانين قبل كل شيء .

- هم من ترى فى الحكمة من قضاة يا سقراط
- ماذا تريد أن تقول يا مليتس ؛ أتعنى أن القضاة قادرون على تعليم الشبان وإصلاحهم ؟
- لست أشك فى أنهم كذلك
- أكلهم كذلك ، أم بعضهم دون بعض ؟
- القضاة جميعاً
- قسم بالآلهة<sup>(١)</sup> إن هذا خبر سار . إذن فهناك طائفة من المصلحين ، وما ذا تقول فى النظارة ؟ أم يصلحون الشبان ؟
- نعم هم يفعلون
- وأعضاء الشورى كذلك ؟
- نعم إنهم كذلك يصلحون
- ولكن قد يكون رجال الدين لهم مفسدين ؟ أم هم كذلك يقومون الشباب ؟
- إنهم كذلك من المصلحين
- إذن فكل الأثينيين يصلحون الشبان ويرفعون من قدرهم ، ما عداى . فأنا وحدى الذى أفسدت الشباب . أهذا ما أردت أن تقول ؟

---

(١) يقسم بالآلهة هيرى Heré

— وذلك ما أؤيده بكل قوتي

— يا لبؤسى إذن إن صح ما تقول ا . ولكنى أريد أن أسألك سؤالاً : أيصح هذا القول كذلك على الجياد ؟ أيمكن أن يقدم لها الأذى فرد واحد ، بينما يقدم لها الخير العالم أجمع ؟ أليست ترى أن العكس هو الصحيح ؟ فرجل واحد يستطيع أن يعمل لها الخير ، أو قل هي فئة قليلة ، وأعنى أن مروض الجياد هو الذى يقدم لها الخير ، أما بقية الناس الذين يستخدمونها في عملهم فهم لها مسيئون . أليس هذا صحيحاً يا مليتس بالنسبة إلى الجياد وكل أنواع الحيوان ؟ نعم ولا ريب ، سواء رضيت أنت وأنيست أم لم ترضيا ، فذلك لا يعنيننا . اللهم أنعم بحياة الشبان لو كان عليهم مفسد واحد فحسب ، وكانت بقية العالم لهم مصلحين . وأنت يا مليتس ، لقد أقمت لنا الدليل ناصحاً على أنك لم تكن تفكر في الشبان ؛ فإهلاك إياهم واضح حتى فيما ذكرت في صحيفة الدعوى

والآن يا مليتس ؛ لا بد أن أسألك سؤالاً آخر : أيهما خير ، أن يكون أبناء وطنك الذين تعيش بينهم فاسدين أم صالحين ؟ أجب يا صاح فذاك سؤال ميسور الجواب ! ألا يقدم الصالحون الخير لجيرانهم بينما يسعى إليهم الفاسدون ؟



— نم ولا ريب

— وهل هناك إنسان يفضل أن يساء إليه على أن يُحسن إليه ممن يعيش بينهم ؟ أجب يا صديقي ، فالقانون يتطلب منك الجواب . أيجب أحد أن يصيبه الضرر ؟

— كلا ولا ريب

— وأنت حين تهمنى بإفساد الشبان والخط . من شأنهم أنزع منى أتعمد ذلك الإفساد أم يجيء عنى عفوا ؟  
— أنا أزعم أنه إفساد مقصود

— ولكنك اعترفت الآن أن الرجل الصالح يقدم الخير لجيرانه ، وأن الفاسد يقدم لهم الشر ، أفنتظن أن هذه الحقيقة قد أدركتها حكمتك البالغة وأنت لا تزال من الحياة فى هذه السن الباكورة ، وأنا ، وقد بلغت من الكبر عتيا ، ما زلت أخبط فى ظلام الجهل فلا أعلم أنى أفسدت أولئك الذين أعيش بينهم فيغلب أن يصيبنى منهم ضرر ؟ أفأكون عالما بهذا ومع ذلك أفسدم ، وأفسدم متعمدا ؟ هذا ما تقوله أنت ، فلا أحسبك مقنعنى به ، ولا مقنعا به كائنا من كان . إحدى اثنتين : إما أننى لا أفسد الشبان ، أو أننى أفسدم عن غير عمد ؛ وسواء

أصحت هذه أم تلك فأنت كاذب في كلتا الحالتين<sup>(١)</sup>

فإن كانت جريمتي بغير عمد فلا يحاسب عليها القانون ،  
وكان خليقاً بك أن تسدى لى النصيح خالصاً ، محذراً ومؤنباً في  
رفق ولين ، فإن انتصحت بك ، أقلمت ولا ريب عما كنت  
آتيه بغير قصد ؛ ولكنك أبيت لى نصيحاً وتعليماً ، وآثرت  
أن تجيء بى متهماً فى ساحة القضاء ، وهى محل العقاب  
لا مكان التعليم

لقد تبين لكم أيها الأثينيون أنه لا يعنيه أمر الشبان فى  
كثير ولا قليل ، ولكنى ما زلت أود يامليتس أن أعرف  
منك فيم كان إصرارى على إفساد الشباب ؟ لعلك تغنى كما يبدو  
من اتهامك أنى حملتهم على إنكار الآلهة التى اعترفت بها الدولة ،  
ليقدسوا فى مكانها معبودات جديدة أو قوى روحانية . أليست  
هذه هى الدروس التى زعمت أنى أفسدت بها الشباب ؟

— نعم هذا ما أقوله وأؤكدده

— إذن قل لى يامليتس ، وقل للمحكمة فى عبارة واضحة ،  
أى آلهة أردت فى دعواك ، لأننى حتى الساعة لا أفهم ما تأخذه

---

(١) هذه إشارة إلى فلسفة سقراط فى الفضيلة ، وملخصها أن الفضيلة  
هى العلم ، فيكنى أن تعلم الخير لتعمله ، فان وقع سوء من إنسان يكن هذا  
دليلاً على جهله بالفضيلة لأنه يستحيل أن يعرفها ولا يعملها

على . أ كنت أعلم الناس الإيمان بآلهة معينة ؟ وإن كان هذا فهم مؤمنون بآلهة ما ، ولم أكن إذن كافرا تمام الكفران ؛ إنك لم تشر إلى ذلك في الدعوى واكتفيت بالقول إنها ليست نفس الآلهة التي تعترف بها المدينة ، ماتم حتى ؟ أمهي الدعوة إلى آلهة مخالفة أم تزعم أني ملحد ومعلم للإلحاد ؟

— أردت الأخيرة ، فأنت ملحد غاية الإلحاد

— هذا قول عجيب لم نعمده يا مليتس ، ماذا تعنى به ؟ أ لست أومن بالهلي الشمس والقمر ، وهي عقيدة سائدة بين الناس جميعاً ! — إنى أوكد لكم أيها القضاة أنه لا يؤمن بهما ، فهو يقول إن الشمس كتلة من الحجر ، وإن القمر مصنوع من تراب ! — لعلك يا صديقي مليتس تريد أنأ كسجوراس<sup>(١)</sup> بهذا الاتهام ؛ ويظهر أنك تسمى الظن بالقضاة ، فتحسبهم بافوا من الجهالة حدا لا يعرفون معه أن تلك آراء مسطورة في كتب أنا كسجوراس السكلازوميني ، وهي مليئة بمثلها ، وتلك التعاليم هي التي يقال إن سقراط قد أوحى بها إلى الشبان ، والواقع أنهم صرفوها من المسرح الذي كثيرا ما يعرضها ، وأجر المسرح

---

(١) هذه العقيدة التي قالها مليتس عن سقراط هي في الحقيقة رأى في فلسفة أنا كسجوراس وكان قد اتهم به هذا بالإلحاد لولا أنه فرمن أثينا

لا يزيد على دراجة واحدة ، فى مقدور الناس جميعاً أن يشهدوها بهذا الأجر الزهيد ، ثم يهزأون من سقراط كلما نسب إلى نفسه تلك الأعاجيب ، ولكن حدثنى يا مليتس ، أفتظن حقاً أنى لا أؤمن بالله ما ؟

— أقسم بزيوس أنك لا تؤمن بكائن من كان  
— أنت كاذب يا مليتس ، ولا تستطيع أنت نفسك أن تصدق هذا القول ، ولست أشك أيها الأثينيون فى أن مليتس بهذا مستهتر وقح ، كتب هذه الدعوى بروح من الحقد والطيش والغرور ، ألم يبتكر هذه الألعاب ابتكاراً ليقدمنى بها إلى المحاكمة ؟ كأنما قال لنفسه : سارى هل يستطيع هذا الحكيم سقراط أن يكشف عنى هذا التناقض المحبوك ، أم أنى خادعه كما سأخدع بقية الناس ؟ فهو كما أرى يناقض نفسه بنفسه فى الدعوى ، فكأنه يقول : قد أجرم سقراط لأنه كافر بالآلهة ، ولأنه مؤمن بهم ، وتلك مهزلة ولا ريب

أيها الأثينيون ! إنه متناقض لا تستقيم روايته ، وأحب أن نتعاون جميعاً على تحقيقها ، وعليك يا مليتس أن تجيب — وأعيد الرجاء ألا تقاطعونى إذا تكلمت بأسلوبى المهود —  
يا مليتس ! هل جاز لإنسان مرة أن يعتقد بوجود ما يتصل

بالبشر من أشياء ، دون أن يعتقد بوجود البشر أنفسهم ؟ إنى أحب منه — أيها الأثينيون — أن يجيب ، وألا يعمد دائماً إلى المقاطعة ؛ هل اعتقد إنسان مرة بوجود صفات الجياد دون الجياد نفسها ؟ أو وجود نفثات القيثارة دون العازف عليها ؟ إن كنت تأبى أن تجيب بنفسك يا صديقى ، فسأجيب لك وللمحكمة

كلا ! لم يفعل ذلك إنسان ؛ والآن ، هل لك أن تجيب عن هذا السؤال الثانى : أيستطيع إنسان أن يؤمن برسول روحى إلهى ، ولا يؤمن بالأرواح نفسها أو بأشباه الآلهة ؟ — إنه لا يستطيع

— يسرنى أن أحصل منك بعون المحكمة على هذا الجواب ، ولكنك قد أقسمت فى دعواك أننى أثق وأعتقد فى رسل روحية إلهية ، وسواء أكانت تلك الرسل قديمة أم محدثة ، فأنا على أية حال أؤمن بها كما قلت وأقسمت فى صحيفة الدعوى ، ولكن إذا كنت أعتقد بموجودات إلهية ، أفلا يلزم أن أعتقد بالأرواح وأشباه الآلهة التى بعثتها ؟ أليس هذا حقاً ؟ مالى أراك صامتاً ؟ إن الصمت معناه الرضى ، فما هذه الأرواح وأشباه الآلهة ؟ إنها إما أن تكون آلهة ، أو أبناء آلهة ، أليس كذلك ؟

— نعم هو كذلك

— وإذن فهذا موضع التناقض المحبوك الذى أثرت إليه ،  
فأشبه الآلهة أو الأرواح هى آلهة ، وقد زعت عنى أول الأمر  
أنى كافر بالآلهة ، ثم ها أنت ذا تضيف أنى مؤمن بها ، لأنى  
مؤمن بأشباهها ؛ ولا يضيرنا أن تكون هذه الأشباه أبناء للآلهة  
غير شرعيين ، فسواء أعقبتها الآلهة من الشياطين أو من أمهات  
أخريات كما يُظن ، فوجودها يتضمن بالضرورة — كما ترون  
جميعاً — وجود آبائها ، وإلا كنت كن يثبت وجود البغال  
وينكر وجود الجياد والحير ، لا يمكن أن يكون هذا الهراء  
يا مليتس إلا تديرا منك لتبلى به ، ولقد سقتك فى دعواك لأنك  
لم تجد حقا تهمنى به ؛ ولكن لن يجوز على من يملك ذرة من  
فهم ، قولك هذا بأن رجلاً يعتقد فى أشياء إلهية ، هى فوق  
مستوى البشر ، ولا يؤمن فى الوقت نفسه بأن هناك آلهة وأشباه  
آلهة وأبطالاً

حسبى ما قلته ردا لدعوى مليتس ، فلا حاجة بى إلى دفاع  
قوى بعد هذا ، ولكنى كما ذكرت من قبل لا بد أن يكون لى  
أعداء كثيرون ، وسيكون ذلك دافئى إلى الموت لو قضى على به ،  
لست أشك فى هذا ، فليس الأمر قاصرا على مليتس وأنيثس ،

ولكنه الحقد الذى يأكل القلوب ، ويغرى الناس بتشويه السمعة ، فكثيرا ما أدى ذلك برجال إلى الموت ، وكثيرا ما سبقضى بالموت على رجال ، فلست بحمد الله آخر هؤلاء

سيقول أحدكم : ألا تخجل يا سقراط من حياة يغاب أن تؤدى بك إلى موت مباغت ، وعلى ذلك أجيب فى رفق : أنت بخطئ<sup>١</sup> يا هذا ، فان كان الرجل خيرا فى ناحية منه ، فلا ينبغي أن يتدبر أمر حياته أو موته ، ولا يجوز أن يهتم إلا بأمر واحد ، وذلك أن يرى هل هو فيما يعمل مخطئ<sup>٢</sup> أم مصيب ، وهل يقدم فى حياته خيرا أم شرا ؛ أترى إذن أن الأبطال الذين سقطوا فى طروادة لم يحسنوا صنعا ؛ فذلك ابن ثيتس الذى استصفر الخطر وازدراه حينما قرنه بما يثلم الشرف ؛ ولما قالت له أمه الإلهة ، وهو يتحفز لقتل هكتور بأنه لو قتله انتقاما لصاحبه باتروكلس ، فسيذكره هو نفسه الموت ، ثم قالت : « إن القدر يترصدك بعد هكتور » فلما سمع هذا ، احتقر الخطر والموت احتقارا ، ولم يخشهما كما خشى أن يحيا حياة يدنسها العار دون أن ينتقم لصديقه ، فأجاب : « ذرينى أمت<sup>٣</sup> بعد موته ، فانتقم من عدوى ، فذلك خير من الحياة فوق هذه السفن ، فأظل عارا على جبين الدهر تنوء بحمله الأرض » هل فكر أخيل فى الموت

أو الخطر ؟ فهما يكن موقف الرجل ، سواء اختار لنفسه ذلك  
الموضع أم أقامه فيه قائده ، فلا بد أن يلزمه ساعة الخطر ،  
ولا يجوز أن يفكر في الموت أو في شيء آخر غير دنس العار ،  
إن هذا أيها الأثينيون لقول حق

بنى أثينا ! كم كان سلوكي عجيباً ، لو أتني عصيت الله فيما  
يأمرني به — كما أعتقد — بأن أؤدى رسالة الفلسفة بدراسة  
نفسى ودراسة الناس ، وفررت مما كلفنى به خشية الموت  
أو ما شئت من هول ، وأنا الذى حين أمرنى القواد الذين  
اخترعتمهم للقيادة فى بوتيديا ، وأمفيولوس ودليوم ، لزمتم  
موضعى ، كأى رجل آخر ، أواجه الموت ؛ ما كان أعجب ذلك ،  
وما كان أحقنى بأن أساق إلى المحكمة بتهمة الكفر بالآلهة ،  
وكم كنت عندئذ أكون بعيداً عن المحكمة ، مدعياً إياها خاطئاً ،  
لو أتني عصيت الراجية خوفاً من الموت ؟ فليست خشية الموت من  
الحكمة الصحيحة فى شيء ، بل هى فى الواقع ادعاء لها ، لأنها  
تظاهر بمعرفة ما تستحيل معرفته ، فما يدريك ألا يكون الموت  
خيراً عظيماً ، ذلك الذى يلقاه الناس بالجزع كأنه أعظم الشرور ؟  
أليس ذلك توها بالعلم ، وهو ضرب من الجهل الشائن ؟ وهنا  
أرأى أسمى مقاماً من مستوى البشر ، وربما ظننت أنى فى هذا



الأمر أحكم الناس جميعاً — فما دمت لا أعلم عن هذه الحياة إلا قليلاً ، فلا أفرض في نفسى العلم ، وإنما أعلم علم اليقين أن من ظلم من هو أرفع منه أو عصاه ، سواء أكان ذلك إنساناً أم إلهاً ، فقد ارتكب إثماً وعارا ، ويستحيل على أن أتحاشى ما يجوز أن يكون فيه الخير وأخشاه ، لأقدم على شرمؤكده ؛ ولهذا فلو أنكم أطلقتم الآن سراحى ، ورفضتم نصيح أنيتس ، الذى قال بوجوب إعدامى بعد إذ وجه إلى الاتهام ، لآنى لوأفت فسيصيب الفساد والدمار أبناءكم باستماعهم لما أقول ؛ لو قاتم لى ياسقراط ، إننا سنطلق سراحك هذه المرة ولن نأبه لأنيتس ، على شرط واحد ، وذلك أن تقف البحث والتفكير ، فلا تعود إليهما مرة أخرى ، ولو شاهدناك تفعل ذلك أنزلنا بك الموت ، إن كان هذا شرط إخلاء سببلى أجبت بما يأتى : أيها الأثينيون ا أنا أجبكم وأمجدكم ، ولكنى لا بد أن أطيع الله أكثر مما أطيعكم ، فلن أمسك عن اتخاذ الفلسفة وتعليمها ما دمت حيا قويا ، أسائل بطريقتى أيتاً صادفت بأسلوبى ، وأهيب به قائلاً : مالى أراك يا صاح تعنى ما وسعتك العناية بجمع المال ، وصيانة الشرف ، وذبوع الصوت ، ولا تنشد من الحكمة والحق وتهذيب النفس إلا أقلها ، فهى لا تصادف من عنايتك قليلاً ولا تزن عندك

فتيلاً ، وأنت ابن أثينا ، مدينة العظمة والقوة والحكمة ؟  
 ألا ينجلك ذلك ؟ فإن أجاب محدثي قائلاً : بلى ولكنى . معنى بها ،  
 فلن أدخل سبيله ليضى من فوره ، بل أسأله وأناقشه وأعيد معه  
 النقاش ، فإن رأيت خلوها من الفضيلة ، وأنه يقف منها عند حد  
 القول والادعاء ، أخذت فى تأنيبه ، لأنه يحقر ما هو جليل ،  
 ويسمو بما هو دنيء وضعيع ؛ سأقول ذلك لكل من أصادفه ،  
 سواء أكان شاباً أم شيخاً ، غريباً أم من أبناء الوطن ، لكنى  
 سأخص بعنايتى بنى وطنى ، لأنهم إخوانى ، تلك كلمة الله فاعلموها  
 ولا أحسب الدولة قد ظفرت من الخير بأكثر مما قت به ابتغاء  
 مرضاة الله ، وما فعلت إلا أن أهبت بكم جميعاً ، شيئاً وشباناً ،  
 أن انصرفوا إلى أنفسكم وما تملكون ، وبادروا أولاً بتهديب  
 نفوسكم تهذيباً كاملاً ، وهأنذا أعلمكم أن الفضيلة لا تشتري  
 بالمال ، ولكنها هى المعين الذى يتدفق منه المال ويفيض بالخير  
 جميعاً ، سواء فى ذلك خير الفرد وخير المجموع . ذلك مذهبي ،  
 فإن كان هذا مفسداً للشبان ، فالا هم إني مود بالشباب إلى الدمار  
 أما إن زعم أحدكم أن ليس مذهبي هو ذاك ، فهو إنما يزعم  
 باطلا . أيها الأثينيون ! سواء لدى أصدعتم بما يأمركم به أنيتس  
 أم فعلتم بغير ما يشير ، وسواء أأصبت عندكم البراءة أم لم

أصبها ، فاعلموا أنى لن أبدل من أمرى شيئاً ، ولو قضيتم على بالموت مراراً

أيها الأثينيون ! لا تقاطعوني واصغوا إلى قولى ، فقد وعدتوني أن تسمعوا الحديث حتى ختامه ، وإن لكم فيه خيراً . أحب أن أفضى لكم بما عندى ، فإن بعثكم على البكاء فأرجو ألا تفعلوا . أريد أن أصارحكم أن لو قضيتم على بالموت فسيصيبكم من الضر أكثر مما يصيبنى . إن مليتس وأنييتس لن يؤذيانى ، لأنهما لا يستطيعان . فليس من طبائع الأشياء أن يؤذى الرجل الخبيث من هو أصلح منه ، نعم ، ربما استطاع له موتاً أو نفيّاً أو تجريداً من حقوقه المدنية ، وقد يبدو له كما يبدو للناس جميعاً ، أنه يكون بذلك قد أنزل به أفدح البلاء ، ولكنى لا أرى ذلك الرأى ، فأهول به مصاباً هذا الشر الذى يقدم عليه أنيتس — بأن يقضى على حياة إنسان بغير حق ، لست أكلمكم الآن — أيها الأثينيون — من أجل نفسى كما قد تظنون ، ولكن من أجلكم ، حتى لا تسيثوا إلى الله ، أو تكفروا بنعمته بحكمكم على ، فليس يسيراً أن تجدوا لى ضرباً إذا قضيتم على بالموت ، وإن جاز أن أسوق إليكم هذا التشبيه المضحك ، لقات إني ضرب من الذباب الخبيث ، أنزله الله على الأمة ، التى هى بمثابة جواد لنبيل عظيم

تقيل الحركة لضخامته ، ولا بد له في حياته من حافز . أنا تلك الذبابة الخبيثة التي أرسلها الله إلى الأمة ، فلا شاغل لي متى كنت وأنى كنت ، إلا أن أثير نفوسكم بالإقناع والتأنيب ، ولما كان من العسير أن تجدوا لي ضربياً فنصيحتي لكم أن تدخروا حياتي ، نعم قد أكون مزعجكم كلما باغتكم فأيقظتكم من نعاسكم العميق ، ولكم أن تأملوا ، إذا ما صفعتموني صفعة الموت ، كما ينصح أنيتس — وما أهون ذلك عليكم — أن يهدأ لكم الرقاد بقية حياتكم ، ما لم يبعث لكم الله ذبابة أخرى إشفافاً عليكم . أما إنني جئتكم من عند الله فهذه آيته : لو كنت نكرة من الناس لما رضىت مطمئناً ، بإهمال شؤون عيشي إهمالاً طوال تلك السنين ، لأخصص نفسي لكم ، فقد جئتكم واحداً فواحداً ، شأن الوالد أو الأخ الأكبر ، فأحملكم على الفضيلة حملاً ، وليس ذلك ما عهدناه في طبيعة البشر ، ولو كنت قد أفدت من ذلك أجراً أو جزاء لكان لذلك مدلول آخر ، ولكن هل تجرؤ حتى وقاحة المدعين أن تدعى أنى أخذت أجراً أو سمعت إليه ؟ لأنهم لن يفعلوا ، لأنهم لن يجدوا لذلك دليلاً . أما أنا فعندى ما يؤيد صحة ما أقول وحسبى بالفقر دليلاً

قد يعجب بعضكم لماذا أطوف بالناس آحاداً ، فأسدى

إليهم النصيح وأشتغل بأمورهم ، ولا أجرؤ أن أتقدم بالنصح إلى الدولة بصفة عامة ؟ وإليكم سبب هذا : كثيراً ما سمعتمونى أتحدث عن راعية أو وحي يأتينى ، وهى معبودتى التى يهزأ بها مليتس فى دعواه ، ولقد لازمنى ذلك الوحي منذ طفولتى ، وهو عبارة عن صوت يطوف بى فينهانى عن أداء ما أكون قد اعتزمت أدائه ، ولكنه لا يأمرنى بعمل إيجابى ، فذلك ما حال دون اشتغالى بالسياسة ، وإخال ذلك آمن الطرق ، فلست أشك أيها الأثينيون — فى أنى لو كنت ساهمت فى السياسة للآليت منيتى منذ أمد بعيد ولما قدمت خيراً لكم أو لنفسى ، وأرجو ألا يؤلّمكم الحق إن أنبأتكم به ، فالحق أنه يستحيل على من يرافقكم إلى الحرب أو أى اجتماع آخر ويقاوم فساد الأخلاق وأخطاء الدولة أن ينجو بحياته . فإن من يحارب مخلصاً فى سبيل الحق لن يمتد به الأجل إلى حين ، إلا إن كان مشغولاً بالأعمال الخاصة دون العامة ، وإن أردتم لذلك برهاناً ما سقت إليكم كلاماً فحسب ، بل ذكرت لكم حوادث بعينها ، وهى أقوى حجة من الألفاظ ، فاسمحو لى أن أقص عليكم طرفاً من حياتى الخاصة ، ينهض دليلاً على أنى لم أخضع قط لظلم خشية الموت ، حتى لو وثقت بأن العصيان سيُعقَّبُ من فوره موتاً محققاً . سأقص

عليكم قصة قد تشوقكم أولاً تشوقكم ، ولكنها مع ذلك حق .  
 إننى لم أشغل منصباً إلا مرة عضواً فى مجلس الدولة ، وكانت  
 رئاسة المجلس عند محاكمة القواد الذين لم ينقذوا جثث القتلى بعد  
 موقعة أرجنيس ، لقبيلة أنتيوخس — وهى قبلى — فرأيتهم أن  
 نحاكمهم جميعاً ، وكان ذلك منافياً للقانون كما أدركتم ذلك  
 جميعاً فيما بعد ، ولكنى كنت إذ ذاك وحدى بين أهل بريتان  
 أعارض الإقتئات على القانون ، وأعلنت رأيي مخالفاً لكم . ولما  
 تهددنى الخطباء بالحبس والطرْد ، وصحتم جميعاً فى وجهى ، آثرت  
 أن أتعرض للخطر مدافعاً عن القانون والعدل على أن أساهم فى  
 الظلم خشية السجن أو الموت ؛ حدث ذلك فى عهد الديمقراطية ،  
 فلما تولى زمام الأمر الطغاة الثلاثون ، أرسلوا إلى وإلى أربعة  
 معى ، وكنا تحت السقيفة ، فأمرونا أن نسوق إليهم ليون  
 السلامي من بلدة سلامس لينزلوا به الموت — وذلك مثلاً  
 لأوامرهم التى اعتادوا أن يلقوها لى يشركوا معهم فى جرائمهم  
 أكبر عدد ممكن من الناس ، فبرهنت لهم قولاً وعملاً ، أنى  
 لا أعبأ بالموت ، وأنه لا يزن عندى قشة ، إن صح هذا التعبير ،  
 وأن كل ما أخشاه هو أن أسلك سلوكاً معوجاً شائناً ، فلم أرهب  
 طغيان تلك العصابة الظالمة ، ولم تضطرنى إلى ركوب الخطأ . فلما

أخرجنا من السقيفة حيث كنا ، ذهب الأربعة الآخرون إلى سلامس في طلب ليون ، أما أنا فقد أخذت سميتي نحو الدار في هدوء صامت ، وكنت أتوقع أن أفقد حياتي لقاء ذلك العصيان لولا أن دالت دولة الثلاثين بعد ذلك بقليل ، وما أكثر من يشهدون بصدق ما أقول

وهل تظنون أنه قد كان يمتد بي الأجل إلى هذه السن ، لو قد ضربت في الحياة العامة بنصيب ، على فرض أني — كما ينبغي للرجل الصالح — لزممت جانب الحق ، وأحلت العدالة من نفسي ما هي جديرة به من مكان رفيع ؟ كلاً ثم كلاً ! فلو قد عولت ، أو عول كائن من كان ، على ذلك ، لما أتيت لي — بني أمينا ! — البقاء ، ولكني لم أحد فيما فعلت — عامًا كان أم خاصًا — عما رسمت لنفسى من جادة ، فلم أنغمس فيما انغمس فيه هؤلاء الذين أشيع بين الناس أنهم تلاميذى ، أو من عدام ، فلم يكن لي في حقيقة الأمر تلاميذ دائمون ، إذ أبحت الحضور لكل من أراد حضوراً واستماعاً ؛ إنى كنت مؤدياً رسالتى ، لا فرق عندى بين شيخ وشاب ، لم آتخذ شرطاً ، ولم ألتبس أجراً ، فكان الحوار مشاعاً لمن أنقد ومن لم يُنقد ، فلمن شاء أن يوجه إلى سؤال ، أو يجيب لي عن سؤال ، أو يصغى إلى ما أقول من حديث ،

أما أن ينقلب أحد أولئك بعد ذلك خيراً أو شريراً ، فليس عدلاً أن أحمل تهمة ، لأننى لم أعلمه شيئاً . وإن زعم امرؤ أنى ربما علمته أو أسمعته شيئاً فى خلوة خاصة خفيت على الناس جميعاً ، فاعلموا أنه إنما يزعم لكم باطلاً

فاذا سئلت : لماذا يصادف الناس من حوارك المتصل لذة ومتاعاً ؟ أجبت أيها الأثينيون بالحقيقة التى أنبأتكم بها ، وهى أنهم يستمتعون بشهادة أدعياء الحكمة فى امتحانهم ، فلمهم فى ذلك لذة ، وذلك واجب أمرى به الله ، كما علمت يقيناً من الرسل والرؤى ، وكل طريقة أخرى يمكن لإرادة القوى الإلهية أن تفصح بها عن نفسها لكائن من كان . أيها الأثينيون ! ذلك حق ، فإن كان افتراء فما أهون أن تكذبوه ، ولو كنت أفسد الشبان حقاً ، وكنت قد أفسدت بعضهم فعلاً ، لوجب أن يتصدى منهم للانتقام أولئك الذين تقدمت بهم السن ، فأدركوا ما نفثت لهم فى نصحى من سوء أيام الشباب ، فإن لم يفعلوا ذلك بأنفسهم وجب أن ينهض ذوو قرباهم أو آباؤهم أو إخوانهم ، أو من إلى هؤلاء ، فيقتضينى ما أنزلت بأبنائهم من سوء ، ها قد حان حينهم ، ولانى لأرى منهم فى الحكمة كثيراً ، ها هو ذا أقريطون وهو يعدلنى سنّاً ، وهأنذا أرى ابنه كريتو بوليس . وذلك



ليسانياس السفيطى أبو أشينس ألحه بين الحضور ، وذاك أتيفون  
السفيسى أبو أبجينوس ، وهؤلاء إخوة كثير من التفوا حولى ،  
فهناك نيكوسترانوس بن تيوسدوتيد وأخو تيودوتس ( وقد اختار  
الله تيودوتس إلى جواره ، فهو على أية حال انت يستطيع لى  
معارضة ) وذلك بارالوس بن ديمودوكس ، وقد كان له أخ يدعى  
تياجس ، وأديمانتوس بن أرستون الذى أرى أخاه أفلاطون بين  
الحاضرين ، وكذلك أرى بينكم آنتودورس ، وهو أخو  
أبولودورس . ويمكننى أن أذكر غير هؤلاء كثيرين ممن كان  
لزماً على مليتس أن يقدم منهم للشهادة من يشاء فى سياق دعواه ،  
ومع ذلك فادعوه الآن يستشهدهم إن كان قد فاته ذلك أولاً ،  
وسأفسح له الطريق . سلوه هل بين هؤلاء من يشهد له فيقدمه ؟  
كلا أيها الأثينيون ، فنقيض ذلك هو الصحيح ، إذ هؤلاء  
لا يأتون أن يؤيدوا بالقول ذلك المتلاف الذى أفسد ذويهم ،  
— كما يسمينى مليتس ، وأنيتس ، لى لا أستشهد الشبان الذين  
أفسدتهم لحسب ، فقد يكون عند هؤلاء ما يحيد بهم عن الحق ،  
ولكنى أستشهد ذويهم ، وهم بعيدون عن إفسادى ، ويكبرون  
أولئك منا ، فلماذا يظاهرونى بشهادتهم ، إلا أن يكون ذلك  
تأييداً للحق والعدل ؟ فهم يعلمون أنى أقول الصدق ، أما مليتس  
فمفتبر كذاب

أيها الأثينيون ! هذا وما إليه هو كل دفاعي الذي وددت أن ألقيه ، ولكني أرجو أن أضيف إليه كلمة أخرى : قد يكون بينكم من يصب على نعمته إذا ما ذكرت كيف استجدي الشفاعة والرحمة بعينين باكيتين في مثل هذا الموقف أو ما هو دونه خطراً ، وكيف ساق أبنائه إلى المحكمة في جمع من أصدقائه وأقربائه لعله يحرك بذلك الرحمة في النفوس ، ثم ينظر فلا يراني أهم بمثل ذلك ، على ما يهدد حياتي من الخطر ؛ قد يطوف بذهنه هذا فيقف منى موقف العداوة ، ثم يصوت وهو في سورة من الغضب لأن موقفي لا يرضيه ، فان كان ذلك الرجل بينكم ، ولا أحسبه كذلك ، فإليه أسوق الحديث رقيقاً : أي صديقي ! إنني رجل ككل الناس خلقت من لحم ودم لا من خشب وحجارة ، كما يقول هومر ، ولي أسرة ولي أبناء ، عداهم — أيها الأثينيون — ثلاثة ، بلغ أحدهم الصبا وما يزال الآخران طفلين ، ومع ذلك فلن أسوق إليكم منهم أحداً يستجديكم براءتي . ولم لا ؟ لست أصدر في ذلك عن اعتداد بنفسى أو ازدراء لكم ، وسواء خشيت الموت أم لم أخش فذلك شأن آخر لن أتحدث عنه الآن ، وإنما دفعني إلى ذلك عقيدة أن ذلك تصرف يضع من قدرى ويحط من شأنكم ويصم الدولة بأسرها وصمة العار ، فلا يجوز لرجل

قضى من العمر ما قضيت ، وذاع صوته فى الحكمة بحق أو بغير حق ، أن يحقر من نفسه . فهما يكن من أمر ، فقد استقر رأى الناس أجمعين على أن سقراط يفضل من عداه فى إحدى نواحيه ، فإن كان أولئك الذين يقال عنهم إنهم يفضلوننى حكمة وشجاعة وما شئت من فضيلة ، يمتنون أنفسهم بمثل ذاك السلوك ، فواخجلتاه مما يفعلون ! فقد شهدت ناساً من ذوى الصوت الذائع يفعلون ساعة الحكم عليهم عجباً عجيباً فبدوا كأنما خيل إليهم أنهم ذاهبون ، إذا قضيتهم عليهم بالموت ، إلى حيث الرعب والجزع ، كأنهم حسبوا أن لو خليت بينهم وبين الحياة السبيل فسيكونون من الخالدين ، إنما هؤلاء فى حسابى وصمة عار فى جبين الدولة ، ولو أبصرهم وافد غريب لا نقاب إلى أهله يروى عن أثينا أن أعلام رجالها الذين يرفعهم الأثينيون فوق الهام ويسلمونهم زمام الأمر ، لا يفضلون الناس فى شيء ، ولا يجوز فى اعتبارى أن يكون ذلك من هؤلاء الذين بلغوا بيننا شأواً عظيماً ، فإن وقع فلا تدعوه حادثاً يمضى ، ولا تأخذكم بهم هودة وخذوا بالشدة كل من يقف منكم هذا الموقف المتوجع ، لأنه بذلك يعرض المدينة للسخرية ، ولا كذلك الصابر الوديع ودعوكم من العار ، فيلوح لى أن فى استرحام القاضى

واستجدائه العفو في مكان إقناعه وإنبائه بالنبا الصحيح خطأ ،  
فليس واجب القاضي أن يمنح العدالة منمحا ، بل عليه أن يحكم  
حكما عادلا ، وقد أقسم أن يحكم وفق القانون ، دون أن يميل مع  
الهموى ، ولا يجوز له ولا لنا أن نتعود الحلف باطلا ، فلا أحسب  
في ذلك شيئا من الورع والتقوى . فلا تريدوني إذن على أن  
أفعل ما أعدة فجورا وشينا وخطلا ، ولا سيما وأنتم تحاكونني فيما  
ادعاه مليتس غنى من فجور ، فلو استطعت أيها الأثينيون أن  
أحيد بكم بالإغراء والرجاء عن قسمكم لكنت بذلك معلمكم  
الكفر بالآلهة ، ولا تقلب دفاعي على اتهاماً بالزيف عن الإيمان ،  
ولكن الواقع غير هذا ، فمقيدي في الآلهة قائمة على شعور أسى  
جدا مما تقوم عليه عقيدة أى مدع من المدعين . فأنا أضع  
قضيي أمامكم وأمام الله لتحكموا فيها بما هو خير لى ولكم

وهنا حكم على سقراط بالموت

\*\*\*

أيها الأثينيون ! لقد قضيتم بإدانتى ، فلم يُرشدنى هذا  
القضاء ، وعندى لذلك أسباب كثيرة ، فقد كنت أتوقع ذاك ؛  
ولشد ما أدهشنى أن كادت تتعادل الأصوات ، فقد ظننت أن  
فريق الأعداء لا بد أن يكون أوفر من ذلك عدداً ، وإذا بكفة

البراءة لو زاد مؤيدوها ثلاثين صوتاً لرجحت ، أفلم أظفر بهذا على مليتس ؟ بل إنى لأذهب إلى أبعد من الظفر فأزعم أنه لولا أن ظاهره أنيتس ولبقون لما ظفر بخمس الأصوات الذى يحتمه القانون ، ولا اضطر تبعاً لذلك إلى دفع غرامة قدرها ألف دراهمة كما ترون

ولذلك يقترح أن يكون الموت جزائى ، فإذا أقترح بدورى أيها الأثينيون ؟ <sup>(١)</sup> بالطبع ما أرانى جديراً به . فإذا ينبغى أن أبذل من غرم أو أنال من غنم ، ماذا أتم صانعون . برجل لم يوفقه الله أبداً ليصطنع البلادة طوال أيام حياته ، وأهل ما عنيت به كثرة الناس — أغنى الثروة ومصالح الأسرة والمناصب الحربية ، ولم يقل فى جمعية الشعب قولاً ولم يشترك فى مجالس الحكام ، ولم يساهم فى الدسائس والأحزاب بنصيب ؟ كلما فكرت أنى كنت رجلاً بلغ من الشرف حداً بعيداً . فسلكت من سبل الحياة ما سلكت ، لم أقصد إلى حيث لا أستطيع أن أعمل خيراً لكم ولنفسى ، بل التمت طريقاً أمكنتنى أن أقدم لكل منكم على حدته خيراً عظيماً ، وحاولت

(١) كان من عادة الأثينيين أن يقترح المدعى حكماً والمدعى عليه حكماً آخر ثم ترى المحكمة بعد ذلك رأيها

أن أحمل كل رجل بينكم على وجوب النظر إلى نفسه لينشد  
 الفضيلة والحكمة قبل أن ينظر إلى مصالحه الخاصة ، وأن يضع  
 الدولة في اعتباره فوق مصالحها ، فيكون ذلك دستوراً لأعماله  
 جميعاً . ماذا أتم صانعون بمثل هذا الرجل أيها الأثينيون !  
 لا إخالكم إلا مجازيه خيراً إن كان لا بد من الجزاء ، ويجدر  
 باحسانكم أن يحبىء ملائماً لحالته ، فإذا يحسن برجل فقير أحسن  
 إليكم الصنيع ، ويرغب في الفراغ ليتمكن من تعليمكم ، سوى أن  
 يظل أبداً في مجلس الدولة ؛ وإنه أيها الأثينيون لأجدر بهذا  
 الجزاء ممن كوفي في أولمبيا في سباق الخيل أو سباق العجلات ،  
 سواء أكان يشد عجلته جوادان أو أكثر ، لأنني فقير محتاج ،  
 وذاك غني عنده ما يسد منه العوز ، على أنه لا يعطيكم إلا سعادة  
 ظاهرية ، أما أنا فأدلكم على الحقيقة . فإذا كان لي أن أقدر  
 لنفسى عقوبة عادلة ما قلت بغير البقاء في مجلس الدولة جزاء أوفى  
 قد يذهب بكم الظن أني إنما أتحداكم بهذا كما فعلت حينما  
 حدثتكم عن الزراعة والبكاء ، كلا فليس الأمر كذلك ، إنما  
 أقول هذا لأنني أعتقد أنني لم أسئ إلى أحد عامداً ، ولا أظنني  
 قادراً على إقناعكم بذلك في هذا الحوار القصير ، فلو كان في أثينا  
 قانون — كما هي الحال في سائر المدن — لا يبيح حكم الإعدام

في يوم واحد ، لاستطعت فيما أعتقد أن أقنعكم ، أما الآن فالفترة وجيزة ، ولا يمكنني أن أدحض في لحظة هؤلاء المدعين الفحول ، وإن كنت كما ظننت لم أسيء إلى أحد فلن أقدم بالإساءة إلى نفسي قطعاً ، وإذن فلن أعترف بنفسى بأنى حقيق بالسوء ، ولن أقترح عقوبة ما ؛ ولماذا أفضل ؟ أخوفاً من الموت الذى يقترحه مليتس ؟ على حين أنى لا أعلم إن كان الموت خيراً أم شراً ! لماذا أقترح عقاباً فيكون شراً مؤكداً لا مفر منه ؟ أقترح السجن ؟ ولماذا أزج في غياهبه فأكون عبداً لحكام هذا العام — أعنى الأحد عشر ؟ أم أقترح أن أعاقب بالتغريم ، وأن أسجن حتى تدفع الغرامة ؟ فالاعتراض بنفسه قائم ، لأننى لا بد أن ألبث في السجن ، لأننى لا أملك مالاً ولا أستطيع دفعاً ؛ وإن قلت النفى ( وربما قرأىكم على هذه العقوبة ) وجب أن يكون حب الحياة قد أعنى بصيرتى ، لأنكم وأنتم بنو وطنى لا تعاقبون رؤيتى ولا تسيغون كلامى ، لأنه فى رأيكم خطر ذمى ، فوددت لو نجوت من شرى عسى أن يعطيه سواكم ، فما حياتى فى هذه السن ، ضارباً من مدينة إلى مدينة مشرداً أبداً ، طريداً دائماً ، يلفظنى البلد فى إثر البلد ، فما أرتاب فى التفاف الشبان حولى أينما حللت كما فعلوا هنا ، فلو نفضتهم رغبوا إلى أوليائهم فى طردى فاستجابوا

لرجائهم ، ولو تركتهم يسعون إلى طردني آبائهم وأصدقائهم  
صوناً لأنفسهم

رب قائل يقول : نعم ياسقراط ، ولكن ألا تستطيع أن  
تمسك لسانك حتى إذا ارتحلت إلى مدينة أخرى ما اشتبك  
إنسان معك ؟ وعسير جدا أن أفهمكم جوابي عن هذا السؤال ،  
فلو أنبأتكم أنني لو فعلت ذلك لكان عصياناً مني لأمر الله ،  
ولذلك لا أملك حبساً للسانى ، لما صدقتم أن يكون جدا ما أقول ،  
ولو قلت بعد ذلك إن أعظم ما يأتى به الإنسان من خير هو أن يحاور  
كل يوم فى الفضيلة وما يتصل بما سمعتمونى أسائل فيه نفسى  
وأسائل الناس ، وإن الحياة التى تخلو من امتحان النفس ليست  
جديرة بالبقاء ، كنتم لهذا أشد تكذيباً ، ولكنى لا أقول إلا حقا  
وإن عنى على إقناعكم بصدقه ؛ إنى لم أعهد نفسى جارمة تستأهل  
العقاب ، ومع ذلك فلو كان لدى مال لا قترحت أن أعطيكم  
ما أملك ، ولم يكن ذلك ليضيرنى فى شىء ، ولكنكم ترون أنى  
لا أملك مالا ، لا بل أظننى قادرا على دفع مينة واحدة ( المينة  
تساوى مائة دراخته ) ولذا أقترح هذه العقوبة ؛ إن أصدقائى :  
أفلاطون ، وأقريطون ، وكريتوبوليس ، وأبولودورس ، وهم بين  
الحاضرين يرجون منى أن أقول ثلاثين مينة ، يضمنون هم دفعها ؛



حسناً ، إذن فاحكموا بثلاثين مينة ، ولتكن هي عقوبتي ،  
وأحسب هؤلاء كفلاء بدفعها

\*\*\*

أيها الأثينيون ! لن تفيدوا بقتلي إلا أمدا قصيرا ،  
وستدفعون له ثمناً ما تنطلق به السنة السوء تذيب عن المدينة العار ،  
ستقول عنكم إنكم قتلتم سقراط الحكيم ، فسيدعوني وقتئذ  
بالحكيم وإن لم أكن حكيماً تقريباً لكم ، ولو صبرتم قليلاً  
لظفرت بما تبتغون بطريق طبيعية ، فلقد طعمت في السن كما ترون ،  
ودنوت من أجلى ، إنما أسوق هذا الحديث إلى هؤلاء الذين  
حكموا على بالموت ، وأحب أن أضيف إليهم كلمة أخرى : قد  
تحسبون أن اتهامى جاء نتيجة لى لسانى ، فلو قد آثرت أن أفعل  
كل شيء وأن أقول كل شيء ، لجازى أن أظفر بعفوكم ، ولكنى  
لم أفعل ذلك ، فليس عيا فى لسانى ما أدى إلى إدانتى ، ولكنه  
ترفعى عن القحة والصفاقة ، وصدوفى عن مخاطبتكم بما كنتم  
تحبوننى لأن أخطبكم به : بالعويل والبكاء والرثاء ، وأن أقول  
وأفعل كثيرا مما تعودتم استماعه من الناس ، وهو لا يجمل بى  
كما ذكرت ، فقد رأيت واجبى ألا أتبدل فى العمل ، أو أسف  
فى ساعة الخطر ، ولست آسف على ما سلكت من طريق للدفاع ،

فانى لأوثر خطي التي رسمتها ولو أدت بي إلى الموت ، على أن  
أصطنع خطيكم احتفاظاً بالحياة ، فلا يجوز لإنسان في ساحة الوغي  
أو أمام القانون أن يلتمس أى سبيل فراراً من الموت ؛ فلو أتى  
المحارب بسلاحه في المعركة ، وجثا على ركبتيه أمام مطارديه لظفر  
غالبًا بالنجاة من الموت ، ولكل ضرب من ضروب الخطر طرق  
للنجاة من الهلاك ، إذا لم يتعفف المرء عن كل قول وكل فعل مهما  
يكن شائئاً ، فليس عسيراً أيها الأصدقاء أن نفر من وجه الموت ،  
ولكن العسر كل العسر في تجنب الأخلاق الفاسدة ، فالفساد  
والموت يعدوان في أعقابنا ، ولكن الفساد أسرع من الموت  
عدوا ، فإنا الذي اكتملت ، إنما أسير سيرا وثيداً ، فيكاد  
يدركني أبطأ العاديين ، أما اللدعون فسراع متحمسون ، وسيلحق  
بهم أسرعهما — أعنى الفساد ؛ وبعد فسأترك موقفي هذا ،  
وقد جرى على قضاؤكم بالموت ، وكذلك هم سينطلقون كل إلى  
سبيله ، وقد قال فيهم الحق كلمته ، بأن يعانون ما هم فيه من ضعة ،  
ولا بد لي أن أخضع لما حكم على به ، وعليهم كذلك أن يرضوا  
بما كتب لهم ، أحسب أن قد جرى القدر بهذا جميعاً ، فعسى  
أن يكون خيراً ، ولا أحسبه إلا كذلك

وبعد ، فيا هؤلاء الذين أجروا على قضاءهم ، هاكم نبوءتي

التي أحب أن أبلغكم إياها ، لأنى مُشَف على الموت ، وتلك ساعة يوهب فيها المرء مقدرة على التنبؤ . أتنبأ لكم يا قاتلى بأنه لن يكاد ينفذ حكم الموت حتى ينزل بكم ما هو أشد من ذلك هولا . لقد حكمتم بموتى ، لأنكم أردتم أن تغفلوا من ذاك الذى يتهكم ، ولكيلا تحاسبوا على ما قدمت أيديكم ، ولكن لن يكون لكم ما ترجون ، بل نقيضه . فسيكون متهمكم أوفر عدداً منهم اليوم ، إذ سيهب فى وجوهكم من كنت مُسكِتهم حتى الآن ، وسيكون أولئك أشد قسوة عليكم لأنهم دونكم سنا ، وسيذيقونكم من العذاب أكثر مما تذوقون اليوم ، فإن حسبتم أنكم خالصون من متهمكم بقتله ، كى لا ينقص عليكم عيشكم ، فأنتم مخطئون ، إذ ليست تلك سبيلا مؤدية إلى الفرار ، ولا هى مما يشرفكم ، وأيسر من ذلك وأشرف ألا تهاجوا الناس ، بل تبادروا بإصلاح أنفسكم . تلك هى نبوءتى التى أبلغها إلى القضاة الذين حكموا علىّ قبل رحيلى .

وأنتم أيها الأصدقاء الذين سعوا إلى براءتى ، أحب كذلك أن أتحدث إليكم عما وقع ، عند ما يشغل الرؤساء ، وقبل أن أذهب إلى مكان موتى ، فالبشوا قليلا ، لأننا نستطيع أن نتحدث بعضنا إلى بعض ما دامت هناك فسحة من وقت . أتم أصدقائى

وأحب أن أدلكم على معنى هذا الذي وقع . يا قضايتي — فأنا أدعوك قضاء بحق — أحب أن أحدثكم بأمر عجيب ، لقد كانت مشيرتي حتى الآن ، تلك المشيرة التي عهدتها في دحياتي ، لا تفتأ تردني في توافه الأمور ، إن كنت مقدماً على زلل أو خطأ في أي شيء ، والآن — كما ترون — قد داهمني ما يحسبه إجماع الناس أقصى الشرور وأقساها ، ولم تلوح لي مشيرتي بعلامة المعارضة حينما تركت داري في الصباح ، ولا حين كنت أصعد إلى هذه المحكمة ، ولا حين ألقيت كل ما اعتزمت أن أقوله ، ومع أني عورضت كثيراً أثناء الحديث ، إلا أن المشيرة لم تعارضني في كل ما قلت أو فعلت مما يتصل بهذا الأمر ، فبم أعلم هذا ، وكيف أفهمه ؟ سأخبركم : إنني أعد هذا دليلاً على أن ما حدث لي هو الخير ، ويخطئ من يظن منا أن الموت شر . هذا دليل ناهض على ما أقول ، لأن الإشارة التي عهدتها لم تكن لتتردد في معارضتي لو كنت مقبلاً على الشر دون الخير

لنقلب النظر في الأمر ، وسنرى أن ثمة بارقة قوية من الآمل تبشر بأن الموت خير . فاحدى اثنتين : إما أن يكون الموت عدماً وغيوبة تامة ، وإما أن يكون كما يروى عنه الناس تغيراً وانتقالاً للنفس من هذا العالم إلى عالم آخر . فلو فرضتم فيه

انعدام الشعور ، وأنه كرقدة الذئب الذي لا تزججه حتى أشباح  
 الرؤوس ، ففي الموت نفع لا نزاع فيه ، لأنه لو أُتيح لإنسان أن  
 يقضى ليلة لا يزجج نعاسه فيها شيء ، حتى ولا أحلامه ، ثم قارنها  
 بما سلف في حياته من ليال وأيام ، وسئل بعد ذلك : كم يوماً  
 وليلة قضّاها بين أعوامه وكانت أبهج من تلك الليلة وأسعد ؟  
 فلا أحسب أحداً — ولا أختص بالقول أحداً — بل لن يجد  
 حتى أعظم الملوك بين أيامه ولياليه كثيراً من أشباهها . فإذا كان  
 الموت كهذا فأنعم به ، وليس الخلود إذن إلا ليلة واحدة ! أما إن  
 كان الموت ارتحالا إلى مكان آخر ، حيث يستقر الموتى جميعاً  
 كما يقال ، فأى خير يمكن أن يكون أعظم من هذا أيها الأصدقاء  
 والقضاة ! وإذا كان حقاً أنه إذا بلغ الراحل ذلك العالم الأدنى ،  
 خلاص من أساطين العدل في هذا العالم ، وألغى قضاة بمعنى الكلمة  
 الصحيح ، إذ يقال إن القضاء هناك في أيدي مينوس ،  
 ورادامنتوس ، وإيكوس ، وترتوليموس وسائر أبناء الله الذين  
 عمروا حياتهم بأقوم الأخلاق ، فما أحب إلى النفس ذاك الارتحال  
 وهل يضن الرجل بشيء إذا أُتيح له أن يتكلم مع أورفيوس ،  
 وموسبيوس ، وهزيود ، وهوميروس ؟ كلا ، لو كان هذا حقاً  
 فذرّوني أمت مرة ومرة ، فسأصاف متاعاً رائعاً في مكان

أستطيع فيه أن أتحدث إلى بالاميدس ، وأچا كس بن تلامون ، وغيرهم من الأبطال القدامى الذين تجرعوا المنون بسبب قضاء ظالم ، ولا أظننى حين أقارن الآن آلامى بآلامهم إلا مغتبطاً مسروراً . وفوق كل هذا فساتممكن من استئناف بحثى فى المعرفة الحق ، والمعرفة الزائفة ، وكما فعلت هنا سأفعل فى العالم الثانى ، وسأكشف عن الحكيم الصحيح ، وعن يدعى الحكمة باطلا . بماذا يظن الرجل أيها القضاة إذا أتيح له أن يمتحن قائد الحملة الطروادية الكبرى أو أوديس ، أو سفسوس وغير هؤلاء ممن لا يقعون تحت الحصر رجالا ونساء ؟ ألا ما أعظمها غبطة لا تجد تلك التى أجدها فى نقاشهم ومحاورتهم ، لأنهم فى ذلك العالم لن يقضوا على أحد بالموت من أجل هذا . كلا ولا ريب ، هذا فضلا عما يصادفه الناس فى ذلك العالم من سعادة عزت على هذه الدنيا فإن صح ما يقال فهم ثمة خالدون

فابتسموا إذن للموت أيها القضاة واعلموا علم اليقين أنه يستحيل على الرجل الصالح أن يصاب بسوء ، لا فى حياته ولا بعد موته ، فلن تهمله الآلهة ، ولن تهمل ما يتصل به ، كلا ، وليست ساعتى الآزفة قد جاءت بها المصادفة العمياء ، فلست أرتاب فى أن الموت مع الحرية خير لى ، ولذلك لم تشر مشيرتى بشئ .

ولست لهذا غاضباً من المدعين ، أو ممن حكموا علىّ ، فما  
 نالتني منهم إساءة ، ولو أن أحداً منهم لم يقصد إلى أن يعمل  
 معي خيراً ، وقد أعاتبهم لهذا عتاباً رقيقاً

وإن لي عندهم لرجاء ، فأنا ألتمس أيها الأصدقاء ، إذا  
 ما شب أبنائي ، أن تنزلوا بهم العقاب . وأحب أن تؤذوهم كما  
 آذيتكم ، وذلك إن بدا منهم اهتمام بالثروة ، أو بأى شيء أكثر  
 مما يهتمون بالفضيلة ، أو إذا هم ادعوا أنهم شيء ، وكانوا في  
 حقيقة الأمر لا شيء . إذن فأنحوا عليهم باللائمة كما فعلت معكم ،  
 لإهمالهم ما ينبغي أن يبذلوا فيه عنايتهم ، ولظنهم أنهم شيء على  
 حين أنهم في الواقع لا شيء . فإذا فعلتم هذا ، أكون قد نالني  
 ونال أبنائي العدل على أيديكم

لقد أزفت ساعة الرحيل ، وسينصرف كل منا إلى سبيله ؛  
 فأنا إلى الموت ، وأنتم إلى الحياة ، والله وحده عايم بأيهما خير

## مقدمة « أقریطون »

لا يعلم على وجه الدقة إن كان هذا الحوار قد وقع بهذا النص الذى أثبتته أفلاطون أم اخترعه اختراعاً ، ومهما يكن من أمر فقد صور أفلاطون سقراط فى هذا الحوار ، لا فى رداء الفيلسوف الذى يؤدى فى حياته رسالة إلهية ، ولكن فى صورة ابن الوطن الصالح الذى يقبل على الموت رضى النفس مطمئن الضمير ، تنفيذاً لقوانين الدولة ، التى يرى وجوب احترامها حتى ولو كانت فى قضائها جائرة كما هى الحال فى قضيته

ها هو ذا أجل سقراط يدنو من ختامه ، فلقد أنبأه « أقریطون » ، صديقه الشيخ حين زاره فى سجنه قبيل بزوغ الفجر ، أن السفينة التى بوصولها ينفذ حكم الإعدام ، قد شوهدت وهى تطلع من « صنيوم » . هذا وإن سقراط نفسه قد رأى فى نومه أنه سيفارق الحياة فى اليوم الثالث ... إذن قد أزف الموت فالوقت ثمين ، ولهذا جاء أقریطون مبكراً لى يحمل الفيلسوف على الفرار الذى هياً له الأسباب ، وما كان تدبير فراره عسيراً على أصدقائه الذين لن يصادفوا فى تخليصه خطراً يعدل



ما سيصيبهم من العار لو تركوه بين يدي الموت . . . . . نعم جاء  
أقريطون قبيل بزوغ الفجر يغري الفيلسوف أن يعمد إلى الفرار ،  
فواجهه أن يفكر في أبنائه ، وألا يذر نفسه لعبة أعدائه ، وإنه  
لمستعد أن يمده بالمال ، حتى إذا ما ارتحل عن أثينا لم يجد عسراً  
في أن يجد له كثيراً من الأصدقاء الأوفياء . فيرد سقراط بأنه  
يخشى أن يكون أقريطون قد تأثر برأى الكثرة مع أن سقراط  
لم يكن يعنى في ترجيح الرأى بكثرة قائله ، بل كان يستمع إلى  
ما يمليه العقل ، وإلى الرجل الواحد الذى يكون حكماً حتى  
ولو عارض رأى الكثرة الغالبة . ألم يسلم أقريطون نفسه فيما  
سبق من الأيام بصحة هذا الرأى ، فلا ينبغي لأحد أن ينساق  
لرأى الناس إن كان مخالفاً للعقل ، إذ لا خير في الحياة إلا إذا  
كانت خيرة عادلة ، فلا عبرة إذن بما يقوله أقريطون مما قد  
يلحقهم من سوء الأحداث ، أو مما قد يلحق أبناء سقراط من  
أذى وإهمال ، فلا سوء الأحداث ، ولا أذى الأبناء بمبررين  
كافيين للفرار ، إنما السؤال الذى يجب أن يُلقى هو هذا : هل  
من الصواب أن يحاول الهرب ؟ وأقريطون خير من يجيب على  
هذا السؤال لأنه سيبحثه بحث الحايد الذى لا يتأثر بموت مقبل  
كما كان سقراط حينئذ . إنه حدث قبل محاكمة سقراط أنه

ناقش أصدقاءه ومنهم أقریطون فأجمعوا عندئذ على أنه لا يجوز لأحد أن يقترب الشر أو أن يرد الشر بالشر، فهل من الحكمة أن ينكص سقراط على عقبيه وينقض ما كان قرره، لالشيء إلا لأن ظروفه قد تغيرت؟ فلا يسع أقریطون أن يسلم بأن المبادئ الصحيحة يجب اتباعها، فيسأله سقراط: وهل يتفق الفرار مع تلك المبادئ التي أقروها معاً، فلا يستطيع أقریطون أن يجيب، أو قل إنه لم يرد أن يجيب

فيمضى سقراط قائلاً: هب قوانين أثينا جاءت فحاسبته لماذا يحاول أن يثور عليها، فماذا هو قائل؟ أيقول لأنها أساءت إليه، وعندئذ تجيبه القوانين بأن ذلك يخالف ما بينها وبينه من اتفاق وعهد، فإنه قد جاء إلى العالم في ظلها، ونشأ وترعرع في كنفها، فإذا لم تكن توافقه فلماذا لم يخاف أثينا ويقصد إلى حيث يشاء من بلاد الأرض حيث تطيب له القوانين؟ ولكنه على عكس ذلك عاش في أثينا سبعين عاماً متصلة، وهو أمد طويل لم يتوفر لأحد غيره من أبناء المدينة... هكذا بين سقراط لصديقه أقریطون أن بينه وبين قوانين المدينة عهداً لا يقوى على نكثه دون أن يتعرض هو للعار، ودون أن يتعرض أصدقاؤه للخطر. إنه كان يستطيع أثناء محاكمته أن يقترح على

القضاة عقوبة النفي . لكنه أعلن حينئذ أنه يؤثر الموت على النفي ، وهبه هاجر أثينا فأين يذهب ؟ إنه إذا قصد إلى دولة منظمة القوانين عدته قوانينها عدوا لها ، وإذن فلن يستطيع أن يرتحل إلا حيث الفوضى كتساليا مثلاً ، ثم افرض أنه قصد إلى بلد لا قانون فيه مثل تساليا هذه ، فإذا عساه صانع فيها ؟ أيمضى في إلقائه دروس الفضيلة على الناس ؟ إن ذلك يكون قحة منه لا تحتل . ثم ماذا يفيد أبنائوه إن هو استصحبهم إلى تساليا فأضاع عليهم شرف الانتماء إلى أثينا ؟ فإن قلنا يخلفهم وراءه في أثينا تحت رعاية أصدقائه ، فإذا يمنع رعاية الأصدقاء لأبنائه بعد موته ، أم الأصدقاء الأوفياء يخلصون له العهد ما دام حياً ؟ فإن تولى ذهب وفائهم ؟

كلا إنه ينبغي أن ينظر إلى العدالة أولاً ، ثم إلى الحياة والأبناء ثانياً ، فليرحل في براءة وسلام دون أن يلوث نفسه بفعل الشر ، هذا هو صوت وحيه فليصدع بما يأمر الوحي

\*\*\*

أراد أفلاطون بهذا الحوار أن يرد التهمة التي طالما ترددت في سقراط من أنه لم يكن مواطناً صالحاً لمدينته ، ويظهر أن

أفلاطون لم يكن يقصد بهذا الدفاع عن أستاذه إلى أهل أثينا في ذلك الحين ، بل هو يتوجه به إلى الأجيال المقبلة كلها ليريهم كيف كان سقراط على أتم الولاء للقوانين ، وأنه لم يكن قط ناثراً عليها ناقضاً لها

ونحن لا نستطيع أن نجزم برأى في صحة زيارة أقریطون لسقراط في السجن ، واقتراحه عليه الفرار وتزيينه له وإغرائه به ، وليس من العسير على أفلاطون أن ينتحل هذا الحادث انتحالاً ليؤلف عليه الحوار ، وشاء فن أفلاطون أن يختار أقریطون دون سائر الأصدقاء ليعرض على سقراط خطة الفرار ، لأنه كان كهلاً رزيناً ، صديقاً وفيّاً لسقراط ؛ فكان بهذه الصفات أنسب من يتقدم لسقراط بمثل هذا الاقتراح على فرض حدوثه

وإن فقهاء القانون ليختلفون في هل يحق للرجل أن يقات هارباً إذا قضت عليه قوانين دولته بحكم جائر ، فلا تعمد بينهم من يقول إن سقراط كان يجب عليه أن يهرب ليعيش مؤثراً عمل الخير على موت مجيد ، ولكن أفلاطون لم يتعرض في الحوار لمثل هذه الاعتراضات واكتفى بأن يعرض المثل الأعلى للفضيلة

التي تأتي أن ترتكب أهون الشر لكي تتخلص من أعظمه ،  
وإنه ليصور أستاذه متمسكا قرب موته بالآراء التي اعترف بها  
في حياته ، فلقد لبث سقراط حتى النهاية متشبثاً بالمبدأ القائل  
ألا نأبه لما يقوله الناس بل العبرة بما يقوله « الفرد الحكيم » ،  
فلا ينبغي أن ننقاد إلا للعقل وحده حتى ولو انتهى بنا  
إلى الموت

إن هذا الحوار الصغير مثل رائع للجدل الصحيح ، إذ ترى  
فيه كيف إذا سلمت بالمقدمة فلا مهرب من نتائجها

---

# أقريطون

## أو واجب المواطن

أشخاص الحوار : سقراط . أقريطون  
مكان الحوار : سجن سقراط

سقراط : ما الذى أتى بك الساعة يا أقريطون ؟ إنها الآن  
جد باكورة

أقريطون : بلى إنها كذلك

سقراط : كم هى على التحديد ؟

أقريطون : الفجر فى البروغ

سقراط : عجيب أن يأذن لك حارس السجن بالدخول

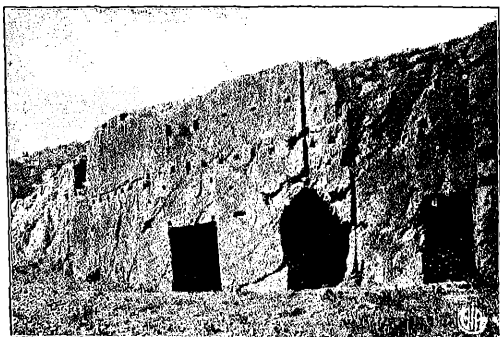
أقريطون : إنه يعرفنى يا سقراط لأننى جئت مراراً ،

ولأننى فوق ذلك ذو فضل عايه

سقراط : أجئت الآن تو ؟

أقريطون : كلا بل جئت منذ حين

سقراط : إذا فما النبى أجلسك صامتاً ، وكان



### سجن سقراط

وفيه اجتمع تلاميذ سقراط حول أستاذهم يحاورونه في مسائل الحياة والموت والخلود





أخلق بك أن توقظني على الفوز ؟

أقريطون : حقا يا سقراط إني لم أكن لأرضى لنفسي كل هذا الغم والأرق ، ولكنني أخذت بالعجب أن رأيته في نعاس هادئ ، فلم أرد لهذا أن أوقظك ، وآثرت لك أن تظل بعيداً عن الأسى ، لقد عرفتكم دائماً سعيداً بما لك من مزاج هادئ ولكنني لم أر الدهر ضريباً لك في احتمالك لهذا المصائب مستخفاً باسمي !

سقراط : إن الإنسان يا أقريطون إذا عمر ما عمرت فلا ينبغي له أن يجزع من شبح الموت

أقريطون : ولكن سواك من الكهول ، إذا ما نزلت بهم أشباه هذه الكوارث لا يمنعهم الهرم من الجزع

سقراط : قد يكون ذاك ، ولكن هلا حدثتني عما أتى بك في هذه الساعة الباكورة ؟

أقريطون : أتيت أحمل نبأ مؤلماً يبعث على الشجن ، لا بالنسبة إليك فيما أظن ، بل بالنسبة لنا جميعاً — نحن أصدقاءك — وهو عندي أبلغ ما يكون إيلاماً

سقراط : ما ذا ؟ أحسب أن قد عادت السفينة من

ديلوس<sup>(١)</sup> ووصولها نذير بموتى ؟

أقريطون : كلا ، لم تبلغنا السفينة بعد ، ولكنها ربما وصلت اليوم ، فقد أنبأنى أناس جاءوا من صونيوم ، أنهم خلفوها هناك ، وإذن فأخريوم من حياتك يا سقراط هو الغد سقراط : مرحى يا أقريطون ، إن كانت هذه إرادة الله فرحباً بها ، ولكنى أعتقد أن سيؤجل الأمر يوماً آخر أقريطون : ومن أنبأك هذا ؟

سقراط : هاك الخبر . إنى بالغ أجلي فى اليوم التالى لوصول السفينة

أقريطون : نعم ، وهذا ما يرويه أولو الأمر سقراط : ولكنى لا أظن السفينة بالغتنا إلا غداً . عرفت ذلك من رؤيا رأيته ليلة أمس ، بل كنت أراها الآن توا ، حين تركتنى — لحسن حظى — نائماً أقريطون : وكيف كانت رؤياك تلك ؟ سقراط : جاءتنى شبيهة امرأة جميلة وسيمة ، تذررت

---

(١) قد كان الأثينيين شهر حرام يمنع فيه إعدام المجرمين ، وهو شهر كانت تقضى فيه سفينة مقدسة إلى معبد ديلوس ثم تعود ثانية فلم يكن يجوز أن ينفذ الموت فى أحد من أبناء أثينا ما دامت السفينة فى رحلتها تلك ولذا كان لا بد لسقراط بعد الحكم عليه أن يظل فى سجنه حتى تعود السفينة

بثوب أبيض ، وصاحت بي قائلة : يا سقراط : إنك ذاهب إلى  
أخراك في اليوم الثالث منذ الآن

أقريطون : ما أعجبه من حلم يا سقراط !

سقراط : معناه ظاهر يا أقريطون ، وليس فيه مجال

للريب

أقريطون : نعم إنه جلي غاية الجلاء ، ولكن ، أواه !  
يا عزيزي سقراط ، دعني أتوسل إليك مرة أخرى ، أن تأخذ  
بنصحي فتعتمد إلى الهروب ، لأنك إذا مت فلن أفقد فيك  
صديقاً فريداً وكفى ، ولكن نمة فوق ذلك شرا : سيزعم من  
لا يعرفك ولا يعرفني من الناس أنني كنت أستطيع لك النجاة  
لو أتت رغبت في بذل المال ، ولكني لم أعبا بك ، أفيمكن أن  
يكون بعد هذا العار عار — أن يقال إنني آثرت المال على حياة  
صديق ؟ وهيهات أن يقتنع الدهماء بأنني أردتك على الفرار  
فرفضت

سقراط : وفيه العناية بمحديث الدهماء يا عزيزي أقريطون  
سترى الفئنة الصالحة في ذلك رأياً صواباً يطابق ما وقع ، وهي  
وحدها جديرة بالاعتبار<sup>(١)</sup>

---

(١) يعبر سقراط في هذا عن رأيه الذي أخذ به في حياته ، وهو ألا  
يعبر رأى الناس التفاتاً ، وألا يصنى إلا إلى ما يعليه العقل الحكيم دون  
سواه كائنات ما كان وقعه عند الناس .

أقريطون : ولكنك ترى يا سقراط أن رأى الدهاء لا بد من اعتباره وذلك ظاهر في قضيتك أنت ، ففي مقدورهم أن ينزلوا أفدح الحن بمن لم يظفر عندهم بالرضى كائناً من كان سقراط : ليتهم يستطيعون ذلك يا أقريطون فذلك كل ما أرجوه ، إذ لو استطاعوا لكان كذلك في وسعهم أن يفعلوا أعظم الخير ، فيكون ذلك منهم جميلاً . ولكنهم في حقيقة الأمر عاجزون عن فعل الخير والشر على السواء ، وليس في مقدورهم أن يصيروا الرجل حكيمًا أو فدمًا ، وكل أفعالهم وليدة المصادفة أقريطون : نعم ولست منازعك في ذاك ، ولكن هلاً تفضلت فأنبأتني يا سقراط — إن كنت لا تغض النظر عني وعن سائر أصدقائك فيما تصرف من الأمر — أأست تخشى أنك إن قررت من هذا المكان فقد يصيبنا النمامون بالضرر بسبب اختطافك ، وأنا قد نفقد أملاً كنا كلها أو جلها ، أو قد ينزل بنا من الشر ما هو أشد من ذلك هولاً ؟ فليطأ ثن قلبك إن كان ذلك ما تخشاه . فواجب حتم علينا أن نحاطر بهذا ، وبما هو أعظم من هذا في سبيل نجاتك ، فاقنع إذن بما أقول ، وافعل بما أشير

سقراط : نعم يا أقريطون ، وليس هذا الذي ذكرته

كل ما أخشى ، وإن يكن جانباً منه

أقریطون : لا تخف . إن هناك نفراً يود لو ينجيك فينتزعك من غيابة السجن ، ولن يكلفهم ذلك شططاً ، أما النمامون فهم كما ترى لا يشتطون في الطلب ، ويقنعهم من المال قليله . إن مالى بأسره رهن إشارتك ، وهو كافٍ فيما أعتقد ، فإن أشفت أن ينفد كله ، فها هم أولاء نفر من الغرباء يمدونك بما يملكون ، وهذا أحدهم سيماس الطيبى قد أحضر معه لهذا الغرض نفسه مبلغاً من المال . وذلك سيبيس وغيره كثيرون ، يتمنون أن يبذلوا في سبيلك أموالهم ، إذن فلا تحسب لذلك حساباً ، ولا تتردد في تنفيذ الفرار . ولا تقل كما قلت في المحكمة إنك لا تدرى ماذا عساك أن تفعل بنفسك إن فررت ، فأنى حلت نزات من الناس منزلاً كريماً ، وليس ذلك قاصراً على أثينا ، فثمة في تساليا ستجد من أصدقائى حماية وتقديراً إن أحببت الذهب إليهم ، ولن تصادف بين بنى تساليا جميعاً فرداً يصيبك بالأذى ، ولست أرى بعد هذا كله ما يبرر لك يا سقراط أن تفرط في حياتك ، والنجاة ميسورة مستطاعة . إنك لتلعب بنفسك في أيدى أعدائك وقائليك ، بل إنى لأزعم فوق هذا أنك إنما تسمى إلى أبنائك ، لأنك آثرت أن ترتحل تاركهم لما قسمت لهم

حفظو ظهم وكان في وسعك أن تقوم بنفسك على تنشيتهم وتربيتهم ،  
فإن لم يصبهم ما يصيب اليتامى عادة من قضاء ، ما استحققت  
عندهم من الشكر إلا قليلا ، فليس لإنسان أن يقذف في العالم  
بأطفال لا يحب أن يستमित حتى النهاية في إطعامهم وتربيتهم ،  
ولكنك تختار أيسر الأمورين ، فيما أظن ، لا أحسن الأمرين  
وألصقهما بالرجولة ، وكان ذلك أجدر برجل مثلك يبشر بالفضيلة  
في أفعاله جميعاً . حقا إنى لأستحي منك بل من أنفسنا نحن  
أصدقاءك ، كلما دار بخلدى أن قصتك هذه جميعاً ، ستنسب إلى  
نقص في بسالتنا ، فما كان ينبغي أن تكون المحامكة ، أو كان يجب  
أن تحتم بغير ما ختمت به ، وهذه النهاية التي أراها أسوأ  
العيب ، متبدو للناس كأنما صادفت منا ارتياحاً ، لما أبدينا من  
ضعة وخور ، نحن الذين كان بوسعنا أن ننجو بك ، كما كان  
بوسعك أن تنجو بنفسك ، لو كنا نملك لأى شىء نفعاً ( إذ لم  
يكن الفرار أمراً عسيراً ) وسيُظن يا مقراط أننا لم نقدر أن ذلك  
كله سينقلب علينا وعليك بؤساً وعاراً ، ففكر إذن في الأمر  
إن لم تكن قد اعترمت بعد شيئاً ، فقد انقضت فرصة التفكير  
ولم يعد لديك إلا أمر واحد يجب إنجازه هذا المساء ، لو كنت  
تريد له إنجازاً ، فإن أرجأت أمرك تعذر واستحال ، وعلى ذلك

فأنا أتوسل إليك يا سقراط أن تسلس لى القياد وأن تفعل بما به أشير

سقراط : أى عزيزى أقرىطون ! ما أعز حماسك وما أنفسه ، لو كان فى جانب الحق ، أما إن كان للباطل فكلمنا ازداد الحماس اشتعالاً ازداد الأمر سوءاً ، فلننظر إذن إن كانت هذه الأعمال واجبة الأداء أم ليست كذلك ، فقد كنت دائماً ، وما أزال ، من تلك الطبائع التى تلتزم دليل العقل ، كائننا ما كان رأيه ، مادام يبدو عند التفكير أنه رأى الأمل . أما وقد أصابتنى هذه الحنة فلا يسعنى أن أهمل الآن ما ارتأيت به قبلاً ، فما زالت مبادئى التى طالما أجلتها وقدستها ؛ تنزل عندى منازل الإجلال والتقديس <sup>(١)</sup> . فثق أنى لن أظاهرك فى رأى ، اللهم إلا إذا اهتدينا الآن إلى مبدأ يكون خيراً منها . نعم ، لن أصنى إليك حتى ولوزادنى الدهاء حبساً ومصادرة وموتاً ، ملقين فى نفوسنا من أراجيف الشياطين المفزعة ما نفرع به الأطفال ؟ فأى سبل التفكير أهذى

(١) يشير سقراط بهذا الحديث إلى المحاورات الكثيرة التى عقدها هو وأصحابه قبل محاكمته حول ما يجب على الإنسان من حيث علاقته بالمجتمع ، وكانوا قد انتهوا من تلك المحاورات إلى طائفة من المبادئ أقروها جميعاً ، وخلصتها أنه لا يجوز للإنسان أن يفعل الشر ، أو أن يرد الشر بالشر ، أو أن ينقض الحق مهما كانت الظروف . فهو هنا لا يرضى لنفسه أن يهدم تلك المبادئ التى أقرها هو ومحاوروه بحجة أن ظروفه تقتضى منه ذلك

إلى بحث هذا الموضوع ؟ أعوداً إلى رأيك الذي سقته من قبل عما يقول الناس عنا ، وبعضه يستحق الاعتبار دون بعض كما سبق لنا القول ؟ أكننا نصيب لو أننا أخذنا برأيك ( وهو أن يقام وزن لما يقول الناس ) قبل الحكم بالإدانة ؟ أم هل ينقلب الرأي الذي كان صائباً حيناً ما ، كلاماً مجرد الكلام ، ويتبين أنه لم يكن في الواقع إلا عبثاً اتخذ سبيلاً للتسلية واللهو ؟ ابحث . هي هذا يا أقريطون : أترى أن لم يعد منطق الذي اتخذته أولاً يلائم على أية حال ما يكتنفى الآن من ظروف ، أم لست ترى الأمر كذلك ؟ ثم هل هو حقيق عندي بالرفض أم بالقبول ؟ إن كثيراً ممن يزعمون لأنفسهم رجاحة الرأي يذهبون فيما أعتقد إلى هذا الذي أشرت إليه من قبل ، وهو أن من الناس بعضاً يجدر بأرائهم الاعتبار ، وأما بعضهم الآخر فلا يصح أن يؤبه له . وأنتك يا أقريطون لست مقبلاً غداً على موت ، أو ليس هناك احتمال بشيء بهذا على الأقل ، فأنت إذن حاكم صالح ، لا يؤثر فيك الهوى ولا تميل بك ظروفك وموقفك عن جادة الحق . حدثني إذن : ألسنتُ مصيباً فيما أزعم ، ألا نقدر من آراء الناس إلا بعضها فقط ؟ لقد أخذتُ بهذا الرأي ، وأنا أسألك هلاً تراني قد أصبت فيما ارتأيت ؟



أقريطون : ليس في ذلك ريب

سقراط : ألا يجب أن نحفل بما يقوله أبرار الناس دون

شرارهم ؟

أقريطون : بلى

سقراط : وما يرى الحكماء فهو خير ، وما يرى غير الحكماء

فهو شر ؟

أقريطون : لا شك في ذلك

سقراط : لننظر ما قيل في غير هذا الموضوع ، هل يطلب

إلى طالب التمرينات البدنية أن يصفى إلى القدح والثناء ، وإلى

رأى كل إنسان فيه ، أم يجب أن يستمع إلى رأى رجل واحد

فقط — هو طبيبه أو مدربه كائنًا من كان ؟

أقريطون : إنه يستمع إلى رأى رجل واحد فحسب

سقراط : أينبغى أن يخاف اللوم وأن يرحب بالثناء يوجهه

ذلك الرجل وحده ، وألا يأبه للوم الناس ومدحهم ؟

أقريطون : بدهى ما تقول

سقراط : ويجب أن يعيش ويُدرَّب ، وأن يأكل

ويشرب ، على نحو ما يبدو صالحًا لذلك المعلم الأوحده ،

وهو عليم بأمره ، فذلك أجدى من السير تبعًا لما يراه سوى

معلمه من الناس ولو كانوا أجمعين ؟

أقريطون : هذا حق

سقراط : وأنه لو عصى هذا الرجل وحده وغض النظر عن آرائه ومدائحهم واضعاً في اعتباره رأى الكثرة التى لا تفقه من الأمر شيئاً ، أفلا يعانى شرورا ؟

أقريطون : إنه بغير شك يعانيتها

سقراط : وماذا عساها تكون تلك الشرور ؟ إلام تنحو ؟ وأى شئ تصيب من الشخص المتمرد ؟

أقريطون : لا ريب فى أنها ستصيب منه الجسد ، فذلك ما تقوى على هدمه الشرور

سقراط : ذلك جد جميل ، أليس ذلك حقاً يا أقريطون بالنسبة إلى الأشياء الأخرى ، ولا حاجة بنا إلى ذكرها تفصيلاً ؟ أينبغى أن تتبع رأى الجهرة ، ونخشاها فى موضوعات العدل والظلم ، والجميل والقبيح ، والخير والشر ، وهى ما نحن الآن بصدد بحثه ، أم تتبع فى ذلك رأى الرجل الواحد الذى يفهمها ، والذى يجب أن يكون له منا هيبة وإجلال أكثر مما يكون لسائر الناس أجمعين ، والذى إن نبذنا قوله فإنما نهدم فى أنفسنا جانباً كان يرجى له أن يُقوِّمَ بالعدل وأن يسوء بالظلم ، أليس فينا ذلك الجانب ؟

أقريطون : إنه موجود يا سقراط ، ولا شك فى وجوده  
سقراط : خذ مثلاً شبيهاً بهذا : هبنا انتصحننا بما  
ينصح به هؤلاء الذين لا يفقهون فأفسدنا من أنفسنا جانباً ،  
تصلحه الصحة ويتلفه المرض — أفنكون الحياة جديرة بالبقاء ،  
إذا ما فسد ذاك ؟ وإنما أعنى به الجسد

أقريطون : نعم

سقراط : أفى وسعنا أن نعيش وأجسامنا مصابة بالشر  
والفساد ؟

أقريطون : كلا ولا ريب

سقراط : وهل تساوى الحياة شيئاً إذا ما فسد من الإنسان  
جزؤه الأسمى ، ذلك الذى تقومه العدالة ويفسده الجور ، أفيمكن  
أن يكون ذلك العنصر الذى يرتبط أمره بالعدل والجور — مهما  
يكن شأنه فى الإنسان — أدنى منزلة من الجسد ؟

أقريطون : كلا ولا شك

سقراط : هو إذن أرفع مقاماً

أقريطون : هو أرفع مقاماً إلى حد بعيد

سقراط : إذن فلا ينبغي يا صاح أن نأبه لما نقوله الجهرة  
عنا ، إنما يجب أن نضعنى لحكم الحقيقة ، كما نستمع إلى رأى

ذلك الواحد الذى يفهم كنهه العدل والظلم ، فأنت إذن قد وقمت  
 فى الخطأ حين ارتأيت وجوب العناية بما يقوله الدهماء فى الظلم  
 والعدل ، والخير والشر ، والزائن والشائن ، سيقول أحد :  
 « ولكن الدهماء فى مقدورها إعدامنا »

أقريطون : نعم يا سقراط ، سيكون ذلك بغير شك رد  
 ما تقول

سقراط : هذا حق ، ولكن مع ذلك يدهشنى أن أرى  
 الحجّة القديمة لا تزال فيما أحسب قائمة قوية كما كانت ، وأحب  
 أن أعرف إن كنت أستطيع أن أقول هذا القول فى قضية  
 أخرى — وهى أن ليست الحياة حقيقة بالتقدير ما لم تكن قبل  
 كل شيء حياة خيرة.

أقريطون : نعم بلى لنا أن نبحث هذه أيضاً  
 سقراط : والحياة الخيرة تعادل الحياة العادلة الشريفة —  
 أليس هذا كذلك صحيحاً ؟

أقريطون : نعم إنه صحيح  
 سقراط : سأنتقل من هذه المقدمات إلى البحث عما إذا  
 كان واجباً على أن أحاول الفرار بغير موافقة الأثينيين ، أم أن  
 ذلك لا يجوز ؟ فإن كنت على حق صريح فى الفرار ، حاولته ،

وإن لم أكن ، امتنعت . أما سائر الاعتبارات التي ذكرتها  
 عن المال وضيعة الأخلاق وواجب تربية الأطفال ، فهي كما  
 بلغت ليست إلا تعاليم الدهماء الذين لو استطاعوا لما أبوا أن يبعثوا  
 إلى الحياة أناسا ، كما أنهم لا يتعففون عن أن يوردوا الخلف  
 أناسا ، وتكفيهم في كلتا الحالتين أو هن الأسباب . أما وقد  
 وصلنا بالجدل إلى هذا الحد ، فقد بقيت لنا مشكلة واحدة جديرة  
 بالبحث ، وهي : هل نكون على حق في الهروب بأنفسنا ، أو في  
 تحميل سوانا عناء عوننا في الفرار ، لقاء نقدم جزاء وشكورا ، أم  
 لا نكون ، فإن كانت الأخيرة فلا ينبغي أن يحسب حسابا لموت  
 أو لما شئت من الكوارث التي قد تنجم عن بقاء هنا

أقريطون : أحسبك مصيباً يا سقراط ، فكيف سبيلنا  
 إذن إلى البحث ؟

سقراط : لننظر معا في الأمر ، فإن استطعت لما أقول  
 تنفيذاً فافعل ، وسأقنع بك ، وإلا فأمسك يا صديقي العزيز ،  
 ولا تقل ثانية بأنه يجب عليّ أن ألوذ بالفرار برغم إرادة الأثينيين  
 وليتني أجد منك إقناعاً ، ولشد ما أرغب في هذا على ألا يكون  
 ذلك مخالفاً لما أراه حكماً سديداً ، وتفضل الآن فانظر في موقعي  
 الأول ، وحاول ما استطعت أن تجيب عما أقول

أقريطون : سأبذل في ذلك وسعى

سقراط : أفيجوز لنا القول بأنه لا ينبغي لنا قطعاً أن نتعمد الخطأ ، أم أن فعل الخطأ مقبول حيناً مرذول حيناً آخر ، أم أن فعله أبداً شر ووصمة عار كما سبق لي القول الآن وسلمنا بصحته معاً ؟ أفنبيذ الآن كل ما سمحنا لأنفسنا به منذ أيام قلائل ؟ أم أننا قضينا هذا العمر الطويل ، يحاور بعضنا بعضاً في حماسة وإخلاص لكي نوقن ونحن في هذه السن بأننا لا نفضل الأطفال في شيء ؟ أم نشق ثقة قاطعة بصحة ما قيل من قبل ، من أن الجور دائماً شر وعار على الجائر . برغم ما يرى الدهماء ، وبرغم ما ينجم عن ذلك من نتائج ، حسنة كانت أم سيئة ؟ هل نؤيد هذا ؟

أقريطون : نعم

سقراط : إذن يجب ألا نفعل الخطأ

أقريطون : يقيناً يجب ألا نفعله

سقراط : وإذا أصابنا الضرر فلا نرده بضرر مثله ، كما نتخيل كثرة الناس ، لأنه يجب ألا نصيب أحداً بضرر

أقريطون : واضح أن ذلك لا يجوز

سقراط : ثم هل يجوز لنا أن نفعل الشر يا أقريطون ؟

أقريطون : لا يجوز قطعاً يا سقراط

سقراط : وما رأيك فى رد البشر بالبشر ، وهى أخلاق الدماء ،  
أذلك عدل أم ليس بالعدل ؟

أقريطون : ليس بالعدل

سقراط : فلأن تصيب أحداً بشركا أن تصيبه بضر

أقريطون : صحيح جداً

سقراط : إذن لا ينبغي لنا أن نأخذ بالثأر ، ولا أن نرد  
الشر بالبشر لأحد ما ، كائننا ما كان الشر الذى ابتلانا به ، وأحب  
أن تنظر فى الأمر يا أقريطون : ترى هل كنت حقاً تعنى ما تقول ،  
ذلك لأنه لم يأخذ بهذا رأى يوماً ، ولن يأخذ به إلى آخر الدهر  
فريق من الناس كبير . ولا سبيل إلى اتفاق بين من يقرون هذا  
الرأى ومن لا يقرونه ، فإبداً من أن يزدرى بعضهم بعضاً ، عند  
ما يرون كم بينهم من شقة الخلاف : حدثنى إذن : أأنت متفق  
معى ومؤيدى فى مبدئى ذاك ، وهو أن ليس من الحق إيقاع  
الضر ، ولا الأخذ بالثأر ، ولا رد الشر بالشر ؟ أبسلم أنت بهذا  
مقدمة لحديثنا ، أم أنت منكسر له راغب عنه ؟ لقد كان ذلك  
مذهبى منذ عهد بعيد ، وما يزال كذلك ؛ فإن كنت ترى غير  
ذلك رأياً ، فهات باعندك ؛ أما إن كنت بعد هذا كله لا تزال  
عند رأيك الأول ، انتقلت معك فى الحديث خطوة أخرى

أقريطون : إننى ثابت عند رأيى ، فتستطيع أن تسير فى الحديث

سقراط : سأنتقل إذن إلى الخطوة الثانية التى يمكن أن توضع فى صيغة هذا السؤال : أينبغى للإنسان أن يفعل ما يراه حقاً ، أم ينبغى له أن ينقض الحق

أقريطون : إنه يجب على الإنسان أن يفعل ما يظنه حقاً  
 سقراط : ولكن ما تطبيق هذا إن صح ؟ أأست أسمى  
 إلى أحد أن تركت السجن برغم إرادة الأثينيين ؟ أو على الأصح ، أأست أخطئ فى حق أولئك الذين ينبغى أن يكونوا من أبعد الناس عن الإساءة ؟ ألا يكون ذلك تطبيقاً لمبادئ التى سلمنا معاً بعدها ؟ ماذا تقول فى هذا ؟

أقريطون : لست أدرى ياسقراط ، فلا أستطيع أن أقول شيئاً

سقراط : إذن فانظر إلى الأمر على هذا الوجه : هبنى هممت بالأبوق (أو إن شئت فسم هذا العمل بما أردت من أسماء) فجاءت إلى القوانين والحكومة تسألننى : « حدثنا ياسقراط ، ماذا أنت فاعل ؟ أتريد بفعله منك أن تهز كيانتنا — أعنى القوانين والدولة بأسرها بمقدار ما هى فى شخصك ماثلة ؟



هل تنصور دولة ليس لأحكام قانونها قوة ، ولا تجد من الأفراد إلا نبذاً واطراحاً ، أن تقوم قائمتها ، فلا تندك من أساسها ؟ »  
 فماذا نجيب يا أقريطون عن هذه العبارة وأشباهاها ؟ وسيكون مجال القول واسعاً لكل إنسان ! ولا خطيب البليغ بنوع خاص ، يهاجمون هذا الشر الذي ينجم عن اطراح القانون الذي لا بد لحكمه من النفاذ . وربما أجبنا نحن : « نعم ، ولكن الدولة قد آذتنا ، وجارت علينا في قضائها » هبني قلت هذا  
 أقريطون : جميل جداً يا سقراط

سقراط : سيعيب القانون : « أفكان ذلك ما قطعته معنا من عهد ، أم كان لزاماً عليك أن تصدع لما حكمت به الدولة ؟ »  
 فإن بدت على من قولهم هذا علائم الدهشة ، فربما أضاف القانون قوله : « أجب يا سقراط بدل أن تفتح لنا عينيك : وقد عهدناك مسائلًا ومجيباً . حدثنا ، ما شكاتك منا ، تلك التي تسوغ لك محاولة هدمنا وهدم الدولة معاً ؟ فوق كل شيء ، ألم نأت بك إلى الوجود ؟ ألم يتزوج أبوك من أمك بعوننا فأعقبك ؟ قل إن كان لديك ما تعترض به على أولئك الذين ينظمون الزواج منا ؟ » وهنا لا بد من إجابتي أن لا ، « أو على أولئك الذين منا ينظمون طرائق التغذية والتربية للأطفال ، وفي ظلها نشأت

أنت ؟ ألم تكن القوانين التي نهضت بهذا على حق في أن طلبت إلى أليك أن يدر بك في الموسيقى ورياضة البدن ؟ » وهنا يلزم أن أجيب أن قد كانت على حق : « حسناً ، فإن كنا قد أتينا بك إلى العالم ، ثم أطعمناك فأنشأناك ، أفأنت جاحد أنك قبل كل شيء ابننا وعبدنا كما كان آباؤك من قبل ؟ فإن صح هذا فلسنا وإياك سواسية ، فلا تظن أن من حقك أن تفعل بنا ما نحب بك فاعلون ، وهل يكون لك أدنى حق في أن تنال أباك أو سيدك ، إن كان لك أب أو سيد ، بالضرب أو بالشم أو بغير ذلك من السوء ، إذا وقع عليك منه ضرب أو شتم ، أو أصابك منه غير ذلك من الشر ؟ — لا نخالك قاتلاً بهذا . وإذا كنا قد رأينا أن من الصواب إعدامك ، أفنظن أن من حقك أن تجازينا إعداماً بإعدام ؟ وأن تجازى وطنك بمقدار ما هو مائل فيك ؟ وهل تظن يا أستاذ الفضيلة أن يكون لك في ذلك ما يبررك ؟ أيعجز فيلسوف مثلك أن يرى بأن وطننا أخاق بالتقدير ، وأنه أسمى جداً وأقدس من أم أو أب أو من شئت من سلف ، وهو أجدر بالاعتبار في نظر الآلهة وأهل الفطنة من الناس ؟ وأنه إن غضب وجب أن نهدي من سبوره ، وأن نلاقيه لقاء وديعاً خاشعاً أكثر مما نفعل حتى مع الوالد ، فإن تعذر إقناعه وجبت

طاعته ! فإذا نالنا منه العقاب بالسجن أو بالجلد ، وجب أن  
نحتمل جزاءه في صمت ، وإن ساقنا إلى حومة الوغى حيث  
الجراح والموت ، كان لزاماً أن ننصاع له باعتباره مصيباً ، دون  
أن يسلم أحد منا أو يتقهقر أو يترك منصبه ، وواجب حتم على  
الإنسان أن يصدع بما يأمره به الوطن سواء أكان في ساحة  
الحرب أم في ساحة القانون ، إلا إذا غير من وجهة نظره في ماهية  
العدل ، وإن كان لا يجوز له أن يقسو على أبيه أو أمه ، فما  
أوجب أن يكون رحيماً على وطنه » بماذا نجب على هذا  
يا أقریطون ؟ آلقوانين فيما تقول صادقة أم ليست بصادقة ؟  
أقریطون : أحسبها صادقة فيما تقول

سقراط : ومستقول القوانين بعدئذ : « اعلم يا سقراط ،  
إن صح هذا ، أنك بهذه المحاولة إنما تسيء إلينا ، لأننا بعد إذ أتينا  
بك إلى الدنيا ، وأطعمناك وأنشأناك وأعطيناك كما أعطينا سائر  
أبناء الوطن قسطاً من الخير ، ما استطعنا للخير عطاء ، فقد أعلننا  
فوق ذلك على رؤوس الأشهاد أن من حق كل أثيني أن يدخل  
إلى حيث شاء حاملاً متاعه معه ، إذا هو نفر منا بعد أن تقدمت  
به السن فعرفنا حق المعرفة وعرف على أي الأسس تسير المدينة  
وليس فينا نحن القوانين ما يحول دونه أو يتدخل معه في أمره

فلكل منكم إذا ما كرهنا وكره المدينة ، وأراد الرحيل إلى إحدى المستعمرات أو إلى أية مدينة أخرى ، أن يذهب حيث شاء ، وأن ينقل متاعه معه ؛ أما ذلك الذى مر كنا فعرف كيف نقيم العدل وكيف ندير الدولة ؛ ثم رضى بعد ذلك المقام بيننا ، فهو بذلك قد تعاقد ضمناً على أنه لا بد فاعل ما نحن به آمرون فمن عصانا ، ونحن ما نحن ، فقد أخطأ مرات ثلاثاً : الأولى أنه عصى والديه بعصيانه إيانا ، والثانية أننا نحن الذين رسمنا له طريق نشأته ، والثالثة أنه قطع معنا على نفسه عهداً أنه سيطيع أوامرنا فلا هو أطاعها ، ولا هو أقنعنا بأنها خاطئة ، ونحن لا نفرضها عليه فرضاً غشوماً ، ولكننا نخبره ، فإما طاعتنا وإما إقناعنا ، هذا ما قدمناه إليه ، وهذا ما رفضه جميعاً . تلك هى صنوف المآخذ التى ستقيم من نفسك هدفاً لها يا سقراط إذا أنت أنجزت عزميتك ، كما سبق لنا بذلك القول . ولا سيما أنت دون الأثينيين جميعاً » وهبني سألت : ولم هذا ؟ فستجيب حقاً بأننى قد سلمت بهذا الاتفاق دون سائر الناس . ستقول القوانين « إن ثمة لبرهانا ساطعاً يا سقراط ، بأننا والمدينة معنا لم نكن لنعكر عليك صفو العيش ، فقد كنت أدوم الأثينيين جميعاً مقاما فى المدينة لم تغادرها قط ، حتى ليجوز لنا الفرض بأنك كنت تحبها .

إنك لم تغادرها مطلقا لتشهد الألعاب ، اللهم إلا مرة واحدة حين ذهبت لترى البرزخ<sup>(١)</sup> ، ولم تفصل عنها لتقصد إلى أى مكان آخر ، إلا إذا كنت فى خدمة الجيش ، ولم تسافر كما يسافر الناس ، ولم يدفعك حب الاستطلاع إلى رؤية الدول الأخرى لتلم بقوانينها ؛ فقد اختصاصتنا بحبك لم تجاوزه حدود دولتنا فكنا نحن أصفياك المخلصين ، وقد رضيت بحكمتنا إياك . إن هذه هى الدولة التى أعقت فيها أبنائك ، وإن ذلك لينهض دليلا على رضاك . هذا وقد كنت تستطيع لو أردت أن تقرر عقوبة النفي أثناء المحاكمة ، وإن كان الآن ثمة دولة تفاق دونك أبوابها فقد كانت حينئذ تسمح بذهابك إليها ، ولكنك ادعيت أنك تؤثر الموت على النفي ، وأنت لم تبتئس من الموت ، ولكن هانت ذا الآن قد أنسيت تلك العواطف الجميلة ، وترفض أن تحترمنا — نحن القوانين ، التى أنت هادما ، وإنك الآن لتفعل ما لا يفعله إلا العبد الخسيس ، فتولى أدبارك هاربا من العقود والعهود التى قطعتها على نفسك باعتبارك واحداً من أبناء الوطن ؛ فأجب لنا أولا عن هذا السؤال : أنحن صادقون فى القول بأنك اتفقت على أن تحكم وفقا لنا ، بالفعل لا بالقول فقط ؟ أهذا حق أم

(١) يرجح أن المقصود هنا برزخ كورنث الذى يصل شبه جزيرة

المورة بشبه جزيرة البلقان ، وبقربه تقع أثينا

كذب ؟ بماذا نجيب عن ذلك يا أقریطون ألسنا مضطرين إلى التسليم ؟

أقریطون : ليس عن ذلك منصرف يا سقراط

سقراط : أفلم تقول القوانين إذن : « إنك يا سقراط ناقض للمواثيق والعهود التي أخذتها معنا على نفسك اختياراً ، فما كنت في أخذها عجلاً ولا مجبراً ولا مخدوعاً ، ولكنك لبثت تتبعين عاماً تفكر فيها ، وكنت خلالها تستطيع أن تغادر المدينة إن كنا لم نصادف من نفسك قبولاً ، أو كنت قد رأيت فيما اتفقنا عليه إجحافاً بك . كنت في ذلك مخيراً ، وكان في مقدورك أن ترحل إما إلى لاقيديمون أو إلى كريت اللتين كثيراً ما امتدحتهما لحسن حكومتهما ، أو ترحل إلى أية دولة أجنبية يونانية أخرى . ولكنك كنت تبدو ، أكثر من سائر الأثينيين جميعاً ، شغوفاً بالدولة ، أو بعبارة أخرى ، بنا — أى بقوانينها ( إذ من ذا الذي يحب دولة لا قوانين لها ) فلم تتزحزح عنها قط ، ولم يكن الضمى ، والمرض ، والمقعدون ، بأكثر منك قبوعاً بها ؛ وهانت ذا الآن تفر ناقضاً ما قطعت من عهود . ما هكذا يا سقراط إن أردت بنا انتصاحاً ، لاتدع نفسك بهروبك من المدينة موضع السخرية

« وحسبك أن ترى أى خير تقدمه لنفسك أو لأصدقائك ،  
 إن أنت اعتديت أو أخطأت على هذا الوجه ؛ أما أصدقائك  
 فالأرجح أن يُشتردوا نفيًا ، وأن يسلبوا حق اتسابهم للوطن ،  
 أو أن يفقدوا أملاكهم . أما عن نفسك أنت ، فلو تسلت إلى  
 إحدى المدن المجاورة ، إلى طيبة ، أو ميفارا مثلاً ، وهما مدينتان  
 تسيطر عليهما حكومة حازمة ، فستدخلهما عدواً يا سقراط  
 وستنأصبك حكومتاهما الغداء ، وسينظر إليك أبناءهما الوطنيون  
 بعين ملؤها الشر لأنك هادم للقوانين ، وسيقر في عقول القضاة  
 أنهم كانوا في إدانتهم إياك عدولاً . فأغاب الظن أن يكون  
 مفسد القوانين مفسداً للشبان ، وأن يكون بلاء ينزل بالغفلة  
 على نبي الانسان . فلم يبق لديك إلا أن تفر من هذه المدن  
 المنظمة ، ومن ذوى الفضل من الرجال ، ولكن أين يكون الوجود  
 حقيقاً بالبقاء على هذه الحال ؟ أم أنك ستعشى هؤلاء الناس في  
 صفاقة يا سقراط لتتحدث إليهم ؟ وماذا أنت قائل لهم ؟ أفقول  
 ما تقوله هنا من أن الفضيلة والعدالة والتقاليد والقوانين أنفس  
 ما نأتم به على الناس ؟ أيكون ذلك منك جيلاً ؟ كلا ولا ريب .  
 أما إن قررت من الدول ذوات الحكم الحازم ، إلى تساليا حيث  
 أصدقاء أقر يبطون ، وحيث الإباحية والفوضى ، فسيجدون متاعاً

في قصة هروبك من السجن ، مضافا إليها ما يبعث على السخرية من التفصيل عن كيفية تنكرك في جلد عنزة أو ما عده من أسباب التنكر ، وعما بدلك من ملاحك كما جرت بذلك عادة الآبقين — ليس ذلك كله ببعيد ، ولكن ألن تجد هناك من يذكرك بأنك وأنت هذا الشيخ الكهل ، قد نقضت أشد القوانين تقديسا ، من أجل رغبة حقيرة في استزادة الحياة زيادة ضئيلة ؟ قد لا تجد إذا استرضيتهم ، ولكن لا تلبث أن تثور منهم سورة الغضب ، حتى يصكوا مسمعك بما يجاللك عارا . إنك ستعيش ، ولكن كيف ؟ متملقا للناس جميعا وخادما للناس جميعا . وماذا أنت صانع ؟ — ستأكل في تساليا وتشرب ، لأنك قد غادرت البلاد لكي تصيب في الغربة طعاما لغدائك ، وأين ترى ستكون تلك العواطف الجميلة التي تبديها حول العدل والفضيلة ؟ قل إنك راغب في الحياة من أجل أبنائك لتتهدم تربية وإنشاء — ، ولكن أنت مصطحبهم إلى تساليا ، فتغني عايمهم بذلك ألا يكونوا أبناء الوطن الأثيني ؟ أذلك ما ستمنحهم إياه من نفع ؟ أم أنت تاركهم واثقا بأنهم سيكونون أحسن رعاية وتربية مادمت أنت حيا ، حتى ولو كنت غائبا عنهم ، إذ يعنى بهم أصدقاؤك ؟ هل تخيل لنفسك أنهم سيعنون بهم ما أقمت في



تساليا ، أما إن صرت من أهل العالم الآخر ، فلن يعنوا بهم ؟  
كلا ، فإن كان من يسمون أنفسهم أصدقاء ، أصدقاءك حقا ،  
فإنهم لاشك معنيون بأبنائك

« اصنع إلينا إذن يا سقراط ، نحن الذين أنشأناك . لا تفكر  
في الحياة والأبناء أولاً ، وفي العدل آخراً ، بل فكر في العدل  
أولاً ، وارج أن تصيب البراءة عند ولادة العالم الأدنى . فان  
فعلت ما يأمر بك به أقريطون ، فلن تكون أنت ولا من يتعلق  
بك كائنا من كان ، أسعد أو أقدر أو أعدل في هذه الحياة  
ولا في أية حياة أخرى . فارحل الآن بريئاً ، مجاهداً لا فاعلاً  
للرذيلة ، ضحية الناس لا ضحية القوانين . أما إن صممت أن ترد  
الشر بالشر والضر بالضر ، ناقضاً ما قطعتة أمامنا على نفسك من  
عهود ومواثيق ، مسيئاً إلى أولئك الذين ينبغي ألا يمسهم من  
إساءتك إلا أقلها ، أعنى نفسك ، وأصدقاءك ، ووطنك ، ونحن  
فسننقم عليك ما دمت حيا ، وستستقبلك قوانين العالم الأدنى  
وهي إخوتنا ، عدواً ، لأنها ستعلم أنك لم تدخر وسعاً في هدمنا .  
إصنع إذن إلينا ، لا إلى أقريطون »

هذا هو الصوت الذي كأنى به يهمس في مسعى ، كما تفعل  
نفثات القيثارة في آذان المتصوف . أقول إن هذا هو الصوت

الذى يدوى فى أذنى فيمنعنى من أن أستمع إلى أى صوت سواه  
وإنى لأعلم أن كل ما قد تقوله بعد هذا سيذهب أدراج الرياح  
ومع هذا ، تكلم إن كان لديك ما تقوله

أقريطون : ليس لدى ما أقوله يا سقراط

سقراط : ذرنى إذن أتبع ما توحى به إلى إرادة الله

---

## مقدمة « فيدون »

مات سقراط ، ثم انقضت بعد موته شهور أو سنين ، فطلب إلى فيدون ، وهو التلميذ المحبب إلى أستاذه ، أن يقص على أهل « فليوس » كيف قضى سقراط ، وكيف أنفق أخريات ساعاته ، فاستجاب فيدون ، وقص هذا الحوار الذي تقدم له ، وإذن فالمحاورة قد صيغت بالضرورة في أسلوب القصة ، لأنه كان لا بد لفيدون أن يصف سقراط في حديثه وحركاته ، فلم يفته فيما روى أدق التفاصيل وكان السامعون يتابعون الحديث في شغف لا يقل عن شغف راويه ،

حكم على سقراط بالموت ، وكان لا بد له أن ينتظر في سجنه حتى تعود السفينة المقدسة من « ديولس » ، وهي رحلة تستغرق ثلاثين يوماً ، اتخذها الأثينيون شهراً حراماً لا يجوز القتل خلاله . فأنفق سقراط هذه الأيام يتحدث إلى صفوة مختارة من تلاميذه . فلما انتهى الشهر المحترم ، أقبل التلاميذ في ساعة بأكرة لكي يحاوروا سقراط الحوار الأخير ، وكان بين الحاضرين « سمياس » و « سيبيس » و « أقريطون » وحارس السجن الذي اختاره

أفلاطون ليصور به تأثير سقراط في عامة الناس

لم يكذب يدخل هؤلاء التلاميذ والأصدقاء ضرفة سقراط حتى هم هذا بإرسال زوجته وأبنائه — وكانوا في زيارته — إلى الدار لكي يتفرغ إلى محادثة أصدقائه ، وكان ساعتئذ قد حلت عنه القيود لتوّه فاتهمز هذه الفرصة وبدأ الحديث بأن لاحظ أن الالذة تعقب الألم (وهنا ينبغي أن نلاحظ أن أفلاطون يمهّد بذلك إلى نظريته التي سيبسّطها فيما بعد عن تعاقب الأضداد) ، فيقول عن اللذة والألم إنهما كأننا جديرين أن يمثلهما « إيسوب » في قصة فيصورهما مخلوقاً ذا رأسين ، فاستدعى ذكر « إيسوب » سؤالاً ألقاه « سيبس » يسأل سقراط عن العلة التي دفعته إلى قرض الشعر في السجن — إذ كان يحاول أن ينظم قصص إيسوب شعراً — مع أنه لم يكن شاعراً ، فأجاب سقراط بأنه إنما لجأ إلى ذلك لأنه أنذر مرّات عدة في أحلامه بوجوب ممارسته الموسيقى ، ولما كان حينئذ يدنو من الموت أراد أن يتحوط لنفسه فينفذ إرادة النذير الذي أهاب به في رؤاه تنفيذاً حرفياً من ناحية ، وروحياً من ناحية أخرى بنظمه للشعر وبتعليمه للفلسفة ، ويستطرد سقراط في الحديث فيذكر الموت والرغبة فيه مع تحرّيم الانتحار لعدم شرعيّته ، فيسأل « سيبس » لماذا يكون الانتحار في رأى

الناس خطيئة إذا كان الموت خيراً ؟ فيجيبه سقراط بأن الإنسان سجين لا يجوز له شرعاً أن يفتح باب سجنه بنفسه ليفر هارباً ، وثانياً لأن الإنسان ليس ملكاً لنفسه ولكنه ملك للآلهة ، فليس له الحق إذن في أن يتصرف فيما ليس ملكاً له ؛ فيسأل « سيديس » قائلاً لماذا يرغب الإنسان في الموت ما دام ملكاً للآلهة مع أنه بذلك سيفقد أصدقاءه ( هو هنا يعرض بسقراط ) فيقول سقراط إن الإنسان يرغب في الموت لأنه سيكون في حماية الآلهة وهو من غير شك لا يستطيع أن يعنى بنفسه كما تعنى به الآلهة . . . ثم يستطرد سقراط فيقول إن الفيلسوف يريد الموت ، ولكن ليس معنى الموت الذي يريده الفيلسوف هو ما يفهمه الناس ، فما معناه إذن ؟ الموت هو انفصال الروح عن الجسد ، والفيلسوف يريد هذا النوع من الانفصال لأنه يود أن يتحرر من عالم اللذة الجسدية ومن الحواس التي تشوش التفكير العقلي . إن الفيلسوف يريد أن يتخلص من عينيه وأذنيه ليشهد الحقيقة بضوء العقل وحده . فكل ما يصيب الناس من شر وكل ما ينفمسون فيه من أسباب الفجور وألوان الرغبة إنما مصدره الجسد ، والموت هو الذي ينجيه من تلك المفاصل التي لا يستطيع وهو حي أن يتخلص منها ، فإذا كان الفيلسوف يريد هذا الانفصال

ويتمناه فهل يندم إذا حانت ساعته ؟ إذا كان ميتاً في حياته  
فلماذا يخشى هذا النوع الثانى من الموت مع أنه وحده السبيل إلى  
مشاهدة الحكمة فى صفائها ؟

هذا إلى أن سقراط يخالف سائر الناس فى رأيه عن الخير  
والشر ، فالناس شجعان حين يخشون خطراً أعظم مما يقبلون عليه  
بشجاعتهم ، وهم معتدلون حين يندشون باعتدالهم لذة أعظم من  
اللذة التى يصيبونها فى إسرافهم ، فأما الفيلسوف فيزدرى هذه  
الموازنة بين اللذة والألم ، لأنها موازنة تصلح لتبادل السلع فى  
التجارة ولكنها لا تصلح لتبادل الفضائل بحال من الأحوال ،  
فالفيلسوف لا يعتبر الفضائل جميعاً بكل ما فيها من حكمة إلا وسائل  
تطهير للروح ، وفى سبيل هذا التطهير الروحى يقبل سقراط على  
الموت راضياً

ولكن ألا يخشى أن تغنى الروح إذا ما فارقت جسدها  
كما يتلاشى الدخان أو كما يتبعثر الهواء ؟ فيجيب سقراط على هذا  
الاعتراض أولاً بأن يحتج قبل كل شئ بما ذهب إليه رجال  
المذهب الأورفى منذ القدم من أن أرواح الموتى كائنة فى العالم  
الأدنى ، وأن الأحياء إنما يستمدون أرواحهم منها ، وهنا يحاول  
سقراط أن يؤيد هذا المذهب برأى فلسفى وهو أن الأضداد كلها

— كالأصغر والأكبر والأضعف والأقوى ، والنائم والمستيقظ ،  
والحياة والموت — يتولد أحدها من الآخر ، ويستحيل أن تكون  
عملية التوليد هذه مجرد انتقال من ضد إلى ضده وكفى ، أعنى  
مثلاً أن تنتقل الحياة إلى الموت ثم يقف الأمر عند هذا الحد ،  
إذ لو صح ذلك لانتهى كل شيء إلى الموت ، ولما أمكن لدورة  
الطبيعة أن تتم إلا إذا انتقل الموت بدوره إلى الحياة ، فيصدر  
الأحياء عن الأموات كما يعود هؤلاء الأحياء أنفسهم فيمضون  
إلى عالم الأموات

وهنا يسوق أفلاطون نظريته في التذكر ليؤيد بها وجود  
الروح قبل حلولها بالجسد ، وهو يقيم البراهين على هذه النظرية ،  
وأول برهان يساق لذلك أنك تستطيع أن تستنتج من الجاهل  
بعض النتائج الرياضية الصحيحة بأن ترسم له شكلاً هندسياً  
وتأخذ في سؤاله فيجيبك بالعلم الصحيح ولا يكون ذلك إلا أن  
يكون العلم الرياضي كامناً في الروح ، والبرهان الثاني ما لا روح  
من مقدرة على ترابط المعاني ، أى استثارة بعضها ببعض ، فترى  
سمياس مثلاً فيذكرك ذلك بسيبيس ، أو ترى صورة سمياس  
فتذكر بذلك سمياس نفسه ، كذلك قد ترى القيثارة فتذكر  
بالعازف عليها ، وقد ترى القطع المتساوية من الخشب أو الحجر

فيستدعى ذلك في نفسك فكرة سامية هي فكرة المساواة المطلقة ، وجدير بنا في هذا الموضع أن نلاحظ أن الأشياء المادية المتساوية لا يبلغ تساويها مبلغ فكرة المساواة المطلقة التي تقارن بها تلك الأشياء وتتخذها مقياساً لها ، ولما كان المقياس لا بد أن يكون سابقاً للشيء المقدس ، وجب أن تكون فكرة المساواة أسبق من المتساويات المادية . وإذا كانت سابقة لها فهي كذلك أسبق من الحواس التي أدركتها ، وإذن فقد أوتيناها قبل الميلاد ، أو ساعة الميلاد نفسها ، ولكن الناس جميعاً لا يعرفون شيئاً إلا إذا استذكروه ، فمتى أنسوا العلم إن كانوا قد أوتوه ساعة الميلاد ؟ هل يعقل أن يوهبوه ويسلبوه في لحظة بعينها ؟ وإذن فلم يبق إلا أن يكون العلم مفطوراً في الروح قبل الميلاد أى قبل حلولها بالجسد . وهذا دليل على وجود الروح قبل اتصالها بالجسد ، وأنها كانت حينئذ على شيء من الذكاء والإدراك ، وإذا صح ذلك فقد صدقت نظرية المثل كلها

فيعترض سمياس وسيبيس بأن هذه الأدلة إنما تبرهن على وجود الروح قبل اتصالها بالجسد ولكنها لا تدل على خلودها بعد انفصالها عنه ، فيرد سقراط عليهما بأن يذكرهما بما اتفقوا عليه جميعاً منذ حين بشأن الأضداد وما يتبع ذلك من اشتقاق



الأحياء من الأموات . أما أن نخشى على الروح أن يبددها الهواء عند رحيلها ، لاسيما إن كانت الريح عاصفة ، فتنفى بذلك وتزول ، نخوف لا يعتمد على أساس صحيح . ولنسائل أنفسنا : أى الأشياء يجوز عليه التحلل والفساد ؛ أهو البسيط أم المركب ؟ الثابت أم المتغير ؟ الفكرة الخفية أم المرئى المحسوس ؟ لاشك فى أن المركب المتغير المرئى هو ما يجوز عليه الفساد ، وذلك هو الجسم ، أما الروح وهى فكرة خالصة لا تعرف التغير والتبدل فلا يعثرها الفساد .

هذا إلى أن الروح تأمر والجسم يطيع ، وإذن فالروح شبيهة بالالهى الخالد ، وأما الجسد فقريب من الزائل الفانى . وهكذا مهما قلبت وجهة النظر رأيت الروح تصور القداسة والخلود ، والجسد يصور الخصائص البشرية الفانية ، فبينما ترى الجسد يتعرض للتحلل السريع ترى الروح تستعصى على الفساد ، أو تكاد تستعصى عليه ، ومع ذلك فقد يمكن للجسد أن يصاب بالتحنيط حيناً طويلاً من الدهر ، فهل نحتمل للروح بعد ذلك أن تنفى وتتبعثر فى الهواء وهى فى طريقها إلى الله الخير الحكيم ؟

إن الروح بعد الموت تتجمع فى نفسها وترتفع عن الجسد وتتخلص من أدران الناس وسخفهم لتعيش مع الآلهة إلى الأبد

أما الروح التى دنستها الصفات الجسدية وأثقلتها ، والتى

لا تبصر إلا بأعين الحواس والتي انغمست في الشهوات الجسدية فيتعذر عليها بعدئذ أن تتجرد؛ مثل هذه الروح تخاف الدنوم من العالم الأدنى فتلكأ وتتثاقل حول المقابر ، مشفقة أن تفارق الجسد الذي أحبته ، فتراها تدور حول الرموس في صورة الجن ، ويمكن للعين البشرية أن تراها لأنها تكون مشبعة بالمادة حتى تنقلب شيئاً محسوساً ، وينتهى بها الأمر أن تنقص حيواناً تتفق طبيعته مع حياتها الأولى ، حياة الحس والمادة ، فتتقمص حماراً أو ذنباً أو حداة . وأسعد هذه الأرواح الأرضية ما مارس منها الفضيلة بغير فلسفة ، ويؤذن لهذا الضرب من الأرواح أن يتقمص حيواناً وديع الطباع ذا نظم اجتماعية كالنمل والنحل ... والفيلسوف وحده هو الذي يرحل نقياً طاهراً ، وهو وحده الذي يؤذن له أن يضاف إلى عشيرة الآلهة ، وذلك ما يدعو إلى الترفع عن شهوات الجسد ، فهو لا يمتنع عن تلك الشهوات خشية الخسارة والعار كما يفعل سائر الناس ، بل لأنه يريد ألا يمتزج بالمادة حتى لا تثقله في رحلته الروحية بعد الموت . لقد كان الفيلسوف في حياته مكبلاً بما يكبل سائر الناس من أغلال الجسد ، ولكن الفلسفة تحدثت إليه فأصغى إلى حديثها ، فكانت خلاصاً له من هذا العنصر الجسدى الدنى . وأزجت عن بصيرته غمائم

العواطف وخداع الحواس . وبذلك استطاعت روحه أن تنجو من تأثير اللذائذ والآلام ، التي من خصائصها أن تربط الروح بالجسد كأنها المسامير ، لا رغبة منه في أن يظفر بلذة أعظم ، ولكن لأنه يعلم أنه لا يستطيع أن يشهد ضوء الحقيقة إلا إذا هداً وتحرر من قيود الجسد

ولكن ذلك لا يزيل الشك عند سمياس وسيبيس ، ومع ذلك فلم يعترضوا ، فيستطرد سقراط متعجباً كيف يحاول أصدقاؤه أن يصرفوه عن رغبة الموت ، ولماذا لا يكون كالتم ( Swan ) الذي ينفق حياته كلها في الإنشاد حتى إذا ما جاءه الموت ازداد إنشادا بل كان أشجى في غنائه منه في أى وقت مضى ؟ .. وهنا يقول سمياس إن الحقيقة وإن تكن مستحيلة الإدراك في صورتها الإلهية ، غير أنه من الضعف ألا يحاول الإنسان أن يدرك منها أقوم ما يستطيع البشر إدراكه ، وإن ذلك ليكفيه ليتخذ منه فلحاً يسبح عليه في خضم الحياة ، ويمضى في بسط إشكاله قائلاً : لقد أقمنا الدليل على أن الروح خفية لا تُرى ، وأنها غير مجسدة ، وأنها لذلك خالدة بعد انفصالها عن الجسد وموجودة قبل اتصالها به ، ولكن ألسنا نزعّم أنها عبارة عن انسجام ، وإذن فيكون ما يربطها بالجسد هو ما يربط النعمة بالقيثارة ؟

فما القول إذا كانت النعمة لا تبقى بعد فناء القيثارة ؟ وهنا يتقدم  
 سيبليس أيضا باعتراض يسوقه في تشبيهه كما فعل سمياس باعتراضه ،  
 فسلم أن الروح أطول بقاء من الجسد ، غير أنه اعترض بأن  
 طول بقاء الروح بالنسبة لبقاء الجسد لا ينهض دليلا على خلودها ،  
 لأننا لو فرضنا أن الروح ستبقى وستحل في جسد آخر ثم في ثالث  
 ورابع وهكذا ، فإذا يمنع أن يصيبها الفناء بعد هذا كله ؟ أليس  
 من الجائز أن تنفى الروح في إحدى هذه المرات ويبقى آخر جسد  
 حلت فيه مدة بعد فناء الروح ، كما يقال في المعطاف الذي يبقى بعد  
 فناء ناسجه مع أن الناسج أطول بقاء من عطافه الذي ينسجه ،  
 فإن من يريد البرهنة على خلود الروح لا يكفي أن يقصر برهانه  
 على أن الروح أطول بقاء من الجسد ، أو أنها أطول بقاء من  
 أجساد عدة ، بل لا بد من إقامة الدليل على أنها دائمة بعد أن  
 تُقْنَى كل ما تحل فيه من أجساد

إن الناس يميلون إلى مخادعة بعضهم بعضا ، ويكره الخدوع  
 منهم أن يثق بأحد ، إذ يخيل إليه أنه مادام قد نصبت له شرك  
 الخداع فانهخدع فليس بين الناس إطلاقاً من يُرْكَن إليه ويوثق به ؛  
 وإنه لما يؤسف له أن ينظر بعضنا إلى الأدلة نظارته إلى الناس ،  
 فلا يؤمنون بكل ما يقام لهم من البراهين لأن أحدا قد ألبس لهم

الباطل بالحق . ولكننا لا ينبغي بحال أن نغادي الناس جميما لأننا نكره واحدا أو جماعة من الناس ، ولا أن نمنق الأداة كلها لأننا نمنق طائفة معينة من الأدلة ، فليس المسئول عن النقص والخطأ هو الأدلة نفسها بل نحن أنفسنا ، ولما كان سقراط على حافة الموت فهو يخشى أن يكون ظرفه الخاص داعياً لتحيزه وميله إلى تصديق برهان الخلود ، وهو لذلك يستحث أصدقاءه أن يختبروا قوله ويفندوه ما وسعهم التفنيد

فلا يلبث سمياس وسيبيس أن يعيدا اعتراضيهما ، فيقول سمياس إنه لا ينكر أزلية الروح ، ولكنه في الوقت نفسه يرى الروح عبارة عن انسجام الجسد ، غير أنه يجد في التسليم بأزلية الروح نقضا لكونها انسجاما للجسد ، وذلك لأن الانسجام معلول في حين أن الروح علة وليست بمعلول . الانسجام يتبع وجود القيثارة ، أما الروح فتستتبع وجود الجسد ، والانسجام متفاوت درجاته وليس للروح درجات ، إذ لا مبرر أن تكون روح أفضل من روح . وإلا فما معنى هذا التفاضل ؟ أيكون معناه تفاوتاً في درجة انسجامها ؟ ولكن الروح لا تقبل التدرج وإذن فيستحيل أن تكون روح أكثر أو أقل انسجاما من روح أخرى . هذا إلى أن الروح لا تنفك تقاوم ميول الجسد

ورغباته ، وهذه المقاومة لا تتفق مع قولنا إنها انسجام الجسد  
وهنا يلاحظ سقراط أن اعتراض سيبس هذا يتناول  
مشكلة السببية كلها ، ويرجو سامعيه أن يأذنوا له أن يقص عليهم  
تجربته في هذا الموضوع . فقد كان يدرس علم الطبيعة أيام صباه  
وأخذ حينئذ يبحث في كون الحيوان فسادا وفي أصل الفكر ،  
حتى انتهى به الأمر إلى الشك في صحة البديهية القائلة بأن النمو  
نتيجة الأكل والشرب ، فلم يتردد في أن يعرض عن هذا الموضوع  
موقناً أنه لم يخلق لمثل هذه البحوث . كذلك أربكته المقارنة بين  
الأشياء كما حيرته فكرة العدد ، فقد خيل إليه في أول الأمر أنه  
يفهم الفرق بين الأكبر والأصغر ، وأن العشرة أكبر من الثمانية  
بأثنين وما إلى ذلك ؛ أما الآن فهو يرى في هذه الآراء شيئاً من  
التناقض : فكيف تمكن قسمة الواحد إلى اثنين أو تكوين  
الواحد من اثنين ؟ لم يستطع سقراط أن يفسر هذا الإشكال

ولقد سمع سقراط مصادفة قارئاً يقرأ كتاباً لأناسكجوراس  
يقول فيه إن العقل سبب كل شيء فسأل نفسه : إذا كان العقل  
سبب كل شيء ، فهو من غير شك يسيطر على كل شيء ويسير  
به نحو الأفضل . ورجا سقراط أن يجد عند هذا للعالم الجديد  
أنا كسجوراس ما يوضح له هذا « الأفضل » في الإنسان والطبيعة ،

ولكن سرعان ما خاب رجاؤه ، إذ ألقى صديقه الجديد مخطئاً غير منسجم الفكر باتخاذ العقل سبباً للأشياء ، فقوله هذا . ساو لقولك إن سقراط جالس في هذا المكان المعين ، لأنه مصنوع من عظام وعضلات . وبديهي أن ليس ذلك هو السبب ، فالسبب الحقيقي هو أن الأثينيين قد رأوا من الخير أن يحكموا عليه بالإعدام ، وأنه رأى من الخير أن يجرى . إلى حيث هو لينتظر تنفيذ الإعدام ، فلو أنه سمح لعظامه وعضلاته أن تفعل ما تشاء وما تراه واجباً ، لنفرت من ذلك المكان منذ زمن بعيد . وإذن فلا ريب في أن في هذا القول خلطاً كثيراً بين السبب والحالة ، ويؤدي هذا الخلط بالناس إلى نظريات خاطئة في وضع الأرض وحركاتها . فليس بين الناس من يعلم ما هو « الأفضل » الذي تسمى إليه الدنيا ، والذي هو علة تحريكها

ويقول سقراط إن التأمل في طبائع الأشياء تأملاً مباشراً قد يضر ويؤدي كما يؤدي العين أن تنظر إلى الشمس أثناء كسوفها ، فإذا أردت أن ترى الشمس في هذه الحالة وجب أن تأخذ لنفسك الحيلة اتقاء للأذى فتكتفي بالنظر إلى صورة الشمس المنعكسة على سطح الماء أو على سطح المرآة ، وكذلك إذا أردت أن تنظر في طبائع الأشياء فلا ينبغي أن تتجه بروحك إلى

الأشياء نفسها وإلا أصيبت روحك بالأذى ، وجسبك أن تتأمل  
في المُثل لترى الوجود خلالها .

ويعتقد سقراط أنك إذا سلمت بوجود المُثل هانت عليك  
البرهنة على خلود الروح ، ثم يطلب إلى مناقشيه أن يسألوا معه  
بشيء آخر وذلك أن الجبال سبب الجليل والعظمة سبب العظيم  
والصغر سبب الصغير ، وهكذا قل عن سائر الأشياء ، ثم يمضي  
يشرح لتلاميذه كيف تتعاون المُثل المتناقضة على الوجود ولكنهما  
لا توجد معاً في شيء واحد بعينه ، فقد يقال مثلاً إن سمياس له  
كبر وصغر في آن واحد لأنه أكبر من سقراط ، وأصغر من  
فيدون ، ولكن سمياس ليس في حقيقة الأمر كبيراً وصغيراً في  
وقت واحد ، إنما يكون كذلك إذا قورن بفيدون وسقراط ،  
لأن الأضداد يطرد أحدها الآخر ، فإن كان الشخص صغيراً لزم  
ألا يكون كبيراً ، إذ الصغر الكائن فيه يطرد عنه الكبير

وهنا يلاحظ أحد الحضور أن هذا القول يناقض ما سلموا به  
من قبل وهو أن الأضداد تولد أضدادها ، فيجيب سقراط بأن  
ذلك يصدق على الأضداد الحسية فقط ، ولا ينصبُّ على الأضداد  
الثنائية أعني أنه صادق بالنسبة للأحياء والأموات ولكنه لا يصح  
في الحياة والموت ... ويستطرد سقراط في الكلام عن مطاردة



الأضداد بعضها لبعض فيقول إن تلك المطاردة لا تقع في الأضداد نفسها فقط بل في الأشياء المتصلة بها أيضاً على أن يكون اتصالها بها قويا ودائماً ، مثال ذلك أن البرودة والحرارة ضدان ، وكذلك النار التي لا تنفصل عن الحرارة ضد البرودة ، ولا يمكن أن توجد معها جنباً إلى جنب ، والثلج الذي لا ينفصل عن البرودة ضد الحرارة ، ويستحيل أن يوجد معها ، كذلك العدد ثلاثة يطرد العدد أربعة ، لأن الأول عدد فردي والثاني عدد زوجي ، والفردي ضد الزوجي ، وبذلك نستطيع أن نخطو خطوة إلى الأمام ؛ فنقول إن الفردي لا يتضمن الزوجي ، وليس هذا فحسب ، ولكن العدد ثلاثة الذي يساهم في الفردية لا يتضمن الزوجي ، وعلى هذا القياس يمكنك أن تقول إن الحياة لا تتضمن الموت ، ولا يقتصر الأمر على هذا ، بل إن الروح الذي من صفاته اللازمة الحياة يستحيل أن يتضمن الموت ، وإن ما نكون الحياة صفته اللازمة لا يكون قابلاً للفناء بحكم مدلول اللفظ نفسه . إنه إذا كان مبدأ الفردية غير قابل للزوال ؛ فالعدد ثلاثة إذن لن يفنى ، ولكنه يتوارى فقط إذا اقترب منه مبدأ الزوجية ، وكذلك الخالد لا يقبل الفناء ، والروح عند اقتراب الموت لا تفنى ، ولكنها تتوارى فحسب

هكذا أجاب سقراط عن اعتراضات محاوريه ، ثم انتقل إلى التطبيق فقال : إذا كانت الروح خالدة ، فكيف ينبغي لنا أن نكون ، إذا لم يكن الإنسان محدوداً بعمره ، وكان أبدياً خالداً ، فلن يتخلص الشرير من شره بالموت ؛ لأن الموت ليس نهاية وجوده ، فكل إنسان يحمل معه إلى العالم الأدنى ماهيته ، وذلك لأن الروح تتقدم بعد الموت إلى المحاكمة ، فإن كانت روحاً حكيمة اهتدت في طريقها إلى العالم الآخر ، بمَلَكَ أمين فلا تضل طريقها ، أما الروح الدنسة فتتخط هنا وهناك دون أن تجد لها رفيقاً يؤنسها أو دليلاً يهديها

وينتقل سقراط بعدئذ إلى وصف الأرض ووصف العالم الأدنى وكيف يلاق الأشرار عذابهم ، والأبرار جزاءهم وثوابهم ، ويستدرك سقراط بعد وصف مطنب فيؤكد أن هذا الوصف الذي قدمه لا يتحتم أن يكون دقيقاً مضبوطاً ، بل إنه يصور به شيئاً كالحقيقة لا أكثر .

وأزفت ساعة الموت فسأله سائل كيف يريد أن يُدفن بعد موته ، فأبى أن يجيب عن ذلك قائلاً : إنهم لن يدفنوه هو بل سيدفنون جسده الميت وحده ، ثم يجرع بعد ذلك كأس السم ، وإذا هو يلفظ أنفاسه الأخيرة تقدم إلى أصدقائه بطلب أخير لم

تستطع الأجيال المقبلة أن تفسره ، فقد قال في شيء من التهم  
إن عليه واجباً دينياً صغيراً لم يؤده بعد ، ورجا أصدقاءه أن يؤدوه  
نيابة عنه ، وأمله كان يريد أنه بموته إنما يستقبل السعادة والعافية  
فعليه أن يقدم للآلهة آية شكره وولائه ، أو لعله أراد ألا يرحل  
وفي ضميره لدعة من التقصير الديني

---

# فيسدون أو خلود الروح

أشخاص الحوار

فيسدون ( وهو راوي الحوار إلى اشكراتس من أهالي فليوس ) .  
سقراط . أبولودورس . سمياس . سيبيس . أقريطون . حارس السجن  
مكان الحوار : سجن سقراط  
مكان الرواية : مدينة فليوس

أشكراتس : أي فيسدون ! هل كنت بنفسك في السجن  
مع سقراط يوم تجرع السم ؟

فيسدون : نعم كنت يا اشكراتس

أشكراتس : أود لو حدثتني عن موته ، ماذا قال في ساعاته  
الآخيرة ؟ لقد أنبئنا أنه مات باجتراعه السم ، ثم لم يعلم أحد منا  
فوق ذلك شيئاً ، فليس ثمة اليوم بين بنى فليوس من يذهب إلى  
أئينا ، كما أن أحداً من الأثينيين لم يجد سبيله إلى فليوس منذ  
عهد بعيد ، ولذا لم يأتنا عنه نبأ صريح

فيسدون : هل أذاك حديث الحاكمة وكيف سارت ؟

أشكراتس : نعم ، لقد حدثنا بعض الناس عن الحاكمة ،



سقراط يحاور تلاميذه



فلم ندر لماذا نفذ فيه الإعدام بعد الإدانة بزمن طويل ، كما رأينا ،  
ولم ينفذ في حينه ؟ فاعلة ذلك ؟

فيدون : علتـه حادث وقع في اليوم السابق لحاكمته  
يا أشكراتس ، وهو تـكـلـيل مؤخرة السفينة التي يبعثها الأثينيون  
إلى دلفي

أشكراتس : وما تلك السفينة ؟

فيدون : يروى الأثينيون أنها السفينة التي كان قد أبحر  
عليها تسيوس Teseus وصحبه الشبان الأربعة عشر إلى أقر يطش ،  
حيث نجا وإياهم ، وكان قد قيل وقتئذ إنهم نذروا لأبولو أن  
لو سلموا ليعجّن إلى دلفي مرة في كل عام ، وما تزال تلك العادة  
متصلة إلى اليوم . فهذه الفترة كلها ، التي تنفقها السفينة في  
رحلتها إلى دلفي ، ذهاباً وإياباً ، منذ الساعة التي يكال فيها كاهن  
أبولو مؤخرة السفينة ، فترة حرام ، لا يجوز للمدينة خلالها أن  
تدنس أرضها بقتل أحد من الناس ؛ وكثيراً ما اعترضت السفينة  
ريح آخرتها ، فأرجى الإعدام أياماً طوالاً . فهذه السفينة كما  
سبق لي القول قد كللت في اليوم السابق لحاكمـة سقراط . فدعاه  
ذلك إلى أن يلبث في السجن ولم يعدم إلا بعد الإدانة  
بزمن طويل

أشكراتس : كيف كان موته يا فيدون ؟ ماذا عمل وماذا قيل ؟ ومن ذا جاوره من أصدقائه ؟ أم لم يأذن لهم ذوو السلطان بالحضور فمات وحيداً ؟

فيدون : لا ، بل رافقته من أصدقائه طائفة كبيرة

أشكراتس : إن لم يكن لديك ما يشغلك ، فأرجو أن تنص علي ما حدث ، دقيقاً ما استطعت إلى الدقة سبيلاً

فيدون : لا شاغل عندي ، وسأحاول أن أجيبك إلى ما رجوت ، فليس كذلك أحب إلى من أن أكون دائماً المذكور لسقراط ، سواء أ كنت أنا محدثاً ، أم كنت مستمعاً إلى من يتحدث عنه

أشكراتس : لن تجد من سامعيك إلا نفوساً ترغب فيما رغبت فيه ، وإني لأمل أن تكون دقيقاً ما وسعتك الدقة

فيدون : إني لأذكر ما اعتراني من إحساس عجيب ، إذ كنت إلى جانبه ، لقد كنت بإزائه غليظ القاب ، يا أشكراتس ، لأنني لم أكّد أصدق أنني إنما أشهد صديقاً يلفظ الروح . إن كلماته وقسماته ساعة الموت ، كانت من النبل والجلد ، بحيث بدا في ناظري كأنه رافل في نعيم ، فأيقنت أنه لا بد أن يكون بارتحالته إلى العالم الآخر ملبياً لدعوة من ربه ، وأنه سيصيب السعادة إذا



ما بلغ ذلك العالم ، إن كان لأحد أن يعيش ثمة سعيداً ؛ فكان طبيعياً ، وتلك حاله ، ألا تأخذني عليه الرحمة ، ولكنى مع ذلك لم أجد فى الحوار الفلسفى ( إذ كانت الفلسفة موضوع حديثنا ) ما تعودت أن أجده فيه من متاع ؛ لقد كنت مقتبلاً ، ولكنى أحسست إلى جانب الغبطة الماء ، أن علمت أنه لن يلبث طويلاً حتى يموت . لقد ساهمنا جميعاً فى هذا المزيج العجيب من المشاعر ، فكان يتناوبنا الضحك والبكاء ، ولا سيما أبولودورس لأنه سريع التأثير — هل تعرف هذا الضرب من الرجال ؟

أشكراتس : نعم

فيدون : لقد غلب على أمره وتخاذلت قواه ، وأنا نفسى ، بل وكلنا جميعاً ، قد بلغ منا التأثير مبلغاً عظيماً  
أشكراتس : من كان الحضور ؟

فيدون : حضر سوى أبولودورس ومن بنى أثينا ، كريتوبولس وأبوه أقریطون ، وهرموجينس ، وأيبجينس ، وإيشينس ، وانتستين . كذلك أكتيسبس من أهل بيانيا ، ومينكسينوس وغيرهم كثيرون . أما أفلاطون فقد كان مريضاً فيما أظن

أشكراتس : أكان ثمة أحد من الغرباء ؟

فيدون : نعم . كان هناك سميّاس الطيبى ، وسيبيّس ،  
وفيدونديس ، وأقليدس ، وتريزون الذين جاءوا من ميّقارا  
أشكراتس : وهل كان أرسططس وكليومبروتس حاضرين ؟  
فيدون : لا . فقد قيل إنهما كانا في أيّحينا  
أشكراتس : ومن غير هؤلاء ؟

فيدون : هم فيما أحسب كل الحاضرين على وجه التقريب  
أشكراتس : وأى حديث تناولتم بالحوار ؟  
فيدون : سأسوق الحديث من أوله ، محاولاً أن تكون  
الرواية شاملة

ولعلك تعلم أنا قد كنّا من قبل نجتمع مع الصباح الباكر  
في المحكمة التى جرت فيها المحاكمة ، وهى على مقربة من السجن ،  
فنظّل نتجاذب أطراف الحديث حتى تفتح أبواب السجن ( وقد  
كانوا لا يبادرون بفتحها ) فندخله لننفق معظم النهار مع سقراط ،  
فلما كان الصباح الأخير ، بكرنا باللقاء عن الموعد الموعود<sup>(١)</sup>  
إذ علمنا فى الليلة السالفة أن السفينة المقدسة قد عادت من دلفى

(١) اضطر الأثينيون إلى تأجيل تنفيذ الإعدام حتى تعود السفينة  
المقدسة من دلفى ، وقد استغرقت تلك السفينة فى رحلتها ثلاثين يوماً  
قضاها سقراط فى محاوره صفوة تلاميذه ، ويشير هنا فيدون إلى أن  
هؤلاء التلاميذ قد قصدوا إلى سقراط فى سجنه مبكرين فى آخر يوم من أيامه  
أى حينما علموا أن السفينة بانت على مقربة من أثينا لتطول مدة الحوار الأخير

فتواعدنا على اللقاء في المكان المضروب جد مبكرين ، فما كدنا نبلغ السجن حتى طلع السجان المسئول عن حراسة السجن ، ولم يأذن لنا بالدخول ؛ بل أمرنا أن ننتظر حتى يدعونا ؛ « لأن الأحد عشر مع سقراط الآن ؛ يرفعون عنه الأغلال ، ويأمرون بأن يكون اليوم قضاؤه المحتوم » كما قال . ولم يلبث أن عاد يجيز لنا الدخول ، وإذ فعلنا ألفينا سقراط قد خالص لتوه من الأصفاد واكراتيب<sup>(١)</sup> ، التي تعرفها ، جالسة إلى جانبه تجمل وليده بين ذراعيها ، فلم تكذبصرنا حتى صاحت قائلة ما ينتظر أن تقوله النساء : « أواه يا سقراط ! لتلك آخر مرة يتاح لك فيها أن تتحدث إلى أصدقائك أو يتحدثون إليك » فنظر سقراط إلى أقريطون ، وقال : « مرأحداً يا أقريطون أن يذهب بها إلى الدار » فساقتها بعض حاشيته صارخة لادمة ، وما كادت تغيب عن النظر حتى اثنى سقراط ، وكان جالسا على سريرته ، وأخذ يربت على ساقه قائلاً : « ما أعجب هذا الشيء الذي يسمونه اللذة ، وما أغرب صلته بالألم ، الذي قد يظن أنه واللذة نقيضان لأنهما لا يجتمعان معاً في إنسان ، مع أنه لا بد لمن يلتمس أحدهما أن يحمل معه الآخر ؛ إنهما اثنان ، ولكنهما ينبتان معاً من

---

(١) اكراتيب هي زوج سقراط

أصل واحد ، أو يتفرعان عن أرومة واحدة ، ولست أجد سبيلاً إلى الشك في أنه لو رآها إيسوب Aesop لأنشأ عنهما قصة ، يصور فيها الله وهو يحاول أن يوفق بينهما في الخصومة القائمة ، فإن لم يوفق شد رأسيهما إلى بعض في وثاق واحد<sup>(١)</sup> ، وذلك علة أن يجيء الواحد في أعقاب أخيه ، كما شاهدت في نفسى ، إذ أحسست لذة في ساقى جاءت في أثر الألم الذى أحدثه القيد فيها<sup>(٢)</sup> .

وهنا قال سيبليس : كم يسرنى حقاً يا سقراط أن تذكر إيسوب ، فقد ذكرنى ذلك بمسألة طرحها بعض الناس واستجابنى عنها أفينوس الشاعر أمس الأول ، ولا ريب فى أنه سيعود ثانية إلى السؤال ، فحدثنى بماذا أجيبه ، إن كنت تحب أن يظفر بالجواب . إنه أراد أن يعرف لماذا ، وأنت رهين السجن ، ولم تكتب من قبل بيتاً واحداً من الشعر ، تنظم قصص إيسوب وتنشئ تلك الأنشودة إجلالاً لأبولو

---

(١) أى خلفهما فى حيوان واحد ذى رأسين ، إشارة إلى شدة الاتصال بينهما

(٢) تعمد أفلاطون أن يسوق على لسان سقراط هذه الملاحظة ، أى أن اللذة تعقب الألم ، تمهيداً لنظريته فى التبادل بين الأضداد ، التى سيجيء ذكرها بعد فى هذا الحوار

فأجاب أن حدّته يا سيّيس بأنى لم أفكر فى مُنافسته  
ومنافسة أشعاره ، وحق ما أقول ، لأننى كنت أعلم أن لا قبل  
لى بذلك ، إنما أردت أن أرى هل أستطيع أن أمحوها وأحسسته  
عن بعض الرؤى ، فلم أشارت إلى هواتف الأحلام فى أيام  
الحياة « بأنى سأُنشئ الموسيقى » وقد كان يطوف بى هذا الظلم  
فى صور متباينة ، ولكنه لازم عبارة بعينها ينطق بها أو بما  
يقرب منها دائماً : أنشئ الموسيقى وتعهدا بالنماء ، هكذا كانت  
تهتف الرؤيا ، وقد خيل إلى منذ ذلك الحين أنها لم ترد بذلك  
إلا أن تحفزنى وتبعثنى على دراسة الفلسفة التى كانت دوماً قصد  
الرمى من حياتى ، والتى هى أسمى جوانب الموسيقى وأرفعها شأنًا  
فكما ترى النظارة فى حلبة السباق يهيبون بالمتسابق المتحمس أن  
يجرى مع أنه يجرى فعلا ، كذلك كانت رؤياى تأمرنى أن أؤدى  
ما كنت بالفعل قائماً بأدائه ، ولكنى لم أكن على يقين من  
هذا ، وربما قصّدت الرؤيا بالموسيقى معنى الكلمة المعروف ، فرأيت  
أنى أكون آمن ، لو أرضيت هذا الشك ، وأطعت الرؤيا فيما  
تأمر به ، فأنشأت قبل رحيلى قليلاً من الشعر ، فهذا قضاء  
الموت يرقبنى ، وقد أمهلنى العيد قليلاً . فكتبت بادية ذى بدء  
نشيداً فى تمجيد إله هذا العيد ، ثم لما رأيت أن الشاعر الذى

يراد له أن يكون شاعراً مبدعاً حقاً ، لا ينبغي أن يحشد ألفاظاً وكفى ، بل لابد له أن ينشئ قصصاً ، ولما لم تكن لدى قوة الإنشاء ، أخذت طائفة من قصص إسوب ، ونظمتها شعراً ، فقد كانت مُيسرة سهلة التناول ، وإني بها لعليم . أنبيء أفينوس بهذا ولا تجعله يبتئس ، وقل له إني أود أن يتبعني ، وألا يتلكأ . إن كان رجلاً حكيماً ، فأغلب الظن أني مرتحل عنكم اليوم ، إذ قال الأثينيون أن ليس لي من ذلك بد

قال سمياس : ياله من نبأ يُحمل لذلك الرجل ! إني أقرر لكم وقد كنت رفيقاً له ملازماً ، أنه — كما عهدته — لن يأخذ بنصحك إلا مجبراً

قال سقراط : ولماذا ؟ أليس أفينوس فيلسوفاً ؟

قال سمياس : أحسبه كذلك

إذن فسيكون راغباً في الموت ، شأن كل رجل عنده روح الفلسفة ، ولو أنه لن ينتزع روحه بيده ، فقد أجمع الرأي على أن ليس ذلك صواباً

وهنا بدّل في وضعه ، فأنزّل ساقيه من السرير إلى الأرض ، ولبث جالساً حتى ختم الحوار

تساءل سيبيس : فيم قولك إن الإنسان لا ينبغي أن يستل

حياته ، وأنه يجب على الفيلسوف أن يعد نفسه ليلحق بالموتى ؟<sup>(١)</sup>  
 فأجاب سقراط : إنك يا سيبس وسمياس ، تعرفان  
 فيلولاوس<sup>(٢)</sup> فهلا سمعناه قط يتحدث عن هذا ؟  
 — إني يا سقراط لم أفهم قوله أبداً

— ليست كلماتي كذلك إلا صدى ، واسكني شديد الرغبة  
 في أن أروى ما سمعته ، فالحق أنى ما دمت مرتحلاً إلى غير هذا  
 المكان فيجب ألا يُشغل الفكر ويدور الحديث إلا حول هذا  
 الرحيل الذى أوشك أن أقوم به ، وماذا عساي أن أفعل خيراً  
 من هذا منذ الآن إلى أن تغرب الشمس ؟

— إذن فخذثنى يا سقراط ، لماذا استقر رأى على ألا يكون  
 الانتحار حقاً مشروعاً ؟ لقد سمعت فيلولاوس يقيناً يؤكّد  
 ذلك عند ما كان يجلس بيننا فى طيبة ، وثمّ أناس آخرون  
 يقولون مثل هذا القول ، ولو أن أحداً منهم لم يستطع قط أن  
 يفهمنى ما يقول

---

(١) يلاحظ سيبس تناقضاً بين تحرّم الانتحار ، واعتبار الموت خيراً  
 ولكن سقراط أجابه بأن الإنسان : (١) سجين ولا يجوز له أن يفتح  
 باب سجنه ويفر هارباً ؛ (٢) لأن الإنسان ليس ملك نفسه ولكنه ملك  
 للآلهة ؛ فليس له الحق فى أن يتصرف فيما ليس له عليه سلطان المالك  
 (٢) فيلسوف كان مقياً فى مدينة طيبة ؛ وكان سمياس وسيبس  
 هذان تلميذه .

فأجاب سقراط : ولكنك يجب أن تحاول الفهم ما استطعت ولا بد أن يأتى اليوم الذى تفهم فيه ، أحسبك تعجب لماذا تشذ هذه الحالة وحدها ، ومعظم الشرور قد تجيء بالخير عرضاً ( لأنه أليس من الجائز أن يكون الموت كذلك أفضل من الحياة فى بعض الظروف ؟ ) وإذا كان خيراً للإنسان أن يموت ، فما الذى يمنع أن يقدم لنفسه الخير بنفسه ؛ ألزامٌ عليه أن ينتظر من غيره يد الاحسان ؟

فقال سيبيس ضاحكاً فى لفته الدورية القومية : أى وحق

جو پتر !

فأجاب سقراط : إني أسلم بأن فى هذا تناقضاً ظاهراً ، ولكن مع ذلك قد لا يكون هذا التناقض حقيقياً ، هناك مذهب جرت به الألسنة فى الخفاء بأن الإنسان سجين ، وليس له الحق فى أن يفتح باب سجنه ليفر هارباً ، إن ذلك إشكال عظيم لست أفهمه فهماً دقيقاً ، ولكنى أعتقد مع ذلك أن الآلهة هم أولياؤنا وأنتا ملكٌ لهم ، أفلم ترى ذلك ؟

قال سيبيس : بلى ، إني أوافق على ذلك

— فلو أن ثوراً مثلاً مما تملك أنت أو حميراً ، شئت له إرادته

أن يحيد بنفسه عن الطريق ، على حين أنك لم تُشِيرْ له برغبتك



في وجوب ووبته ، أفلا تسخط عليه ، ثم ألا تعاقبه إن استطعت ؟  
فأجاب سيبس : يقينا

— وإذن فقد يكون في القول بأن الإنسان يجب أن ينتظر ،  
وألا يهلك حياته بنفسه ، حتى يقضى الله فيه أمراً ، كما فعل بي  
الآن ، سندٌ من العقل

قال سيبس : نعم يا سقراط ، إن في ذلك ولا ريب سنداً  
من العقل ، ولكن كيف بعد هذا تستطيع أن توائم بين هذه  
العقيدة الصحيحة في ظاهرها وهي أن الله مولانا ونحن له عبيد ،  
وبين ما كنا نضيفه إلى الفيلسوف من رغبة في الموت ؟ أما أن  
يرغب من هم أبلغ الناس حكمة ، في ترك هذا العمل الذي تتحكمهم  
فيه الآلهة ، وهم خير الحاكمين ، فلا يسلم به العقل ، لأنه يستحيل  
على صاحب الحكمة أن يظن بنفسه المقدرة ، لو أطلقت له حرية  
العمل ، على أن يعنى بنفسه أكثر مما تعنى به الآلهة ، ربما توهم  
ذلك المأفون ، وقد يحتج بأن خيراً له أن يفر من سيده دون أن  
يضع في اعتباره بأن واجبه هو أن يثبت حتى النهاية ، لا أن يفر  
من الخير فراراً لا حكمة فيه . أما الرجل الحكيم فلا إخاله إلا  
راغباً في أن يكون أبداً مع من هو خير منه . انظر يا سقراط .  
فهذا يناقض ما قد قيل الساعة توا ، إذ يترتب على هذا الأساس

أن يأسف ذو الحكمة لفراق الحياة ، وأن يفتبط له الجهول  
فصادفت حماسة سيبيس فيما يظهر غبطة من سقراط ،  
فالتفت إلينا وقال : هاكم رجلاً لا يبرح متسائلاً ، ولا تكفى لإقناعه  
الفترة القصيرة ، وليست كل حجة ترضيه

فأضاف سمياس : ولكن اعتراضه الآن يبدو لي على شيء  
من القوة ، فأى غناء عسى أن يكون في ذى الحكمة الحق ، إذا  
هو ابتغى أن يلوذ بالفرار ، وأن يستخف بترك سيده الذى هو  
أفضل منه ؟ ولست لإخال سيبيس إلا مشيراً إليك ، فهو يظن  
أنك لا تتردد فى تركنا ، بل لا تتردد فى ترك الآلهة الذين هم كما  
اعترفت أولو أمرنا الصالحون

فأجاب سقراط : نعم ذاك قول يستقيم مع العقل ، ولكن  
أهو فى ظنك دعوى ينبغى أن أجيب عنها كما لو كنت أمام القضاء ؟  
قال سمياس : ذلك ما كنا نبتغى

— إذن فلا تحاول أن ألقى فى نفوسكم أثراً خيراً مما تركت  
حين كنت أدافع عن نفسى أمام القضاء ، فاست أتردد يا سيبيس  
وسمياس فى الاعتراف بوجوب الأسى من الموت . إذا لم أكن  
راسخ العقيدة بأنى ذاهب إلى طائفة أخرى من الآلهة ذوى  
الخير والحكمة ( وإني لأوقن بهذا يقينى بأى شيء آخر من هذا

القبيل) وإلى الراحلين من الرجال (وإن كنت لا أقطع بهذا قطعى  
بالأولى) وهم يَفْضُلُون هؤلاء الذين أُخْلَفُهُم ورأى ، فلست لهذا  
أبتئس ، كما كان ينتظر أن أفعل ، لأننى آمل خيراً ، بأن ثمة  
شيئاً لا يزال مدخراً للموت ، وهو كما قد قيل منذ القدم أدنى  
جداً إلى الخير منه إلى الشر

قال سمياس : ولكن هل تريد أن تستصحب أراءك معك  
يا سقراط فلا تنقلها إلينا ؟ إنا قد نرجو أيضاً أن نساهم فى ذلك  
النفع ، وأنت إذا وفقت بعد ذلك لإقناعنا ، كان ذلك منك ردّاً  
على ما اتهمت به

فأجاب سقراط : سأبذل وسعى ، ولكن دعونى أستمع  
أولاً لما يريد أقریطون . إنه كان قد هم أن يقول لى شيئاً  
فأجاب أقریطون : أردت أن أقول يا سقراط إن الخادم  
الذى أمر بإعطائك السم قد أنبأنى ، لأبلغك ، بأنه يحسن بك  
ألا تكثر الكلام لأنه يزيد من الحرارة ، وهذه تؤثر فى فعل  
السم ؛ لقد اضطر أحياناً أولئك الذين أثاروا نفوسهم أن يجرعوا  
السم مرتين أو ثلاثاً

قال سقراط : إذن فليؤد واجبه ، وليتناهب لإعطاء السم  
مرتين أو ثلاثاً ، إذا لزم الأمر ، وحسبنا هذا

فأجاب أقریطون : لقد كدت أوقن بأنك ستقول ذلك ،  
ولكنى لم أجد محيصاً عن إرضائه  
قال سقراط : لا تأبه له

وهأنذا الآن أجيبكم — أتم يا قضاى — فأبين لكم أن من  
عاش فيلسوفاً حقاً ، معه الحجة فى أن ينم بالآ إذا ما اقترب من  
الموت ، وأنه قد يرجو أن يصيب فى العالم الآخر بعد الموت أعظم  
الخير . سأشرح لكما ، أى سيبس وسمياس ، كيف يمكن أن  
يكون هذا ، فيغلب فيما أرى أن يسىء الناس الظن بطالب  
الفلسفة الصحيح ، لأنهم لا يدركون أنه أبدأً دائب السعى وراء  
الموت والموتى . وإن صح أنه ما برح راغباً فى الموت طوال حياته ،  
فقيم الجزع إذا ما تهيأت له غايته التى كان لا يفتأ ساعياً إليها  
راغباً فيها

فضحك سمياس وقال : لى وإن كنت لا أسوق القول  
متندراً هازلاً ، لأقسم بأنه لا يسعنى إلا أن أخحك إذا ما فكرت  
فيما سيقوله هذا العالم اللعين ، حين يخبر بهذا — سيقولون بأن  
هذا بالغ الحق — ومن فى دُورنا من أهل ، سيؤيدونهم ، فى  
قولهم بأن الحياة التى يتمناها الفلاسفة هى لا شىء غير الموت ،  
ولأنهم قد تبينوا فإذا هم حقيقون بالموت الذى يتمنون

— وهم على حق يا سمياس في قولهم هذا ، إذا استثنيت منه هذه العبارة : « إنهم تبينوا » لأنهم لم يتبينوا طبيعة هذا الموت الذى يتمناه الفيلسوف الحق ، ولا كيف هو حقيق بالموت أو راغب فيه ، فلندعهم وليتحدث بعضنا إلى بعض قليلاً :  
أنحن معتقدون في وجود ما يسمى بالموت ؟

فأجاب سمياس : كن من ذلك على يقين

— وهل يكون الموت إلا انفصال الروح عن الجسد ؟  
والإنسان إنما يبلغ هذا الانفصال إذا ما قامت الروح بذاتها مفصولة عن الجسد ، وقام الجسد مفصولاً عن الروح — أليس ذلك هو الموت ؟

فأجاب : هو كذلك . وليس شيئاً غير هذا

— وما قولك يا صديقي في مسألة أخرى ، أحب أن تدلى إلى برأيك فيها ، وقد تلقى إجابتك عنها ضوءاً على موضوع بحثنا ، هل ترى جديراً بالفيلسوف أن يعنى بلذائذ الأكل والشرب — إن صح أن تدعى هذه لذائذ ؟

فأجاب سمياس : لا ، ولا شك

— وماذا تقول في لذة الحب ، أينبغى له أن يعنى بها ؟

— لا ينبغى بحال من الأحوال

— وهل يجوز له أن يطيل الفكر في غير ذلك من ألوان لذة  
 الجسد — كحيازة اللباس الفاخر ، والنعال ، مثلاً ، أو غيرها من  
 زينات البدن ؛ ألا يجدر به بدلاً من أن يعنى بهذا أن يزدري  
 كل شيء مما يزيد على حاجة الطبيعة ؟ فماذا تقول ؟  
 — يجب أن أقرر بأن الفيلسوف الحق ينبغي أن يزدريها  
 — أأنت ترى أن ينصرف بكايته إلى الروح لا إلى البدن ؟  
 إنه يود أن يتخلص من البدن ، وأن يعود إلى الروح  
 ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ؟

— ذلك حق

— وترى الفلاسفة يلتمسون في مثل هذا الأمر كل سبيل  
 لفصل الروح عن الجسد أكثر مما يفعل سائر الناس جميعاً  
 — ذلك صحيح

— بينا يعتقد سائر الناس يا سمياس أن حياة تخلو من لذائذ  
 البدن ولا تأخذ منها بقسط ، ليست حقيقة بالبقاء ، بل يرون  
 أن إنساناً لا يفكر في مسرات الجسد ، يكاد يكون كالأموات  
 — ذلك جد صحيح

— و بعد فهاذعساناً أن نقول عن السبل الحقيقية التي تقتضيها  
 المعرفة ؟ إن كان ثمة ما يدعو الجسم للمساهمة في تحصيلها ، فهل

يكون عائقها أم معينا عليها ؟ أغنى هل يأتينا السمع والبصر  
بحقيقة ما ؟ أليس هما دليلين خاطئين كما لا يفتأ ينبئنا الشعراء ؟  
فإن كانا خاطئين ومبهمين فماذا عسى أن يقال عن سائر الحواس ؟  
ولا أحسبكم معارضين في أنهما أضبط الحواس  
فأجاب سمياس : يقينا

— وإذن فتى تدرك الروح الحقيقة ؟ — لأنها إن أشركت  
معهما الجسم فيما تحاول أن تبخته ، فهي مخدوعة لا محالة  
— نعم ، هذا صحيح  
— أفلا يجب إذن أن ينكشف لها الوجود بوساطة الفكر ،  
إن كان له أن ينكشف

— نعم  
— وأحسن ما يكون الفكر حينما ينحصر في حدود نفسه ،  
حتى لا يشغله شيء من هذه — فلا أصوات ولا مناظر ولا ألم  
ولا لذة مطلقاً — وذلك إنما يكون عند ما يصبح الفكر أقل  
اتصالا بالجسد ، فلا يصله منه حس ولا شعور بل ينصرف بتطلمه  
إلى الكون

— هذا جد صحيح  
— وفي هذا يزدرى الفيلسوف البدث ، فتفر منه

روحه وتود أن تنعزل بنفسها

— هذا صحيح

— حسناً ، ولكن بقى شىء آخر يا سمياس ، أئمة عدل

مطلق أم ليس له وجود ؟

— لا ريب فى أنه موجود

— وجمال مطلق وخير مطلق ؟

— بالطبع

— ولكن هل حدث لك أن رأيت واحداً منها بعينيك ؟

— يقينا لم أره

— ألم تدركها قط بأية حاسة جثمانية أخرى ؟ ( ولست

أتحدث عن هذه وحدها ، بل كذلك عن العظمة المطلقة وعن

الصحة وعن القوة وعن ذات كل شىء ، أى حقيقة طبيعته ) ألم

يأتك علمها قط خلال أعضاء الجسد ؟ أليس الذى يريد عقله على

أن يتصور ذات الشىء الذى هو بصدد بحثه أضبط تصور ، إنما

يسلك بذلك أخصر السبل التى تؤدى إلى معرفة طبائعها الكثيرة

— يقيناً

— أما من يظفر بمعرفتها أسى ما تكون نقاء ، فهو ذلك

الذى يسعى إليها واحدة واحدة ، فيتناولها بالعقل وحده ، دون



أن يأذن للبصر أو لغيره من الحواس الأخرى بالتطفل أو التدخل في مشاركة العقل وهو منصرف إلى التفكير ، بل ينفذ بأشعة العقل ذاتها ، بكل صفاتها ، إلى ضوء ما فيها من حقائق ، بعد أن يكون قد تخلص من عينيه وأذنيه ، بل ومن كل جسده ، الذي لا يرى فيه إلا عنصر تهويش ، يعوق الروح عن إدراك المعرفة ما دام متصلا بها — أليس أرجح الظن أن يظفر مثل هذا الرجل بمعرفة الوجود ، إن كانت معرفته في مقدور البشر على الإطلاق ؟

فأجاب سمياس : إن في ذلك يا سقراط لحقا رائعا

— أوليس لزاما على الفلاسفة الحق إذا هم اعتبروا ذلك كله أن يفوضوا في أفكارهم ، فإذا ما التقوا تحدث بعضهم إلى بعض عن تفكيرهم بمثل هذه العبارة : إنا قد اهتدينا إلى سبيل من التأمل قيينة أن تنتهي بنا وبالجدل إلى هذه النتيجة : وهي أنه ما دمنا في أجسادنا وما دامت الروح ممتزجة بهذه الكتلة من الشر ، فلن تبلغ شهوتنا حد الرضى ، وإنها لشهوة الحقيقة ، ذلك لأن الجسد مصدر لعناء متصل ، علقته هذه الحاجة إلى الطعام ، وهو كذلك عرضة للمرض الذي ينتابنا فيحول بيننا وبين البحث عن الحقيقة ، وهو كما يقول الناس ، أبداً لا يدع لنا السبيل

إلى تحصيل فكرة واحدة ، لما يملأنا به من صنوف الحب والشهوات والخاوف والأوهام والأهواء ، وكل ضرب من ضروب الجهالة ، وإلا فنأين تأتى الحروب والمعارك والأحزاب إن لم تكن آتية من الجسد وشهوات الجسد ، فالحروب يثيرها حب المال ، والمال إنما يُجمع من أجل الجسد وخدمته ، ومن جراء هذا كله يضع الوقت الذى كان ينبغي أن ينفق فى الفلسفة ، هذا ولوثياً للفلسفة الميل والفراغ لنفث الجسد فى مجرى التأمل الشغب والاضطراب والخوف ليحول بيننا وبين رؤية الحقيقة ، وقد دلت التجارب جميعاً على أنه لو كان لنا أن نظفر عن شيء ما بمعرفة خالصة لوجب أن نتخلص من الجسد ، ولزم على الروح أن تشهد بجوهرها جواهر الأشياء جميعاً ؛ ولست أحسبنا إلا ظافرين بما نبتغى ، وهو ما نزع أننا محبوه ، وأعنى به الحكمة ، لا أثناء حياتنا بل بعد الموت كما تبين من الحديث ، فإن كانت الروح عاجزة عن تحصيل المعرفة وهى فى رفقة الجسد ، فالنتيجة كما يظهر أحد أمرين : إما أن تكون المعرفة ليست على الإطلاق حقيقة بالتحصيل ، وإما أن تحصيلها يكون بعد الموت إن كانت جديرة به ؛ فعندئذ ، وعندئذ فقط ، تنزل الروح فى نفسها مستقلة عن الجسد ، وأحسب أننا فى هذه الحياة الحاضرة نسلak

أخصر السبل إلى المعرفة ، لو كنا نبذل نحو الجسد أقل ما يمكن بذله من عناية وشغف ، فلا نصطبغ بصبغة الجسد ، بل نظل أصفياء إلى الساعة التي يشاء فيها الله نفسه أن يحل وثاقنا ، فإذا ما تطهرنا من أدران الجسد ، وكنا أنقياء ، وتجاوزنا مع سائر الأرواح النقية أطراف الحديث ، تعرفنا أنفسنا في الأشعة الصافية التي تضيء في كل مكان ، فلا ريب أن ذلك هو ضوء الحقيقة ، فلن يؤذَنَ لشيء دنس أن يدنو مما هو طاهر ، إنه لن يسع محبي الفلسفة الحقيقية ، يا سمياس ، إلا أن يفكروا في هذه الألفاظ وأشباهاها ، وأن يقولوا بعض لبعض ، أفأنت موافق على ذلك ؟ — يقيناً يا سقراط

— ولكن إن صح هذا يا صديقي ، فما أعظم الأمل إذن في أنني إذا ما بلغت غاية رحلتى ، فلن يقلقنى هذا الهم الشاغل الذى صادفنى وإياكم في حياتنا الأولى ؛ أما وقد تحدثت ساعة رحيلى ، فذلك ما أرحل به من رجاء ، ولست في ذلك فريداً ، بل هكذا كل رجل يعتقد أن عقله قد تطهر

فأجاب سمياس : يقيناً

— وماذا يكون التطهير غير انفصال الروح عن الجسد ، كما سبق لى القول ، واعتياد الروح أن تجمع نفسها وتحصرها في

نفسها بعيدا عن مطارح الجسد جميعا ، وانعزالها في مكانها الخاص ، في هذه الحياة كما في الحياة الأخرى ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وفكاكها من أغلال البدن ؟

فقال : هذا جد صحيح

— وماذا يكون ذلك الذى يدعى الموت سوى هذا الانفصال

نفسه ، وتحلل الروح من الجسد ؟

فقال : لا شك في ذلك

— والفلاسفة الحق وحدهم دون غيرهم ينشدون خلاص

الروح ويتمنون أن يكون . أليس انفصال الروح وفكاكها من

الجسد هو موضوع بحثهم الخاص ؟

— هذا صحيح

— إنه لتناقض مضحك كما قلت في بادئ الأمر ، أن ترى

أناسا يحاولون بالدراسة أن تكون حياتهم قريبة من حالة الموت

ما استطاعوا ، فإذا ما أدركهم الموت أشفقوا منه

— يقينا

— إذن يا سمياس . فما دام الفلاسفة الحق لا ينفكون يمدون

أنفسهم للموت ، فالموت عندهم ، دون الناس جميعا ، أهون

الخطوب . انظر إلى الأمر على هذا النحو : كم يبلغ منهم التناقض

أن يناصروا الجسد عداوة متصلة ، وأن يتمنوا لو خلصت لهم الروح وحدها ، فإذا ما أُجيبوا إلى ذلك ، كان منهم السخط والجزع ، في مكان اغتباطهم بالرحيل إلى ذلك المكان ، حيث يؤملون إذ ما بلغوه أن يظفروا بما قد أُحبوا في الحياة ( ألا وهي الحكمة ) ، وأن يتخلصوا في الوقت نفسه من مرافقة عدوهم . وكأين من رجل تمنى أن يذهب إلى العالم الأدنى ، آملاً أن يصادف هناك معشوقة دنيوية ، أو زوجاً ، أو ولداً ، ليتحدث إليهم . أبعد ذلك يشفق من الموت من هو للحكمة محب صحيح ، ويعتقد كذلك أن لن تتاح له بحق إلا في العالم الأدنى ؛ أليس يقابل الرحيل بالبشر ؟ إنه يا صديقي لا بد فاعل إن كان فيلسوفاً حقاً ، لأنه سيوقن يقيناً ثابتاً أنه لا يستطيع أن يلتمس الحكمة في نقائهم إلا هناك فقط ، دون أى مكان آخر ، وإن صح هذا فأبلغ به من أحق — كما سبق لى القول — إن كان يفرق من الموت

فأجاب سمياس : لا ريب في أنه فاعل

— وأنت إذا رأيت رجلاً يجزع من اقتراب الموت ، كان جزعه دليلاً قاطعاً على أنه ليس محباً للحكمة ، ولكنه محب للجسد ، وربما كان في الوقت نفسه محباً للمال ، أو القوة ، أو كليهما

فأجاب : هذا جد صحيح

— إن ثمة ياسمياس لفضيلة تدعى الشجاعة . أليست هذه  
صفة خاصة بالفلسفة ؟

— يقينا

— وكذلك الاعتدال . أليس الهدوء ، وضبط النفس ،  
وازدراء العواطف ، التي يسميها الدهاء أنفسهم بالاعتدال ، صفة  
مقصورة على أولئك الذين يحتقرون الجسد ويعيشون في الفلسفة ؟  
— ليس في ذلك خلاف

— وأنت إذا نظرت إلى الاعتدال والشجاعة عند سائر  
الناس ، ألغيت بينهما ، في حقيقة الأمر ، تناقضا  
— وكيف ذلك يا سقراط ؟

فقال : إنك عليم بأن الناس بصفة عامة ينظرون إلى  
الموت شرا وييلا

فقال : هذا صحيح

— أوليس البواسل من الرجال يحملون الموت ، لأنهم  
يخشون ما هو أعظم من الموت شرا ؟  
— هذا صحيح

— إذن فشكل الناس ما خلا الفلاسفة شجعان ، إلا أنها

شجاعة من الخوف والوجل . وإنه لمعجب ولا شك أن يكون  
الرجل شجاعاً لأنه مذعور جبان !

— صحيح جداً

— أوليس هذا بعينه شأن المعتدلين ؟ إنهم معتدلون لأنهم  
مفرطون — قد يبدو ذلك متناقضاً ، ولكنه مع ذلك هو  
ما يحدث في هذا الاعتدال الأحق — فهناك من اللذائذ  
ما يحرصون على تحصيلها ويخشون ضياعها ، فهم لذلك يتعففون  
عن نوع من اللذات لأن نوعاً آخر قد استولى عليهم ، وإذا  
عرفت التفریط بأنه « الخضوع لسلطان اللذة » فإنهم لا يقهرون  
لذة ، إلا لأن لذة تقهرهم ، وذلك ما أعنيه بقولى إنهم معتدلون  
لأنهم مفرطون

— يظهر أن ذلك حق

— ومع ذلك فليس من الفضيلة استبدال خوف أو لذة  
أو ألم بخوف آخر أو لذة أو ألم ، وهى متساوية كلها ، أكبرها  
بأصغرها ، تساوى النقد بالنقد . أى عزيزى سمياس ، أليس فى  
النقد قطعة واحدة صحيحة هى التى ينبغى أن تستبدل بالأشياء  
جميعاً ؟ — وتلك هى الحكمة ، ولن يشرى شئ بحق أو يباع ،  
شجاعة كان أم عفة أم عدلا ، إلا إن كان للحكمة ملازماً ،

وإلا إن كانت هذه الحكمة له بديلا . ثم أليست الفضيلة الحق بأسرها رفيقة الحكمة بغض النظر عما قد يكتنفها أو لا يكتنفها من المخاوف والذائدات أو ما إليهما من الخيرات أو الشرور ؟ إلا أن الفضيلة التي يكون قوامها هذه الخيرات التي تأخذ في استبدال بعضها ببعض بعد أن تكون قد انفصلت عن الحكمة ، ليست من الفضيلة إلا ظلمها ، ولا يكون فيها من الحرية أو العافية أو الحقيقة شيء ، أما التبادل الحق فيقتضى أن تمحى هذه الأشياء محواً ، وما طهورها إلا العدل والشجاعة والحكمة نفسها . وإني لأتصور أن أولئك الذين أنشأوا الأسرار ، لم يكونوا مجرد عابثين ، بل قصدوا إلى الجدل حينما عمدوا إلى شكل فرمزوا به إلى أن من يمتنع إلى العالم الأدنى دنساً جاهلاً سيمعيش في حماة من الوحل ، أما ذلك الذي يصل إلى العالم الآخر بعد التعليم والتطهير فسيعيش مع الآلهة . وكما يقولون في الأسرار : « كثيرون هم من يحملون عصا السحر ، أما العالمون بالسحر فقايل » <sup>(١)</sup> وهم يريدون بهذه

(١) يريد سقراط بهذا القول كله أن الفيلسوف يفهم الخير والبر خلافا لما يفهمه منهما سائر الناس ، فعامة الناس لا يقفون مواقف الشجاعة إلا حينما يتهددهم خطر أعظم مما هم فيه ، فإن أقدموا مثلاً على الموت فلائهم ينجشون العار أو الهزيمة أو ما إليهما مما يعتبر شراً من الموت ؛ كذلك من يزعمون في أنفسهم العفة ، لا يمتنعون عن لذة إلا لأنهم يطعمون في أكبر منها . أما الفيلسوف الحق فيحتقر هذه الموازنة بين اللذة والألم ، ولا يعترف =



العبارة فيما أرى ، الفلاسفة الحق ، الذين أنفقت حياتي كلها أبحث  
بينهم لعل أجد مكاناً ، ولست أشك في أنني عند ما أبلغ العالم  
الآخر بعد حين قصير ، سيأتيني إن شاء الله علم يقين ، عما إذا  
كنت قد التمت في البحث سبيلاً قويمه أم لا ، وإن كنت  
قد أصبت التوفيق أم لم أصبه . أى سمياس وسيبيس ، لقد  
أجبت بهذا على أولئك الذين يؤخذونني بعدم الحزن أو الجزع  
لفراقكم وفراق سادتي في هذا العالم ، فقد أصبت بعدم الخوف  
لأننى أعتقد أننى سأجد في العالم الأدنى أصدقاء وسادة آخرين ،  
يعدلونكم خيراً ، ولكن الناس جميعاً لا يسيغون هذا ، وإنه  
ليسرني أن تصادف كلماتي عندهم قبولاً أكثر مما صادفت عند  
قضاة الأثينيين

أجاب سيبيس : إني موافقك يا مقراط على معظم  
ما تقول ، ولكن الناس أميل إلى عدم التصديق فيما يتصل  
بالروح . إنهم يخشون ألا يكون لها مستقر إذا ما فصلت عن  
الجسد ، وأنها قد تذوى وتزول في يوم الموت ذاته — فلا تكاد

---

= بفضيلة إلا إن كانت ملازمة للحكمة ؟ وكل الفضائل بما فيها الحكمة  
نفسها إن هي في نظر الفيلسوف إلا ظهور للنفس من أدرانها ؛ وذلك ماعناه  
مؤلفو الأسرار حيناً قالوا : كثيرون هم من يحملون عصا السحر ولكن  
العالمين بالسحر قليل

تتحلل من الجسد حتى تنطلق كالدخان أو الهواء ، ثم تتلاشى في  
العدم . فلو قد تستطيع أن تمالك أجزاؤها ، وأن تظل كما هي  
بعد أن تكون قد خلصت من شرور الجسد ، لرجونا يا سقراط ،  
محققين فيما نرجو ، أن ما تقوله حق ، ولكننا بحاجة إلى كثير  
من البراهين ووفير من الحجج ، لإثبات أنه إذا مات الإنسان  
فروحه تظل مع ذلك موجودة ، وتكون على شيء من قوة الذكاء .  
فقال سقراط : هذا حق يا سيبيس ، فهل لي أن أقترح  
حديثاً قصيراً عما يحتمل لهذه الأشياء من وجوه ؟

قال سيبيس : لست أشك في أنى شديد الرغبة في معرفة  
رأيك عنها

فقال سقراط : لا أحسب أن لأحد من سمعنى الآن ، حتى  
ولو كان أحد أعدائى القدماء من الشعراء الهازلين ، أن يتهمنى  
بالخبط في الحديث عن موضوعات لا شأن لى فيها . فأذنوا  
إن شئتم بأن نغضى في البحث

إن مشكلة أرواح الناس بعد الموت : أهي موجودة في العالم  
الأدنى أم غير موجودة ؟ يمكن مناقشتها على هذا النحو : يؤكد  
المذهب القديم الذى كنت أتحدث عنه ، أنها تذهب من هذا  
العالم إلى العالم الآخر ، ثم تعود إلى هنا حيث تولد من الميت ،

فإن صح هذا وكان الحى يخرج من الميت ، للزم أن تكون أرواحنا فى العالم الآخر ، لأنها إن لم تكن ، فكيف يمكن لها أن تولد ثانياً ؟ إن هذا القول حاسم ، ولو كان ثمة شاهد حقيقى على أن الحى لا يولد إلا من الميت ؛ أما إذا لم ينهض على هذا دليل ، فلا بد من سوق أدلة أخرى

فأجاب سيبيس : هذا جد صحيح

— إذن فدعنا نبحث هذه المسألة ، لا بالنسبة إلى الإنسان وحده ، بل بالنسبة إلى الحيوان عامة ، وإلى النبات ، وكل شئ . يكون فيه التوالد ، وبذلك تسهل إقامة الدليل . أليست كل الأشياء التى لها أضداد تتولد من أضدادها ؟ أعنى الأشياء التى كالخير والشرير ، والعاقل والجائر — وهناك من الأضداد الأخرى التى تتولد من أضدادها ، عدد ليس إلى حصره من سبيل ، وإنما أريد أن أبرهن على أن صحة هذا القول شاملة لما فى الكون من أضداد ، أعنى مثلاً أن أى شئ يكبر ، لا بد أنه قد كان أصغر قبل أن أصبح أكبر

— صحيح

— وأن أى شئ يصغر ، لا بد أنه قد كان يوماً أكبر ثم

صار أصغر

- نعم  
 — وأن الأضعف يتولد من الأقوى والأسرع من الأبطأ ؟  
 — جد صحيح  
 — والأسوأ من الأحسن ، والأعدل من الأظلم ؟  
 — بالطبع  
 — وهل هذا صحيح عن الأضداد كلها ؟ وهل نحن مقتنعون  
 بأن جميع الأضداد ناشئة من أضداد ؟

— نعم  
 — ثم أليس ثمة كذلك في هذا التضاد الشامل بين الأشياء  
 جميعاً ، فعلان متوسطان ، لا ينفكان يسيران من ضد إلى الضد  
 الآخر جيئة وذهاباً ، فحيث يوجد أكبر وأصغر ، يوجد كذلك  
 فعل متوسط بينهما ، يعمل للزيادة والنقصان ، ويقال للشئ  
 الذى ينمو إنه يزيد ، وللشئ الذى يتناقص إنه يذوى

فقال : نعم

— وهناك غير ذلك عمليات كثيرة أخرى ، كالتجزئة  
 والتكوين والتبريد والتسخين ، التى تتضمن تساوى ما يخرج  
 من شئ وما يضاف إلى شئ آخر . أليس ذلك صحيحاً بالنسبة  
 إلى الأضداد كلها — حتى ولو لم يعبر عنها باللفظ دائماً — فهى

تتولد الواحد من الآخر، وثمة انتقال ، أو فعل ، بين بعضهما وبعض

فأجاب : هذا جد صحيح

— جميل ، أفليس هناك ضد للحياة ، كما أن النوم ضد

اليقظة ؟

— فقال : بل هذا حق

— وما هو ذاك ؟

فأجاب : هو الموت .

— فإن كان هذان ضدّين ، فهما متولدان إذن أحدهما من

الآخر ، وبينهما كذلك فعلان متوسطان ؟

— بالطبع

فقال سقراط : سأعد الآن إلى أحد زوجي الأضداد اللذين

ذكرتهما لك فأحلله ، وأحلل كذلك فعليه المتوسطين وعليك

أن تحلل لي الآخر . فخلال النوم تضاد حالة اليقظة ، ومن النوم

تتولد اليقظة ، ومن اليقظة يتولد النوم ، وعملية التولد هي في

إحدى الحالين إدراك النعاس ، وهي الاستيقاظ في الأخرى .

أفأنت متفق معي على هذا ؟

— إني جد متفق !

إذن فهب أنك أخذت بهذه الطريقة نفسها تحلل لي الحياة

والموت . أليس الموت يضاد الحياة ؟

— بلى

— وهما متولدان ، أحدهما من الآخر ؟

— نعم

— ما الذى تولد من الحياة ؟

— إنه الموت

— وما الذى تولد من الموت ؟

— لا يسعنى أن أقول فى الجواب إلا أنها الحياة

— إذن يا سيبيس فالخى من الأشياء والأشخاص متولد

من الميت ؟

فأجاب : هذا جلى

. — ونتيجة ذلك إذن . هى أن أرواحنا كائنة فى العالم

الأدنى ؟

— هذا حق

— وأحد الفعلين أو التولدين ملحوظ بالعين — فلا شك

أن عملية الموت ظاهرة ؟

فقال : لاريب

— أفلا يجوز أن يستنتج التولد الآخر ، على أنه متمم

للطبيعة التي لا يفترض بأنها تسير على ساق واحدة فحسب ؟ فإن  
كان الأمر كذلك ، فلا بد أيضاً أن يضاف إلى الطبيعة عملية  
تولد من الموت مقابل عملية التولد من الحياة

فأجاب : يقيناً

— وماذا تكون تلك العملية ؟

— هي عودة الحياة

— وعودة الحياة ، إن صح وجودها ، هي ولادة الميت في

عالم الأحياء ؟

— هذا جد صحيح

— إذن فهناك سبيلاً جديدة تؤدي بنا إلى النتيجة بأن الحى

يخرج من الميت كما يخرج الميت من الحى سواء بسواء ، فإن صح  
هذا فلا بد أن تكون أرواح الموتى مستقرة فى مكان ما ،

ستعود منه مرة أخرى ، وقد أقمنا على ذلك فيما أظن دليلاً مقنعاً

قال : نعم يا سقراط ، فيظهر أن هذا كله يتبع بالضرورة

ما سلمنا به من قبل

فقال : ولم يكن ذلك الذى سلمنا به يا سيبيس معوجاً ،

وتستطيع أن تبين ذلك ، فيما أظن على هذا النحو : لو كان

التولد يسير فى خط مستقيم فقط ، فلم تكن فى الطبيعة دورة

أو تعويض ، فلا تبادل بين الأشياء أخذاً ورداً ، لا تخذت الأشياء — كما تعلم — في نهاية الأمر صورة بعينها ، ولتحوّلت إلى حالة بعينها ، ولما تولد منها بعد ذلك شيء .  
فقال — ماذا تعنى بهذا ؟

فأجاب : أعنى شيئاً بسيطاً جداً سأوضحه بحالة النوم .  
فأنت تعلم أنه لو لم يكن ثمة توازن بين النوم واليقظة لأضحت قصة أنديميون<sup>(٢)</sup> النائم بلا معنى ؛ فقد كان النعاس سيدرك كذلك كل شيء آخر ، فلا يعود أنديميون موضعاً للتفكير أحد ؛ أو لو كانت المادة ينتابها تكوين بغير انقسام ، إذن لعاد هوبو انكسجوراس مرة ثانية . وهكذا ، أنى عزيزى سيبيس ، لو كان كل شيء تناولته الحياة صائراً إلى الموت ، ثم لا يعود إلى الحياة ثانياً لاتتهى الأمر بكل شيء إلى الموت ، فلا يبقى ثمة شيء حى — وإلا فكيف يمكن ذلك أن يكون ؟ إذ لو كانت الأحياء صادرة من شيء غير الأموات ، وكان الأحياء يدركهم الموت ، أليس حتماً أن يبتلع الموت آخر الأمر كل شيء ؟

فقال سيبيس : ليس عن ذلك منصرف يا سقراط ، وإنى لأحسب أن ما تقوله أنت حق خالص

---

(٢) أنديميون شاب جميل ، أغرقه القمر فى ناس دائم ، لكى يستطيع أن يقبله على غرة منه



فقال : نعم يا سيبيس ، إنى كذلك أحسبه حقاً خالصاً ،  
ولسنا بذلك سابحين فى خيال فارغ ، ولكنى ثابت الإيمان  
بحقيقة العودة إلى الحياة ، وبأن الأحياء يخرجون من الموتى ،  
وبأن أرواح الموتى ما برحت فى الوجود ، وبأن الأرواح الخيرة  
أوفى من الأرواح الشريرة جزاء

فأضاف سيبيس : كذلك لو صح مذهبك العزيز يا سقراط ،  
بأن المعرفة ليست إلا تذكرًا ، لاقتضى ذلك بالضرورة زمنًا  
سالفًا تعلمنا فيه ما نحن الآن ذا كروه ، وقد كان هذا التذكر  
يستحيل لو لم تكن أرواحنا قبل حلولها فى الصورة البشرية ،  
كائنة فى مكان ما ، وإذن فهذه حجة أخرى تؤيد خلود الروح  
فاعترضه سميث قائلا : ولكن حدثنى يا سيبيس ، ما البراهين  
التي تساق لمذهب التذكر هذا ؟ فلست جازم اليقين بأنها الآن  
تحضرنى

قال سيبيس : منها برهان ساطع تقيمه الأسئلة ، فإذا أنت  
ألقيت على شخص سؤالاً بطريقة صحيحة ، أجابك من تلقاء نفسه  
جواباً صحيحاً . فكيف استطاع أن يفعل ذلك ، ما لم تكن لديه  
من قبل معرفة ومنطق مصيب ؟ وأكثر ما يكون ذلك وضوحاً  
حينما يعرض عليه شكل هندسى ، أو أى شئ من هذا القبيل

قال سقراط : إن كنت لا تزال شاكا يا سمياس ساءلتك ،  
أفلا يجوز أن توافقني إذا ما نظرت إلى الموضوع على نحو آخر ؟  
أعني إذا كنت لا تزال متردداً في التسليم بأن المعرفة عبارة  
عن تذكر ؟

فقال سمياس : لست شاكا ، ولكنني أردت أن تعاد إلي  
ذاكرتي نظرية التذكر هذه ، ولقد بدأت أذكرها وأقنع بها  
مما قاله سيبس ، غير أنني ما زلت أتمنى لو أدليت بما لديكم فوق  
ما أعلم

فأجاب : هذا ما سوف أدلي به ، ولعلنا إن لم أكن مخطئاً  
متفقون على أن ما يتذكره الإنسان لا بد أن يكون قد علمه في  
زمن سالف

— جد صحيح

— فما طبيعة هذا التذكر ؟ إنما أريد بهذا السؤال أن  
أتساءل : ألا يحق لنا القول بأنه إذا لم يقتصر علم إنسان على  
ما قد رآه أو سمعه أو سلك إلى إدراكه أية سبيل أخرى ، بل  
عرف شيئاً آخر معرفة تباين تلك ، أفليس هو بذلك إنما يتذكر  
شيئاً يختلج في عقله ؟ ألسنا على ذلك متفقين ؟

— ماذا تعني ؟

— أعنى ما قد أوضحه بهذا المثال الآتى : ليست معرفتك القيثارة كعرفتك الإنسان سواء بسواء .

— هذا صحيح

— ولكن ما شعور الحبين إذا ما رأوا قيثارة أو لباساً أو أى شئ آخر مما كان المحبوب يستخدمه عادة ؟ أليسوا من رؤية القيثارة يكونون فى عين العقل صورة للفتى صاحب القيثارة ؟ وهذا تذكر ، وكل من يرى سمياس قد يتذكر بنفس الطريقة سيبيس ، وهناك من هذا الضرب أشياء لا يحدها الحصر

فأجاب سمياس : نعم إنها موجودة حقاً ولا حصر لعددها فقال : وهذا الشئ وما إليه هو التذكر ، وهو فى الأعم الأغلب عملية لكشف ما قد طواه النسيان بفعل الزمن والإهمال فقال : هذا صحيح

— ثم ألا يجوز كذلك أن تتذكر إنساناً من رؤية قيثارة أو صورة لجواد ؟ أو قد تبعثك صورة سمياس على تذكر سيبيس ؟ — هذا حق

— أو قد تنساق كذلك إلى تذكر سمياس نفسه ؟

فقال : هذا حق

— وقد يكون التذكر فى هذه الحالات جميعاً

منبعثاً من أشباه الشيء أو مما يبينه ؟

— هذا صحيح .

— وهناك سؤال لابد أن ينشأ ، حينما يكون التذكر قد

انبعث من شبيه الشيء ، وهو : هل يكون شبيه الشيء المتذكر ناقصاً في أى ناحية من نواحيه ، أم لا يكون ؟ <sup>(١)</sup>

فقال : هذا جد صحيح

— وهل نتقدم خطوة أخرى ، فنؤكد بأن التساوى

موجود فعلاً ، لا تساوى الخشب بالخشب أو الحجر بالحجر ، بل ما هو أسمى من ذلك وأرفع . أنؤكد بأن التساوى موجود في عالم التجريد ؟

فأجاب سميّاس : نعم ، أؤكد ذلك وأقسم على صحته بكل ماوسعت الحياة من يقين

— وهل نحن نعلم هذه الذات المجردة ؟

فقال : لا شك في ذلك

— ومن أين جاءنا هذا العلم ؟ ألم نر متساويات من الأشياء

المادية ، كقطع الحجر والخشب ، فاستنتجنا منها مثالا لمساواة

(١) يعني لو رأيت مثلاً صورة رجل ، فذكرتك بالرجل نفسه ، فهل تكون هذه الصورة ، وهي شبيهة الأصل ، منطبقة تماماً على أصلها ؟

تخالفها<sup>(١)</sup> ؟ أفأنت موافق على هذا ؟ أو فانظر مرة أخرى إلى الموضوع على هذا النحو : أليست قطع الحجر والخشب بعينها تبدو متساوية حيناً متفاوتة حيناً آخر ؟

— لا ريب فى هذا

— ولكن هل تتفاوت المتساويات الحقيقية أبداً ؟ أم هل يكون مثال التساوى يوماً عدم مساواة ؟

— لا شك فى أن ذلك شئ لم يُعرف بعد

— إذن فهذه المتساويات ( كما يسمونها ) ليست تطابق

مثال التساوى ؟

— لا بد من القول يا سقراط بأنها تخالفه تماماً

— ومع ذلك ، فأنت من هذه المتساويات ، قد تصورت

مثال التساوى ووصلت إليه ، على الرغم من أنها مغالفة لذلك المثال ؟

فقال : هذا جد صحيح

— وقد يكون مثال التساوى شبيهاً بها . وقد يكون

مبايناً لها ؟

(١) معنى ذلك أن الانسان قد شاهد فى الحياة أشياء متساوية ، فعرف منها أن هناك تساوى مجرداً ، مع أن ذلك التساوى المجرد لا يشبه هذه المتساويات التى شاهدها تمام الشبه ، لأن هذه كثيراً ما تتفاوت ؛ أما ذلك — إن وجد — فلا يجوز عليه التفاوت مطلقاً

— نعم  
— ولكن هذا لا يغير فى الأمر شيئاً ، فمادت قد تصورت شيئاً من رؤية شىء آخر ، سواء أكانا شبيهين أم متباينين ، فقد حدثت بذلك من غير شك عملية تذكر ؟

— جد صحيح

— ولكن ماذا عساك أن تقول فى قطع متساوية من الخشب والحجر ، أو فى غيرها من التساويات المادية ؟ وأى أثر هى تاركة فى نفسك ؟ أمى متساويات بكل ما فى التساوى المطلق من معنى ، أم أنها تقع فى القياس دونه بشىء يسير ؟

فقال : نعم ، بل دونه بمسافة بعيدة جدا

— ثم ألا يلزم أن نسلم بأننى ، أو أى أحد آخر ، حين ينظر إلى شىء فيدرك أنه إنما يشهد أن يكون شيئاً آخر ، ولكنه مقصر من دونه ، عاجز عن بلوغه — فلا بد أن قد كانت لدى من يلاحظ هذا معرفة سابقةً بذلك الشىء الذى كان هذا الأخير أحط منه ، كما يقول ، وإن كانا متشابهين ؟

— يقيناً

— ثم أليست هذه حالنا فى موضوع التساويات والتساوى

المطلق ؟

— تماماً

— إذن فلا ريب فى أننا كنا نعرف التساوى المطلق قبل أن نرى المتساويات المادية لأول مرة ، وفكرنا فى أن كل هذه المتساويات الظاهرة ، إنما تنشأ ذلك التساوى المطلق ، ولكنها تقصر من دونه ؟

— هذا صحيح

— ونحن نعلم كذلك أن التساوى المطلق لم يُعرف إلا بواسطة اللمس ، أو البصر ، أو غيرها من الحواس التى لا تمكن معرفته بغيرها<sup>(١)</sup> وإنى لأؤكد هذا عن كل إدراك كلّى من هذا القبيل — نعم يا سقراط ، فكل واحد من هذه المدركات لا يختلف عن الآخر فى شىء مما يدور حوله الحديث

— وإذن فن الحواس تنبعث المعرفة ، بأن كل الأشياء المُحسَّنة تنشأ مثال التساوى ، ولكنها تقصر من دونه — أليس ذلك صحيحاً ؟

— بلى

(١) لأننا أدركنا بالحواس أشياء متساوية ، فاستنتجنا وجود التساوى المطلق ، فكأننا أدركنا هذا الأخير عن طريق الحواس ، مع أنه عقلى محض . وقل مثل ذلك فى سائر المدركات الكلية ، كالجمال والخير وما إليهما ، فقد جاءتنا عن طريق الحواس أشياء جميلة : وردة ، وامرأة ، وشروق وهكذا ، فعرفنا عن طريقها فكرة الجمال المطلق

— إذن فقبل أن بدأنا في النظر ، أو السمع ، أو الإدراك  
بأية صورة أخرى لا بد أن قد كانت لدينا معرفة بالتساوى المطلق ،  
وإلا لما استطعنا أن ننسب إليه المتساويات التي نشقها من  
الحواس ؟ — فهذه كلها تسمى نحو ذلك التساوى المطلق فتقتصر  
من دونه ؟

— تلك ياستقراط نتيجة مؤكدة للعبارات التي ساف ذكرها  
— ثم ألم نأخذ في النظر والسمع واكتساب حواسنا الأخرى  
بمجرد أن ولدنا ؟

— يقينا

— إذن فلا بد أن قد حصلنا معرفة المتساوى المثالي في زمن  
سابق لهذا ؟

— نعم

— أى قبل أن نولد فيما أظن ؟

— صحيح

— وإذا كنا قد حصلنا هذه للمعرفة قبل أن نولد ، وكانت  
لدينا عند الميلاد ، إذن فقد كنا قبل الميلاد ، وفي ساعة الميلاد  
نفسها نعرف كذلك ، فضلا عن المتساوى ، والأكبر والأصغر ،  
سائر المثل جميعاً ، فنحن لا نقصُر الحديث على المتساوى المطلق



ولكنه يتناول الجبال ، والخير ، والعدل ، والقداسة ، وكل ما نطمعه بطابع الجوهر في نجرى الحوار ، حينما تلقى أسئلة ونجيب عن أسئلة ، أفستطيع أن نؤكد ، أننا قد كسبنا معرفة هذه كلها قبل الميلاد ؟

— هذا صحيح

— ولكن ، إذا نحن بعد كسب المعرفة ، لم ننس ما كنا قد كسبنا ، فلا بد أننا قد ولدنا ومعنا المعرفة دائماً ، وسنظل أبداً على علم بها ، مادامت الحياة — لأن العلم هو كسب المعرفة وحفظها ، لا نسيانها — أليس النسيان يا سمياس هو فقدان المعرفة لا أكثر ولا أقل ؟

— جد صحيح يا سقراط

— أما إذا افتقدنا عند الميلاد تلك المعرفة التي حصلناها قبل أن نولد ، ثم كشفنا فيما بعد ، بواسطة الحواس ، ما قد كنا نعلم من قبل ، أفلا يكون ذلك ، وهو ما نسميه تعلماً ، عملية لكشف معرفتنا ، ثم ألا يجوز لنا بحق أن نسمى هذا تذكرًا ؟

— جد صحيح

لأنه من الواضح ، أننا إذ ندرك شيئاً بواسطة البصر ، أو السمع ، أو أية حاسة أخرى ، لا نصادف صعوبة في أن ينشأ

لدينا من هذا الشيء تصوّر لشيء آخر ، يشبهه أو يباينه ، كنا قد أنسيناه ، وكان قد ارتبط بذلك الشيء ، وعلى ذلك ، فكما سبق لى القول ، يقع أحد الأمرين : إما أن يعده المعرفة كانت لدينا عند الميلاد ، وظللنا نعلمها طول الحياة ، وإما أن يكون أولئك الذين يقال عنهم إنهم يحصلون العلم ، بعد ميلادهم ، لا يفعلون أكثر من أن يتذكروا ، فما العلم إلا تذكروا وكفى .

— نعم ياسقراط ، هذا جدد صحيح

— فأى الأمرين تُؤثر ياسمياس ، أكانت المعرفة لدينا عند الميلاد ، أم أنا قد تذكرنا فيما بعد الأشياء التى كنا نعلمها قبل ميلادنا ؟

— لا أستطيع الحكم الآن

— مهما يكن ، فأنت تستطيع أن تحكم فيما إذا كان ينبغي أو لا ينبغي لمن لديه المعرفة أن يكون قادراً على تعليل معرفته

— لا شك أن ذلك حتم عليه

— ولكن هل تظن أن كل إنسان قادر على تعليل هذه الموضوعات نفسها التى نتحدث عنها الآن ؟

— ليتهم يستطيعون ياسقراط ! ولكم أخشى ألا يكون ثمة

من يستطيع في مثل هذه الساعة من الغد<sup>(١)</sup> أن يقدم تعليلاً  
جديراً بأن يؤخذ عنه

— إذن فليس من رأيك يا سميّاس أن كل الناس يعلمون  
هذه الأشياء ؟

— يقيناً إنهم لا يعلمون

— إذن فهم آخذون في تذكر ما قد كانوا يعلمونه من قبل ؟

— يقيناً

— ولكن متى كسبت أرواحنا هذه المعرفة ؟ لم يكن ذلك  
بعد أن ولّدنا بشراً ؟

— لا ، ولا ريب

— وإذن فقبل ذلك ؟

— نعم

— إذن يا سميّاس ، لا بد أن أرواحنا كانت موجودة قبل

أن تُصوّرَ في هيئة البشر<sup>(٢)</sup> ، ولا بد أن قد كان لديها ذكاء  
لما كانت بغير أبدان ؟

(١) يقصد أن سقراط في مثل هذه الساعة من الغد سيكون قد وافته

منيته ، وليس منوى سقراط أن يعلم المعرفة

(٢) ما دمنا قد كسبنا المعرفة قبل الميلاد ، فلا بد أن أرواحنا كانت  
موجودة قبل انبثالها بأجسادنا ، وكان لديها من قوة الذكاء ما تستطيع به  
تحصيل هذه المعرفة

— حقا يا سقراط ، ما لم تفرض أن هذه الآراء قد أوتيناها في ساعة الميلاد ، لأنه لم يبق إلا تلك اللحظة وحدها <sup>(١)</sup>

— نعم يا صديقي ، ولكن متى افتقدناها ؟ فهي لا تكون لدينا عند ما نولد — وقد سلمنا بهذا . هل افتقدناها في اللحظة التي فيها أخذناها ، أم في وقت آخر غير هذا ؟ <sup>(٢)</sup>

— لا يا سقراط ، لقد أدركت أني إنما كنت أنطق هراء لا أعيه

— إذن ، أفلا يجوز لنا ياسمياس أن نقول ما نردده دائما ، وهو إذا كان ثمة جمال مطلق ، وخير مطلق ، وسائر الذوات التي اكتشفنا الآن أنها سبقتنا في الوجود ، وكنا نقيس إليها كل أحاسيسنا ونقارنها بها — زاعمين أن قد كان لها وجود سابق ، فإن لم يكن ، ذهبت كل قوة في قولنا . فليس من سبيل

---

(١) إما أن نكون قد حصلنا المعرفة قبل الميلاد ، أو في ساعة الميلاد نفسها ، أو بعد الميلاد . وقد أقيم فيما سبق الدليل على بطلان الفرض الثالث فلم يبق إلا افتراض أحد الوجهين الأولين

(٢) يفند سقراط الفرض بأننا قد نكون أوتينا المعرفة عند ساعة الميلاد نفسها ، لأنه لو كان الأمر كذلك فحق افتقدناها ؟ لقد سلمنا فيما سبق أن حواسنا تأخذ منذ ساعة الميلاد في تذكر ما قد نسيته ، فهل افتقدت الروح المعرفة في نفس اللحظة التي أوتيتها فيها ؟ فهذا قول لا يستقيم مع العقل ، ولذا لم يبق إلا فرض واحد ، هو أن الروح قد كسبت المعرفة قبل الميلاد ، وهو ما أراد أن يدلل عليه سقراط

إلى الشك بأنه إذا كان لهذه المثل المطلقة وجود قبل أن نولد ، فلا بد أن أرواحنا كانت كذلك موجودة قبل ميلادنا ، فإن لم تكن المثل موجودة لم تكن الأرواح موجودة كذلك

— نم يا سقراط ، إني مقتنع بأن لوجود الروح قبل الميلاد هذه الضرورة نفسها ، وأنت إنما تتحدث من الروح عن كنهها : فقد انتهى بنا التدليل إلى نتيجة يسرني أنها تتفق مع ما أرتئيته . فلست أرى شيئاً يبلغ في بدايته مبلغ قولنا إن الجبال والخير وسائر المثل التي كنت تتحدث عنها الآن توا ، لها وجود غاية في الحق والتجريد ، وإني لمقتنع بالدليل

— حسناً ، ولكن هل اقتنع سيبيس اقتناعك هذا ؟ لأنني لا بد أن أقنعه كذلك

قال سمياس : أظن سيبيس مقتنعاً ؟ فإني أحسبه قد آمن بوجود الروح قبل الميلاد ، على الرغم من أنه أبعد الكائنات عن التصديق . ولكن دليلاً لم يقم بعد على استمرار وجود الروح بعد الموت ، بحيث يقنعني أنا ، فلا أستطيع أن أتخلص من شعور الدهاء الذي كان يشير إليه سيبيس — ذلك الشعور بأنه إذا مات الإنسان ، فقد تبعثر الروح ، وقد يكون ذلك نهايتها ، فلو سلمنا بأنها قد تتولد وتنشأ في مكان غير هذا ، وقد تكون

موجودة قبل حلولها في الجسم البشرى ، فإذا يمنع أن تبلى وتفنى بعد أن حلت فيه ثم خرجت منه ثانياً ؟

فقال سيبس : هذا جد صحيح يا سمياس ، أما أن أرواحنا كانت موجودة قبل أن نولد ، فهو الشطر الأول من الحديث ، ويظهر أن قد قام الدليل عليه ، وأما أن الروح ستبقى بعد الموت كما كانت قبل الميلاد ، فهو الشطر الآخر ، الذى لا يزال يعوزه الدليل ولا بد له من التأييد

قال سقراط : أى سمياس وسيبس ! لو أنكما أضفتما التديليلين أحدهما إلى الآخر — أعنى هذا وما سبقه ، الذى سلمنا فيه بأن كل شيء حى قد ولد من الميت ، لرأيتما أنا قد فرغنا من إقامة هذا الدليل ، لأنه لو كانت الروح موجودة قبل الميلاد ، وأنها إذ تجيء إلى الحياة وإذ تولد ، لا تكون ولادتها إلا من الموت أو الاحتضار ، أفلا يجب عليها بعد الولادة أن تستمر في وجودها مادام لا بد لها أن تولد مرة أخرى ؟ لا ريب فى أنا قد فرغنا من إقامة البرهان الذى ترجوان ، ولكنى مع ذلك ، أحسبك أنت وسمياس ، لا ترغبان فى أن تحبّرا هذا الدليل أكثر من ذلك ، فقد استولى عليكما ما يستولى على الأطفال من فزع ، خشية أن يذروا الهواء الروح حقيقة ، ويبعثرها عند فراقها

الجسد ، وبخاصة إذا كتب لإنسان أن يموت في جو عاصف ، ولم يقدر له الموت حيث السماء ساكنة

فأجاب سيبيس باسم : إذن يا سقراط ، فواجبك أن تنفض عنا خوفنا بالدليل — ومع ذلك فليست هي مخاوفنا ، إن توخيت الدقة في القول ، ولكن هنالك في طويتنا ، طفل ينظر إلى الموت ، كأنه ضرب من الغول ، فلا بد أن نحمله كذلك على ألا يفزع إذا ما انفرد وإياه في الظلام

قال سقراط : ردّد في كل يوم صوت الساحر ، إلى أن تطرد بالسحر ذلك الغول

— وأين عسانا أن نجد ساحراً حاذقاً يقينا مخاوفنا بعد ذهابك يا سقراط

فأجاب : إن هلاس<sup>(١)</sup> ، لمكان فسيح ياسيبس ، وفيه كثير من طيبي الرجال ، وهناك غير قليل من القبائل المتبربرة ، فابحث عنه في طول البلاد وعرضها ، بين هؤلاء جميعاً ، ولا تدخر في البحث جهداً ولا مالاً ، فليس من سبيل أفضل من استخدامك المال ، ولا يفتك أن تبحث عنه كذلك بين أنفسكم ، فوجوده ها هنا أرجح منه في أي مكان آخر

(١) هلاس هي بلاد اليونان

فأجاب سيبيس : لن نتردد في القيام بهذا البحث ، ولنعد الآن ، إذا شئت ، في الحوار إلى النقطة التي استطردها منها  
فأجاب سقراط : طبعاً ، وماذا أريد غير هذا ؟  
فقال : حسناً جداً

قال سقراط : أفلا ينبغي أن نسأل أنفسنا سؤالاً كهذا :  
ما هو الشيء الذي تظنه عرضة للبعثرة ، ونحن عليه حريصون ؟  
ثم ما هو الشيء الذي لا نحصر عليه ؟ وبعدئذ نستطيع أن نمضي  
في البحث عما إذا كان ذلك الذي تمتد إليه يد البعثرة ، من  
طبيعة الروح أم لا — فعلى ذلك سنقيم ما نكن لأرواحنا من  
آمال ومخاوف

فقال : هذا صحيح

— قد نفرض أن الشيء المركب ، أو الذي يتكون من  
أجزائه ، أنه بطبيعته يمكن أن يتحلل ، كما أمكن له أن يتركب ،  
أما ذلك الذي لم يتركب من أجزاء ، فيلزم أن يكون وحده غير  
قابل للتحلل ، إذا كان ثمة شيء كهذا

فقال سيبيس : نعم فهذا ما قد أتصوره

— وقد يزعم أحد أن غير المركب ، يظل كما هو ، ولا يخضع  
للتغير ، بينما يكون المركب دائم التغير ، فلا يظل أبداً كما هو ؟



فقال : إني أظن ذلك أيضاً

— وإذن فلنعد الآن إلى حوارنا السابق — هل يتعرض ذلك المثل ، أو الجوهر ، الذي نعرفه في سياق الكلام ، بأنه كنه<sup>(١)</sup> الوجود الحقيقي — سواء في ذلك كنه المساواة ، أو الجمال ، أو أى شيء آخر — أقول هل يتعرض هذه الجواهر ، على مر الزمن ، إلى شيء من التغير ؟ أم أن كلا منها يبقى هو ما هو دائماً ، له نفس ماله من صور توجد بنفسها ، لا تتغير ، ولا تقبل التحول بتاتاً ، كيفما كان ، أو في أى وقت كان ؟

فأجاب سيبيس : إنها لا بد أن تكون دائماً كما هي يا سقراط — وماذا أنت قائل في تعدد الجليل — سواء أكان أناساً ، أم لباساً ، أم جياداً ، أم أى شيء آخر يمكن أن يسمى متساوياً أو جليلاً — أهي كلها لا تخضع للتغير ، وتبقى كما هي دائماً ، أم أنها تفيض ذلك تماماً ؟ أليس الأولى أن توصف بأنها متغيرة في الأغلب ، وأنها لا تكاد تبقى أبداً كما هي ، سواء مع أنفسها ، أو بعضها مع بعض ؟

فأجاب سيبيس : إنها الأخيرة . إنها دائماً في حالة من التغير — وأنت تستطيع أن تلمسها ، وأن تراها ، وأن تدركها

بالحواس ، فأما الأشياء الثابتة ، فلا يمكنك إدراكها إلا بالعقل —  
إنها تخفى على الأبصار فلا ترى

فقال : هذا جد صحيح

فأضاف : حسناً ، لنفرض إذن أن نعمة ضرّيين من الوجود :  
وجوداً مرئياً ، ووجوداً خفياً

— لنفرضهما

— والمرئى هو المتغير ، والخفى هو الثابت

— يمكن فرض ذلك أيضاً

— أليس الجسد ، فضلاً عن ذلك ، جزءاً منا ، وما يبقى

هو الروح ؟

— ليس فى ذلك شك

— ترى إلى أى نوع من هذين يكون الجسد والجلد أشبه ؟

— ظاهر أنهما أشبه بالمرئى : إن أحداً لا يشك فى ذلك

— وهل الروح مرئية أم خفية ؟

— لم يرها إنسان يا سقراط

— وهل تقصد « بالمرئى » و « الخفى » ، ما تراه عين

الإنسان وما لا تراه ؟

— نعم ، بالنسبة إلى عين الإنسان

— وماذا تقول عن الروح ؟ أهى مرئية أم خفية ؟

— إنها لا ترى

— هى خفية إذن ؟

— نعم

— وإذن فالروح أشبه بالخي ، والجسد أشبه بالرئى ؟

— إن ذلك مؤكد جداً يا سقراط

— ألم نكن نزع منذ عهد بعيد ، أن الروح حين تتخذ

من الجسد أداة للإدراك ، أعنى حين تستخدم حاسة الإبصار ،

وحاسة السمع ، أو غيرها من الحواس (لأن معنى الإدراك خللك

الجسد ، هو الإدراك بواسطة الحواس) — ألم نكن نزع أن

الجسد بذلك يجر الروح أيضاً إلى منطقة التغير ، وأنها تضل

وترتبك ؟ فإن الدنيا عندئذ تضرب حولها نسيجاً ، فتكون الروح

عند خضوعها لتأثير الحواس كمن أثملته الخمر ؟

— جد صحيح

— ولكنها إذا ما ثابت إلى نفسها ، فإنها تفكر ، وبعدئذ

تدخل عالم النقاء ، والأبدية ، والخلود ، والثبات . فهو لاء عشرتها

وهى تعيش معها أبداً ، إذا ما خلّت إلى نفسها دون أن يعطلها

بمعطل ، أو يحول دونها حائل ، وعندئذ لا تعود تسلك سبيلها

الخطاثة ؛ فإنها إذا خالطت ما هو ثابت ، كانت هي كذلك ثابتة ، وتسمى هذه الحالة التي تكون فيها الروح بالحكمة

أجاب : هذا صحيح ، فحق ما قلت يا سقراط

— وبأى نوع ترى الروح أشد شبهاً وقربى ؟ استنتاجاً

من هذا التدليل ومن سابقه ؟

— إنى أظن يا سقراط أن كل من يتتبع هذا التدليل ،

يعتقد أن الروح ستكون قريبة الشبه بالثابت قريباً لا نهاية له —

ولن ينكر هذا حتى أشد الناس غباء

— والجسم أقرب شبهاً بالمتغير ؟

— نعم

— انظر بعد ذلك إلى الأمر مرة أخرى مستضيئاً بهذا :

حينما تتحد الروح مع الجسد ، تأمر الطبيعة الروح أن تحكم وأن

تسيطر ، والجسد أن يطيع وأن يعمل ، فأى هذين العامين أدنى

إلى الإلهى ؟ وأيها أقرب إلى الفانى ؟ أليس يبدو لك الإلهى

أنه ما يأمر وما يحكم بطبيعته ، وأن الفانى هو الخادم الخاضع ؟

— حقا .

— وأيها يشبه الروح ؟

— إن الروح تشبه الإلهى ، أما الجسد فيشبه الفانى — ليس

إلى الشك في ذلك سبيل يا سقراط

— إذن فانظر يا سيبيس : أليست هذه هي خلاصة الأمر كله ؟ إن الروح على أشد ما يكون الشبه بالإلهي ، وبالنخالد ، وبالمعقول ، وبذى الصورة الواحدة ، وبغير المتحلل ، وبغير المتحول ، وإن الجسد على أشد ما يكون الشبه بالإنساني ، وبالفاني وبغير المعقول ، وبذى الصور المتعددة ، وبالمتحلل ، وبالمتحول ؟ هل من سبيل إلى إنكار ذلك ، أي عزيزي سيبيس ؟

— لا ولا ريب

— ولكن إن صح هذا ، أفلا يكون الجسد عرضة للتحلل السريع ؟ ألا تكون الروح غير قابلة للتحلل ، في أغلب الحالات بل فيها جميعاً ؟  
— يقيناً

— وهل تلاحظ فوق هذا ، أن الجسد بعد موت الإنسان لا يتحلل أو يتفكك دفعة واحدة ، بل قد يبقى أمداً طويلاً ، إذا كان قوى البنية عند الموت ، ووقع الموت في فصل ملائم من فصول السنة ، مع أن الجسد هو الجزء المرئي من الإنسان ، وله مادة تراها العين ، تسمى جثة ، ستنتهي بطبيعتها إلى التحلل ، فتتفرق أجزاؤها وتبدد ؟ لأن تقلص الجسد وتحنيطه ، كما جرت

بذلك العادة في مصر ، يميلان في أغلب الأحيان على حفظه أبداً لا يبيد ، وحتى إذا أصابه الفساد ، فإن بعض أجزائه تظل باقية ، كالعظام وبعض الأعصاب التي تستعصى على التحلل بطبيعتها . هل تسلم بهذا ؟

— نعم

— وهل يجوز لنا أن نفرض أن الروح الخفية ، عند انتقالها إلى عالم الأموات الحقيقي ، وهو مثلها في خفائها ، ونقاها ، ونبلها ، وأنها إذ تكون في طريقها إلى الإله الخير الحكيم ، الذي توشك روحى أن تنتقل إليه ، إن شاء الله . بعد حين — أقول : هل يصح الفرض أن الروح ، إن كانت هذه طبيعتها ، وذاك أصلها ، تتبدد وتنفى عند فراق الجسد ، كما تقول جمهرة الناس ؟ يستحيل أن يكون ذلك ، أى عزيزى سميّاس وسيبيس ، وأولى . أن تكون الحقيقة أن الروح ، وهى نقية ، لا تجر في ذيلها عند انتقالها أية صبغة جسدية ، ما دامت لم تتصل قط بالجسد اختياراً ، بل إنها لتجنبه دائماً ، وما دامت قد انحصرت في نفسها ( فقد كان مثل هذا التجريد موضوع دراستها في الحياة ) . وماذا يعنى هذا إلا أن الروح قد كانت تابعة مخلصه للفلسفة ، وأنها قد مرنت على كيفية الموت بغير عناء ؟ أفليست الفلسفة مراناً على الموت ؟

— يقيناً

— أقول إن تلك الروح في خفائها ، تنتقل إلى العالم الخفى —  
إلى الإلهى ، والخالد ، والعاقل ؛ فإذا ما بلغت ، رفلت في نعيم ،  
وتخلصت من أوزار الناس ، وحمقهم ، ومن مخاوفهم وعواطفهم  
الحوشية ، ومن النقائص البشرية جميعاً ، وراققت الآلهة إلى  
الأبد ، كما يروى عن العالمين بالسر . أليس ذلك صحيحاً  
يا سيبيس ؟

فقال سيبيس : نعم ، وليس إلى الشك فيه من سبيل  
— ولكن الروح التى قد أصابها الدنس ، والتى تكون  
كدرجة عند انتقالها ، والتى ترافق الجسد دائماً ، وتكون خادمة ،  
والتي تغرم وتهيم بالجسد ورغبات الجسد ولذائذه ، حتى ينتهى  
بها الأمر إلى العقيدة بأن الحقيقة لا تكون إلا فى صورة جسدية ،  
يمكن الإنسان أن يلمسها ، وأن يراها ، وأن يذوقها ، وأن  
يستخدمها لأغراض شهواته — أعنى الروح التى اعتادت أن  
تنفر من المبدأ العقلى ، وأن تخافه وتتحاشاه ، ذلك المبدأ الذى  
هو للعين الجسمانية معتم تستحيل رؤيته ، والذى لا يدرك  
إلا بالفلسفة وحدها — أفتحسب أن روحاً كهذه منترجل تقيّة  
طاهرة ؟

فأجاب : يستحيل أن يكون هذا

— إنها قد استغرقت في الجسديّ ، وقد أصبح ذلك طبيعياً بالنسبة لها ، لاتصالها المستمر بالجسد ، وعنايتها الدائمة به

— جد صحيح

— وبحق لنا يا صديقي أن نتصور أن هذه هي تلك المادة الأرضية الثقيلة الكثيفة ، التي يدركها البصر ، والتي بفعلها تغشى الكآبة مثل هذه الروح ، فتجذب هبوطاً إلى العالم المرئي مرة أخرى ، لأنها تخاف مما هو خفيّ ، وتخاف من العالم الأدنى — فتظل محوَّمة حول المقابر واللحود ، إذ تُرى بجوارها — كما يحدثوننا — أشباحٌ طيفية بعينها ، لأرواح لم تكن قد رحلت نقية ، ولكنها ارتحلت مليئة بالمادة المنظورة فأمكن رؤيتها<sup>(١)</sup>

— يغلب جداً أن يكون ذلك يا سقراط

— نعم يا سيّيس ، فأغلب الظن أن يكون ذلك ، ولا بد أن تكون هاتيك أرواح الفجار لا أرواح الأبرار ، هؤلاء الفجار الذين كتب عليهم أن يضلوا في مثل تلك المواضع جزاءً وفاقاً بما

(١) يقصد بذلك أن الأشباح التي يراها الناس عند المقابر ، إن هي إلا أرواح من ذلك الضرب الذي انغمس أثناء الحياة في المادة انغمساً ، ففارقت الأجساد دسة ملوثة بالمادة ؛ فشق عليها أن تعيش في ذلك العالم الظاهر النقي ؛ عالم الأرواح الخفية ؛ فهبطت إلى الأرض مرة أخرى ؛ وأمكن للعين رؤيتها



اقتربوا في الحياة من إثم ، فلا ينقطع تجوابهم ، حتى تشبع الرغبة التي تملأهم ، ثم يسجنون في بدن آخر ، وقد يُظن أن تلازمهم نفس الطبائع التي كانت لهم في حياتهم الأولى — أي الطبائع تريد يا سقراط ؟

— أريد أن أقول إن من اندفعوا وراء الشره والفجور والسكر ، ولم تدُر في خلدكم فكرة اجتنابها ، سينقلبون حميراً وما إليها من صنوف الحيوان . فماذا ترى أنت ؟ — أرى أن ذلك جد محتمل

— وهؤلاء الذين اختاروا جانب الظلم ، والاستبداد والعنف ، سينقلبون ذئاباً أو صقوراً أو حِدَاءً ، وإلا فإلى أين تحسبهم ذاهبين ؟

فقال سيبس : نعم ، إن ذلك ، ولا ريب ، هو مستقر تلك الطبائع التي تشبه طبائعهم

فقال : وليس من العسير أن نهى لهم جميعاً أمكنة تلائم طبائعهم وميولهم المتعددة

فقال : ليس في ذلك عسر

— وحتى بين هؤلاء ترى فريقاً أسعد من فريق ، فأولئك الذين اصطنعوا الفضائل المدنية والاجتماعية التي تسمى بالاعتدال

والعدل ، والتي تحصل بالعادة والانتباه ، دون الفلسفة والعقل ، أولئك هم أسعد نفساً ومقاماً . ولم كان أولئك هم الأسعد ؟ لأنه قد يُرجى لهم أن يتحولوا إلى طبيعة اجتماعية رقيقة تشبه طبيعتهم ، مثل طبيعة النحل أو النمل ، بل قد يعودون مرة ثانية إلى صورة البشر ، وقد يخرج منهم أناس ذوو عدل واعتدال .

— ليس ذلك محالاً

— أما الفيلسوف ، أو محب التعلم ، الذي يبلغ حد النقاء عند ارتحاله ، فهو وحده الذي يؤذن له أن يصل إلى الآلهة ، وهذا هو السبب ، أى نيماس وسيبيس ، فى امتناع رسل الفلسفة الحق عن شهوات الجسد جميعاً ، فهم يصبرون ويأبون أن يُخضعوا أنفسهم لها — لأنهم يخشون إملاقاً ، أو يخافون لأسرهم دماراً كمحبي المال ، ومحبي الدنيا بصفة عامة ، ولا لأنهم يخشون العار والشين الذين تجلبهما أعمال الشر كمحبي القوة والشرف .

قال سيبيس : لا يأسقراط ، إن ذلك لا يلائمهم

فأجاب : حقا إنه لا يلائمهم ، وعلى ذلك فأولئك الذين يعنون بأرواحهم ، ولا يقصرون حياتهم على أساليب الجسد ، ينبذون كل هذا ، فهم لن يسلكوا ما يسلك العُشَى من سبيل ،

وعند ما تعمل الفلسفة على تطهيرهم وفكاكهم من الشر، يشعرون أنه لا ينبغي لهم أن يقاوموا فعلها ، بل يميلوا نحوها ، ويتبعوها إلى حيث تسوقهم

— ماذا تعنى يا سقراط ؟

قال : سأحدثك . إن محبى المعرفة ليدركون عندما تستقبلهم الفلسفة أن أرواحهم إنما شُدت إلى أجسادهم وأُصقت بها ، ولا تستطيع الروح أن ترى الوجود إلا خلال قضبان سجنها ، فلا تنظر إليه وهى فى طبيعتها الخاصة ، إنما تترغ فى حماة الجمالة كلها ، فإذا ما رأت الفلسفة ما قد ضرب حول الروح من قيد مخيف ، وأن الأسيرة تنساق مدفوعة بالرغبة إلى المساهمة فى أسر نفسها (لأن محبى المعرفة يعلمون أن هذه كانت الحالة البدائية للروح ، وأنها حين كانت فى تلك الحال ، تسلمتها المعرفة ونصحتها فى رفق ، وأرادت أن تحررها ، مشيرة لها بأن العين مليئة بالخداع ، وكذلك الأذن وسائر الحواس ، لتحملها على التخلص منها تخلصاً تاماً ، إلا حين تدعو الضرورة إلى استخدامها وأن تتجمع وتتفرغ إلى نفسها ، وألا تثق إلا بنفسها وما توحى به إلى بصيرتها عن الوجود المطلق ، وأن تشك فى ما يأتينا عن طريق سواها ، ويكون خاضعاً للتغير) ، فالفلسفة تُبين لها أن

هذا مرئى ملموس ، أما ذلك الذى تراه بطبيعتها الخاصة فعلى  
وخفى ، وروح الفيلسوف الحق تظن أنه لا ينبغى لها أن تقاوم  
هذا الخلاص ، ولذا فهى تمتنع عن اللذائذ والرغبات ، والآلام  
والخاوف ، جهد استطاعتها ، مرتئية أن الإنسان حينما يحوز  
قدراً عظيماً من المسرات أو الأحزان أو الخواف أو الرغبات ،  
فهو لا يعانى منها هذا الشر الذى تقدره الظنون — كأن يفقد  
مثلاً صحته أو متاعه ، مضحياً بها فى سبيل شهواته — ولكن  
يعانى شراً أعظم من ذلك ، هو أعظم الشرور جميعاً وأسوأها ،  
هو شر لا يدور فى خلدّه أبداً

قال سيبس : وما هو ذلك يا سقراط ؟

— هو هذا : حينما تحبس الروح شعوراً شديداً العنف ،  
بالسرور أو بالألم ، ظننا جميعاً بالطبع أن ما يتعاق به هذا الشعور  
العينى يكون عندئذ أوضح وأصدق ما يكون ، ولكن الأمر  
ليس كذلك

— جد صحيح

وتلك هى الحال التى يكون فيها الجسد أشد ما يكون  
استعباداً للروح  
— وكيف ذلك ؟

— لأن كل سرور وكل ألم يكون كالسماز الذى يسمّر  
 الروح فى الجسد ، ويربطها به ، ويستغرقها ، ويحملها على الإيمان  
 بأن ما يؤكّد عنه الجسد أنه حق فهو حق ، ومن اتفاقها مع  
 الجسد ، وسرورها بمسراته ذاتها ، تراها مجبرة على أن تتخذ  
 عادات الجسد وطرائقه نفسها ؛ ولا يُنتظر ألبتة أن تكون الروح  
 نقية عند رحيلها إلى العالم الأدنى ، فهى مشبعة بالجسد فى كل  
 آن ، حتى أنها سرعان ما تنصب فى جسد آخر ، حيث تنبت  
 وتنمو ، ولذا فهى لا تسام بقسط فى الإلهى ، والنقى ، والبسيط  
 فأجاب سيبيس : ذلك جد صحيح يا سقراط ؟

— وهذا يا سيبيس هو ما دفع محب المعرفة الحق أن يكونوا  
 ذوى اعتدال وشجاعة ، فهم لم يكونوا كذلك ، لما تقدمه الحياة  
 الدنيا من أسباب

— لا ، ولا ريب

— لا ، ولا ريب ا فليست تفكر روح الفيلسوف على هذا  
 النحو ، إنها لن تطلب إلى الفاسفة أن تحررها ، لى تستطيع ،  
 إذا ما تحررت ، أن تلقى بنفسها مرة أخرى ، فى معترك اللذائذ  
 والآلام ، فتكون بذلك كأنها تعمل ما تعمل ، لا لشيء إلا لى

تعود فتتقضه ، وكأنها تنسج خيوطها — كما فعلت پنلوب<sup>(١)</sup> — بدل أن تعدد إلى حلها ، ولكنها ستتخذ من نفسها عاطفة راكدة ستأثر خطأ العقل ، فتلازمه لتشهد الحقيقى والإلهى ( وهوليس موضوعاً للرأى ) ومن ثم تستمد غذاءها ، وهى تحاول بذلك أن تحيا ما دامت فى الحياة ، وتأمل أن تلتبس ذوى قرباها بعد الموت ، وأن تتحرر من النقائص البشرية ، فلا تخشى أى سمياس وسييس ، أن تبدد روح كان ذلك غذاءها ، وكانت تلك آمالها المنشودة ، عند انفصالها عن الجسد فتذروها الرياح ، وتصبح عدما ليس له وجود

وما إن انتهى سقراط من هذا الحديث حتى ساد الصمت فترة طويلة ، فبدا هو نفسه ، كما بدا معظمنا ، كأننا نفكر فيما قيل ، إلا أن سيبيس وسمياس تهامسا بكلمات قليلة ، فلما لحظ ذلك سقراط ، استنبأهما عما ارتأيا فيما أقيم من دليل ، وهل لم يزل يعوزه التدعيم ، وقال : إن كثيراً منه لا يزال عرضة للشك والظن ، إذا ما صحت من أحد عنيمته أن يقلب النظر فى جوانب الموضوع كلها ، وإن كنما تتحدثان عن شئ آخر ، فخير ألا أعترضكما ، أما إن كنما لاتزالان تشكان فى الدليل ،

· (١) پنلوب هى زوجة أوليس ؛ التى كانت تنقض فى الليل ما قد بسجته فى النهار ؛ لتكسب وقتاً من خطابها

فلا تترددا أن تصرّحاً بكل ما تريانه ، ولناخذ بما قد تقترحانه ،  
إن كان خيراً مما قلنا ، واسمحا لي أن أعينكما إن كان يُرجى  
لكما منى نفع

قال سميّاس : لا بد أن أعترف يا سقراط بأن الشكوك قد  
نارت في عقولنا ، وكان بكل منا يحفز الآخر ويدفعه ليلقي السؤال  
الذي أراد أن يستفسر عنه والذي لم يرد أحد منا أن يلقيه ،  
خشاة أن يكون إلحاحنا مضنياً لك في حالتك الراهنة

فابتسم سقراط وقال : ألا ما أعجب ذلك يا سميّاس !  
أحسبني في أرجح الظن مستطيعاً لإقناع سائر الناس بأنني لا أجد  
رزاء في موقعي هذا ، مادمت عاجزاً عن إقناعكم أتم ، ومادمت  
على ظنكم أنني الآن أكثر مشغلة مني في أي وقت آخر .  
ألا تريان عندي من روح النبوة ما عند طيور التّم<sup>(١)</sup> ؟ التي إذا  
أدركت أن الموت آت لا ريب فيه ازدادت تغريداً عنها في أي  
وقت آخر ، مع أنها قد أنفقت في التغريد حياتها بأكملها ،  
وذلك اغتباطاً منها بفكرة أنها وشيكة الانتقال إلى الله ، الذي  
هي كهنته ، ولما كان الناس يشفقون هم أنفسهم من الموت ،  
تراهم يؤكدون اقتراء أن طيور التّم ، إنما تنشد مرثية في ختام

(١) ما يسمى عادة بالأوز العراقي Swans

حياتها ، ناسين أن ليس من الطيور ما يفرد من برد أو جوع أو ألم ، حتى البلبل والسنونو ، بل حتى الهدد ، الذى يقال عنه بحق إنه يفرد تغريدة الأسى ، وإن كنت لا أؤمن أن ذلك يصدق عليه أكثر مما يصدق على طيور التّم ، فهى إنما أوتيت موهبة التنبؤ لقداستها عند أبولو ، فاستطلعت ما فى العالم الآخر من طببات ، فطفقت تغنى لذلك وتمرح فى ذاك اليوم أكثر مما فعلت فى أى يوم سابق . كذلك أنا ، فإنى أعتقد فى نفسى بأننى خادم قد اصطفاه الله نفسه ، وإنى رفيق لطيور التّم فيما تعمل ، فأنا أظن أن قد أنانى سيدي من التنبؤ موهبة ليست دون مواهبها مرتبة ، فلن أغادر الحياة أقل مرحاً من التّم <sup>(١)</sup> . فلا تحفلاً بعدُ بهذا ، وتكلموا فيما تشاءان ، وسلا عما تشاءان ، فى هذه الفترة التى يسمح فيهاحكام أثيناالأحد عشر بالكلام قال سمياس : حسناً يا سقراط ، إذن فسأفضى إليك بمسألتى وسينبئك سييس بمشكلته ، فإنى لأقول مجترئاً إنك تحس يا سقراط ، كما أحس أنا ، كم هو عسير أو يكاد يستحيل أن

(١) هذه الطيور تزداد تفريداً إذا ما اقتربت من الموت ، فيزعم سقراط أنها تفعل ذلك ابتهاجاً بالموت ، لما قد وهبها الله من مقدرة النظر إلى ما وراء الحجب واستطلاع النعيم الذى ستظفر به فى الحياة الأخرى ، ثم يزعم أنه أوتى ما أوتيته هذه الطيور من موهبة ، فهو لذلك لا يبتس للموت



تبلغ في مثل هذه المسائل يقيناً ، ما دمت في هذه الحياة الحاضرة ،  
ومع هذا فإنني لأتهم بالجن كل من لا يدلل عليها ما وسعه  
الدليل ، أو كل من خار به قلبه قبل أن يخبرها من كل جوانبها<sup>(١)</sup> .  
فينبغي للمرء أن يثابر حتى ينتهي إلى أحد أمرين : إما أن  
يستكشف حقيقتها أو يعلمها ، فإن استحال ذلك فإني أحب له  
أن يأخذ بأقوم الآراء البشرية وأبعدها عن التنفيذ ، وليكن  
ذلك طَوْفه الذي يسبح به في الحياة — وإني مسلمٌ بأنه لن يفعل  
ذلك دون أن يتعرض للخطر ، إذا هو لم يستطع أن يجد من الله  
كلمةً تسير به على هدى وطمانينة

والآن فسأجسر ، كما تريدني ، طلى أن أسألك ، لأني  
لا أحب أن آخذ على نفسي فيما بعد أنني لم أدلّ برأيي في حينه  
الملائم ، فإنني إذا ما قلبت النظر في الموضوع يا سقراط ، سواء  
أكنت وحدى أم كنت مع سيبيس ، بدا لي أن التدليل لم  
يكن حاسماً

أجاب سقراط : إنني لأعترف يا صديقي أنك قد تكون

---

(١) يعني سميّاس أنه ولو أن البحث في مصير الروح بعد الموت أمر  
لا يمكن الوصول فيه إلى نتيجة حاسمة مادمتنا في هذه الحياة ، إلا أن من  
الضعف والخور ترك الموضوع بغير محاولة التدليل والتعليل ، فينبغي  
للإنسان أن يبذل في ذلك وسعه ولو لم ينته إلى رأى قاطع

مصيباً ، ولكنى أحب أن أعلم فى أى ناحية لم يكن التدليل حاسماً

. فأجاب سمياس : فى هذه الناحية : ألا يجوز أن يستخدم أحد هذا الدليل بذاته فى القيثارة والانسجام — ألا يحق له القول أن الانسجام شئ خفى ، غير جثمانى ، لطيف إلهى ، موجود فى القيثارة المنسجمة ، ولكن القيثارة والأوتار ، مادة ، وهى مادية متألفة من أجزاء أرضية ، وتربطها القربى بالفناء <sup>(١)</sup> ؟ وأنه إذا تحطمت القيثارة أو تقطعت أوتارها وتمزقت ، فإن من يأخذ بهذا رأى يدل كما تدلل أنت ، وبالتشابه نفسه ، على أن الانسجام يبقى حياً ولا يفنى ، لأنك لا تستطيع أن تتصور ، كما يجوز القول ، أن تبقى القيثارة بغير أوتارها ، بل وتبقى الأوتار الممزقة نفسها ، على حين أن الانسجام الذى يمت بأسباب القربى

---

(١) من الأدلة التى ألقاها سقراط على خلود الروح أنها تشبه فى صفاتها العنصر الإلهى ، أما الجسد فمادة أرضية ، وإذن فلا عجب أن ينتهى أمره إلى الفناء ، فيعترض سمياس بقوله لوضح هذا الدليل لكان الانسجام الموجود بين أجزاء القيثارة خالداً أيضاً لأنه فى صفاته كذلك يشبه الإلهى ، وأما جسم القيثارة فثقله مثل الجسد الانسانى ، مركب من مادة أرضية ولذا فهو صائر إلى الفناء ؟ فإن كان من المآخذ أن مادة القيثارة تبقى أمدأ طويلاً حتى بعد تحطيم أجزائها ؟ فليس من المعقول — بناء على دليل سقراط — أن يكون قد فنى الانسجام الذى كان بين تلك الأجزاء عند ما كانت متصلة فى القيثارة .

إلى الطبيعة السماوية الخالدة يفنى — بل ويفنى قبل الذى هو فان .  
ستقول إن الانسجام لا شك موجود فى مكان ما ، وإن الفناء  
سيصيب الخشب والأوتار قبل أن يصيب ذلك الانسجام ، وإني  
لأشك يا سقراط أنك ستأخذ ، أنت أيضاً ، فى الروح بهذا الرأى .  
الذى نميل جميعاً إلى الأخذ به ، وستذهب كذلك إلى أن الجسد  
إنما أقيم وارتبطت أجزاؤه بفعل عناصر الحر والبرد والرطوبة  
والجفاف وما إليها ، وأن الروح هي ما بين هاتيك العناصر من  
انسجام ، أو هي مزاجها المتزن المتناسب ، فإن صح هذا نتج  
بداهة أن أوتار الجسد إذا ارتخت أو أجهدت بغير مبرر بسبب  
الفوضى أو أى فساد آخر فنيت لذلك الروح جملة واحدة <sup>(١)</sup> ،  
برغم ما بها من ألوهية غالبية ، مثل سائر الانسجامات التي تكون  
فى الموسيقى أو آيات الفن ، ولو أن بقايا الجسد المادية ربما لبثت  
طويلاً حتى يدركها الفناء أو الاحتراق . والآن ، إن زعم زاعم

---

(١) يقول إن الشبه تام بين الانسان والقيثارة ؛ لجسده يشبه مادتها  
الخشبية ، وروحه تماثل الانسجام الذى بين أجزائها ؛ فان كان الأمر كذلك  
جرى على الانسان ما يجرى على القيثارة ؛ فالقيثارة إذا فسدت أوتارها  
مثلاً تلاشى انسجامها وزال ، كذلك الانسان — على هذا الأساس — إن  
فسد جسده بالمرض أو الإعياء ؛ أو أى شيء آخر فنيت الروح مع بقاء  
الجسد ، على الرغم من ألوهيتها وأرضيته ، وهو هنا يستوضح سقراط رأيه  
فى هذا الإشكال

بأن الروح تنفى أولاً فيما يسمى بالموت ، باعتبار أنها ما بين عناصر  
الجسد من انسجام ، فم نجيبه ؟

فأجال فينا سقراط النظر ، كما هي عادته ، وقال باسمًا : إن  
دليل العقل ناهض في جانب سمياس ، وإن في مهاجمته إياي لقوة  
فلماذا لا يتصدى منكم لإجابته من هو أقدر مني ؟ ولكن قد  
يحسن بنا قبل أن نجيبه ، أن نصفى كذلك لما يريد سيبيس أن  
يناهض به الدليل — وسيكون لنا من ذلك للروية متسع ، فإذا  
ما فرغ كلاهما من الحديث ، وبدأ قولها مستقيماً مع الحقيقة سلمنا  
لها ، وإلا ، فلنأخذ أن تؤيد الجانب الآخر ، وأن تناقشهما . قال :  
تفضل إذن فحدثني يا سيبيس ، أى مشكلة صادفتك فأتعبتك ؟  
قال سيبيس : سأحدثك — إننى لأشعر بأن التدليل لم  
يتزحزح عن موضعه ، فأنا مستعد أن أسلم بأن قد قام الدليل القاطع  
الوافى جداً ، إن جاز لى هذا القول ، على وجود الروح قبل  
حلوها في الصورة الجسدية . ولكنى أرى أن بقاء الروح بعد  
الموت لا يزال يعوزه الدليل ، ولست أعترض في ذلك بما اعترض  
به سمياس ، لأننى لا أريد أن أنكر أن الروح أقوى من الجسد  
وأطول بقاء ، فعقيدتى أن الروح تسمو على الجسد فى كل هذه  
النواحي سموا بعيداً . وقد يخاطبني الدليل فيقول : حسناً إذن ،

فلماذا تقيم على ارتيابك ؟ إذا رأيت أن الأضعف يظل باقياً بعد موت الإنسان ، أفلا تسلم بأنه يتحتم أيضاً أن يبقى ما هو أطول بقاء خلال هذه الفترة نفسها ؟ ويجمل بي الآن أن أستخدم المجاز كما فعل سمياس ، وسأطلب إليك أن تنظر في استعارتي لترى هل جاءت ملائمة لموضوعها . أما المثل الذى سأسوقه فهو مثل نساج قديم ، يموت فيزعم بعض الناس بعد موته أنه لم يمِث وأنه لا بد أن يكون حياً ، ويستشهد على ذلك بالعطاف<sup>(١)</sup> الذى نسجه بنفسه وارتداه ، والذى لا يزال جيداً متيناً ، ثم يمضى فيسأل المرتاب من القوم : هل الإنسان أطول بقاء أم العطاف الذى يُستخدم ويرتدى ؟ فإذا ما أُجيب بأن الإنسان أطول جداً في البقاء ، ظن أنه قد أثبت بذلك يقيناً بقاء الإنسان الذى هو أطول بقاء ما دام الأقصر بقاء لا يزال باقياً . ولسكنى أرجو أن تلاحظ يا سمياس أن ليست تلك هى الحقيقة ، وليس بخافٍ على الناس أن من يتحدث بهذا إنما ينطق هراء ، فحقيقة الأمر أن هذا النساج قد ارتدى ونسج كثيراً من هذه العُطُف ، ولئن كان قد أفنى كثيراً منها وعمر بعدها ، إلا أن آخرها قد ظل بعد فنائه باقياً ، ولكن لا ريب فى أن هذا أبعد جداً من أن يقوم دليلاً

جلى أن الإنسان أقل من العطاف شأناً وأشد ضعفاً ، غير أنك  
 تستطيع أن تعبر عن علاقة الجسد بالروح باستعارة كهذه ، فلك  
 أن تقول بحق إن الروح باقية ، وإن الجسد بالقياس إليها ضعيف  
 قصير الأجل ، فقد يقال عن كل روح أنها تبلى أجساداً كثيرة  
 وبخاصة إذا امتد بها أجل الحياة ، لأنه إذا كان الجسد يتعطل  
 وينفى في حياة الإنسان فالروح لا تنسج لنفسها لباساً جديداً  
 وتصلح ما قد أصابه البلى ، فطبيعى إذن أن تكون الروح مرتدية  
 آخر أثوابها حينما يدركها الفناء ، وذلك الثوب وحده هو الذى  
 يبقى بعد فنائها ، ولكن الجسد بدوره ، إذا ماتت الروح  
 سيكشف آخر الأمر عن ضعف طبيعته ، فلا يلبث أن يدركه  
 الفناء ، ولهذا لن أركن إلى هذا الدليل برهاناً على بقاء الروح  
 بعد الموت ، لأنه إذا سلمنا فرضاً حتى بأبعد مما تؤكد أنت أنه  
 فى حدود الممكن ، فارتضينا — فضلاً على اعترافنا بوجود الروح  
 قبل الميلاد — أن أرواح طائفة من الناس لا تزال موجودة بعد  
 الموت ، وأنها ستظل موجودة ، وأنها ستولد وتموت كرة بعد  
 أخرى ، وأن فى الروح قوة طبيعية ستقاوم بها حتى تولد مرات  
 عدة — فقد نميل مع هذا كله إلى الظن بأنها ستعانى من آلام  
 الولادات المتعاقبة رهقاً قد ينتهى بها آخر الأمر إلى السقوط فى

إحدى مرات موتها ، فتفنى فناء تاماً ، وربما خفيت عنا جميعاً هذه المرة التي يموت فيها الجسد ويتحلل ، والتي قد تؤدي بالروح إلى الفناء ، ولا يمكن أن تتوفر لأي واحد منا خبرة عن ذلك<sup>(١)</sup> فإن صح هذا ، زعمتُ أن من يثق في الموت فإنما يثق وثوقاً غاشماً ، ما لم يكن قادراً على التدليل بأن الروح لا تخضع للموت أو الفناء إطلاقاً ؛ أما إن كان عاجزاً عن إثبات ذلك ، فعقول من يقترب من الموت أن يخشى فناء الروح فناء تاماً عند انحلال الجسد

فلما سمعنا منهم هذا القول ، أحسنا جميعاً بالكآبة ، كما لاحظ بعضنا إلى بعض فيما بعد ، وأحسب أنه قد داخلنا الاضطراب والشك ، لا فيما سلف من دليل فحسب ، بل في كل

---

(١) يقول إننا حتى لو سلمنا بما يزعمه سقراط من أن الروح تظل باقية بعد انفصالها عن الجسد ، ثم تعود إلى الحياة مرة ثانية وثالثة ورابعة . فلا يبعد أن تهن وتضعف من هذه الولادات المتكررة فيصيرها الموت الأبدى في مرة من مرات انفصالها عن الجسد ، دون أن نعلم نحن عن موعد هذا الموت الأبدى ، لأننا لا نعلم هل هذه الروح المعينة في هذا الجسد المعين قد بلغ منها الإعياء مبلغاً سيؤدي بها إلى الفناء التام عند فناء جسدها الذي تحل فيه أم أنها لا تزال بها بقية من قوة تستطيع أن تعيش بها حتى تعود إلى الحياة في جسد آخر ، ونحن لا نعلم ذلك لأنه لم تسبق لنا تجربة نتعلم منها هذا الأمر . وبناء على ذلك لا يستطيع سقراط مثلاً أن يجزم بأن روحه باقية بعد موته لأنها قد تكون في هذا الدور الأخير وهو لا يعلم

ما قد يحىء به الدهر من دليل ، لأننا ، وقد كنا من قبل نؤمن  
إيماناً راسخاً ، قد رأينا ذلك الإيمان تزعزع دعائمه ؛ فإما أننا لم  
نكن قضاة صالحين ، وإما أن العقيدة لم تقم على أساس صحيح  
— اشكراتس : إني لأشاطرك إحساسك هذا — حقاً إني

لأشاطرك إياه يا فيدون ، وقد هممتُ ، وأنت تتحدث ، أن  
ألقي نفس السؤال . أى دليل يمكن أن أومن به بعد اليوم ،  
فإذا عسى أن يكون أقوى في الإقناع من تدليل سقراط ،  
وها هو ذا قد هبط إلى الجحود ؟ فيا طالمنا فتنتي فتنة عجيبة هذا  
المذهب القائل بأن الروح هى الانسجام ، ولم يكدير ذكره حتى  
عاودنى بقتة ، لأنه عقيدتى الأولى . وجدير بى الآن أن أعود  
فأتمس دليلاً آخر ، يؤكد لى بأن الروح لا تموت مع الإنسان عند  
موته . فأرجو أن تنبئنى كيف مضى سقراط في الحديث ؟ هل  
بدا كأنما يشاطركم إحساسكم الكئيب الذى ذكرت ؟ أم أنه  
استقبل الاعتراض هادئاً ، فأجاب عنه جواباً وافياً ؟ أنبئنا بما وقع  
دقيقاً ما استطعت

— فيدون : أى اشكراتس ، إني ما فتئت معجباً بسقراط ،  
ولكنى لم أعجب به قط أكثر مما فعلت وقتئذ ، أما أنه استطاع  
الجواب فيسير ، ولكن ما أدهشنى أولاً هو ما تناول به كلمات



الشبان من وداعة وغبطة واستحسان ، ثم سرعة إحساسه بما أحدثه الحوار من جرح وما وافته به لباقته من فنون العلاج . مثله في ذلك مثل القائد الذي يستجمع جيشه وقد انهزم واندحر ويحفز جنده أن يتابعوه فيعودوا إلى ميدان الحوار

— اشكراتس : وكيف كان ذلك ؟

— فيدون : ستعلم منى ، فقد كنت قريباً منه ، جالساً إلى يمينه على مقعد وطي . ، أما هو فقد استوى على سرير يرتفع كثيراً عن مقعدي ، وقد أخذ يداعب شعري ، ثم مسح رأسى يديه ، وصفف شعري على عنقي . وقال : أى فيدون ! غداً ستجذ هذه الجدائل الجميلة فيما أظن

أجبت : نعم يا سقراط ، إنى أظن ذلك

— إنها لن تجذ لو أخذت بنصحي

قلت : وماذا عساي أن أفعل بها ؟

أجاب : إنى وإياك سنقطع اليوم جدائل شعرنا ، فلا نرجئها إلى غد ، لو كان هذا الحوار ليموت ، واستحال علينا أن نرده إلى الحياة مرة أخرى . وإنى لو كنتك ، ولم أستطع أن أثبت ضد سمياس وسيبيس ، لأقسمت ألا أرسل شعري قط ، كما يفعل الأرجيفيون ، حتى أثير المعركة من جديد وأدحرهما

قلت : نعم ولكن لم يُرو عن هرقليس نفسه أنه نازل اثنين فقال : ادعني إذن ، وسأكون لك أيولاولس حتى تغرب

الشمس.

قلت : سأدعوك ، لا كما يدعو هرقليس أيولاولس ، ولكن كما كان يدعو أيولاولس هرقليس

قال : لا فرق بين هذا وذاك ، ولكن لنأخذ الحذر أولاً لكي نتق خطراً

قلت : وما ذاك ؟

أجاب : خطر أن تتمكن منا كراهة المنطق ، فذلك من أسوأ ما قد يصيبنا من أحداث ، فكما أن ثمة أعداء للإنسانية وهم من يمتقنون البشر ، كذلك هناك من يكرهون المنطق وهم من يمتقنون المثل ، وكلاهما ناشئ من سبب بعينه ، هو الجهل بالعالم ، فتجىء كراهة البشر من الغلوفى الركون إلى عدم الخبرة ، فانت تثق برجل ، وتظنه مخلصاً تمام الإخلاص . وخيراً وأميناً ، ثم لا يلبث أن يتكشف لك زائفاً خبيثاً ، وهكذا غيره وغيره . فإذا وقع ذلك لإنسان مرات عدة ، وبخاصة من جماعة أصدقائه الذين يظنهم أشد الناس إخلاصاً له ، وكثر النزاع بينه وبينهم ، فإنه ينتهى آخر الأمر إلى كراهة الناس جميعاً ، ويعتقد أن ليس

بين الناس على الإطلاق صاحب خير . أحسبك بغير شك قد لاحظت هذا

قلت : نعم

— أليس ذلك مدعاة للخزي ؟ وسببه أن الإنسان في اضطراره إلى معاملة سائر الناس ، لا يكون لديه بهم علم ، لأنه لو عرفهم لعرف الأمر على حقيقته ، وذلك أن ذوى الخير قليلون وأن ذوى الشر قليلون ، وأن الكثرة الغالبة هي فيما يقع بين هذين

قلت : ماذا تعنى ؟

أجاب : أعنى أنه كما قد نقول عن بالغ الكبر وبالغ الصغر بأنه ليس أندر من رجل بالغ الكبر ، أو رجل بالغ الصغر ، فهذا ينطبق بصفة عامة على النهايات ، سواء أكان ذلك عن الكبير والصغير ، أم السريع والبطيء ، أم الكدر والصابي ، أم الأسود والأبيض ؛ وسواء ضربت أمثلة ناساً أو كلاباً أو أى شئ آخر ، فقليلون هم النهايات ، أما الكثرة فتتوسط بين النهايات ، أو لم تلاحظ هذا قط ؟

قلت : نعم لاحظته

قال : ثم ألتست ترى أنه لو كان بين الشرور تنافس ، لوجد أن قليلاً جداً منها هو أسبقها في الشر ؟

قلت : نعم ، فذاك أرجح الظن

أجاب : نعم ذاك أرجح الظن ، ولست أعنى أن مثَل الأحاديث في هذا مثلُ الناس — وأراك ها هنا قد حملتني أن أقول أكثر مما اعتزمت أن أقول ، ولكن وجه المقارنة هو أنه إذا ما آمن رجل ساذج ، لا يحذق علوم الكلام بصحة دليل ، وخيل إليه فيما بعد أنه باطل ، سواء أكان باطلاً حقاً أم لم يكن ، ثم تكرر هذا في غيره وغيره ، فلا تبقى للرجل عقيدة واحدة ، وينتهى الأمر كما تعلم بكبار المجادلين إلى الظن بأنهم قد باتوا أحكم بنى الإنسان ، لأنهم هم وحدهم الذين أدركوا ما في التدليلات كلها من تزعزع وضعف شامل ، لا بل أدركوا ذلك في الأشياء جميعاً ، وهي تظل صاعدة هابطة في مدّة وجزر لا ينقطعان ، كما هي الحال في تيار يوريوس

قلت : هذا جد صحيح

أجاب : نعم يا فيدون ، ولشد ما يبعث على الأسى أيضاً أن يصادف إنسان تدليلاً هنا أو هناك ، فيبدوله أول الأمر أنه حق ، ثم يتكشف له عن باطل ، فبدلاً من أن ينحو باللائمة على نفسه وعلى ما يعوزه من ذكاء ، تراه لحنقه آخر الأمر يقتبط شديد الغبطة في إزاحة اللوم عن عاتقه ليلقيه على التدليل بصفة عامة ،

ويظل بعد ذلك إلى الأبد كارهاً لاعتنا لكل تدليل ، فتفلت منه حقيقة الوجود وعرفانه ، لو كان ثمة ما يسمى بالحقيقة أو اليقين أو القدرة على المعرفة إطلاقاً

قلت : نعم ، إن ذلك ليبعث على الحزن الشديد

قال : فلنحاول إذن بادی ذی بدء ، أن نسلم في نفوسنا بالفكرة القائلة إنه لا حقيقة ولا عافية ولا قوة في أى تدليل على الإطلاق ، ولنعلن قبل ذلك أن ليس فينا نحن الآن عافية وأنه يجب أن نطلق فينا العنصر الإنساني ، ونسعى جهدنا في اكتساب العافية — فتكسبها أنت وسائر الناس جميعاً من أجل حياتكم المقبلة كلها ، وأما أنا فمن أجل الموت ، فلست أحس الساعة أنى مُتَخَلِّقٌ يَخْلُقُ الفيلسوف ، وما أنا في الرأي إلا مشايخ كأفراد السوق ، وليس يعبأ المتشيع ، حيناً يلج في الخاصة ، بأوجه الصواب من الموضوع ، بل يحرص على إقناع سامعيه بأقواله وكفى ، وليس بينه وبينى في اللحظة الراهنة من فرق إلا هذا — بينا هو يحاول إقناع سامعيه بصحة ما يزعم ، ترانى أحاول إقناع نفسى قبل كل شيء ، فأقناع سامعى أمر ثانوى بالنسبة إلى . ولتنظرن كم عسى أن أفيد بهذا ، فلو كان ما أقوله صحيحاً فما أجل أن أكون مقتنعاً بالحقيقة ، وأما إن كان لا شيء بعد الموت ،

فسأوفر على أصدقائي هذا العويل فيما بقي من حياتي من أجل قصير ، هذا وسترتفع عنى جهالتى ، ولهذا فلن يقع منى ضرر .  
 أى سمياس وسيبيس ، تلك هى الحالة العقلية التى أتناول بها الحوار ؛ وإنى أطلب اليكما أن تفكرا فى الحقيقة لافى سقراط ؛ فإن رأيتمانى أنكم حقاً فوافقانى ، وإلا فقاومانى بكل ما وسعكما من جهد ، حتى لا أخدعكما جميعاً كما أخدع نفسى ، وحتى لا أكون لكما كالنحلة ، فادع فيكما تحتى قبل موتى

قال : والآن دعنا نمضى ، ولأننا كد منك قبل كل شئ .  
 أن ما فى ذهنى يطابق ما كنت تقوله ؛ فإن كنت مصيباً فيما أتذكر ، فقد كان لدى سمياس مخاوف وشكوك أن تكون الروح أسبق إلى الفناء ، ما دامت عبارة عن انسجام ، على الرغم من أنها أشد من الجسد ألوهية وصفاء . وقد بدا سيبيس من جهة أخرى أنه يسلّم بأن الروح أطول من الجسد بقاء ، ولكنه قال :  
 إن أحداً لا يستطيع أن يعلم إن كان يمكن للروح بعد أن تكون قد أبليت أجساداً عدة ، أن تفى هى نفسها ، مخلقة وراءها آخر أجسادها ، وأن هذا هو الموت الذى يجلب الدمار للروح لا للجسد ، لأن فعل التخريب لا يفتأ عاملاً فى الجسد أبداً .  
 أليست هذه يا سمياس وسيبيس ، هى النقطة التى تستوجب منا النظر ؟

فوافق كلاهما على أن ذلك تقرير لرأيهما  
 فضى سقراط : وهل تنكران ما في الحوار السابق كله من  
 قوة ، أم تنكران ما في بعضه فقط ؟  
 فأجابا : بل ما في بعضه فقط  
 قال : وماذا ارتأيتما في ذلك الجزء من الحوار الذي ذكرنا  
 فيه أن المعرفة عبارة عن تذكر لحسب ، واستنتجنا منه أن الروح  
 لاشك كانت موجودة فيما سبق ، في مكان آخر ، قبل أن  
 تنحصر في الجسد ؟

فقال سيبيس إنه قد تأثر بذلك الجزء من الحوار تأثراً  
 عجبياً ، وإنه لبث فيه راسخ اليقين ، ووافق سيمياس ، وأضاف  
 أنه عن نفسه لم يكده خياله يجيز أن يجيء يوم يرى فيه حول  
 ذلك رأياً مخالفاً لهذا .

فاستأنف سقراط : ولكن يجدر بك ، أي صديقي الطيبي ،  
 أن ترى رأياً مخالفاً ، لأنك إن أصررت على أن الانسجام مركّب  
 وعلى أن الروح انسجام ، نشأ من أوتار رُكبت في إطار الجسد ،  
 فلا ريب أنك لن تجيز لنفسك القول بأن الانسجام سابق  
 للعناصر التي يتألف منها الانسجام<sup>(١)</sup>

---

(١) قال سيمياس لسقراط : إنه مقتنع بمذهب التذكر الذي يتضمن  
 وجود الروح قبل حلولها في الجسد ، فيجيبه سقراط : إن هذا المذهب لا يتفق  
 مع عقيدته بأن الروح عبارة عن انسجام بين أعضاء الجسد ، لأنه يستحيل =

— كلا يا سقراط فذلك مستحيل

— ولكن أأست ترى أنك إنما تقرر هذا فعلاً حينما تقول إن الروح كانت موجودة قبل أن تأخذ صورة الإنسان وجسده ، وأنها تألفت من عناصر لم يكن لها وجود بعد ؟ فليس الانسجام شيئاً يشبه الروح كما تظن ، وإنما القيثارة والأوتار والأصوات توجد أولاً في حالة من التنافر ، فيجىء الانسجام بعد هذه جميعاً ، ثم هو يسبقها جميعاً في الفناء : فكيف يمكن أن نلائم بين هذا الرأي في الروح وبين الرأي الآخر <sup>(١)</sup> ؟

أجاب سميّاس : لا يمكن قطعاً

قال : ومع ذلك فينبغي بلاريب أن يكون ثم انسجام ، ما دام الانسجام هو موضوع الحديث  
أجاب سميّاس : ينبغي أن يكون

قال : ولكن ليس ثم انسجام بين هاتين القضيتين . إن

== أن يوجد السجام الأعضاء قبل وجود الأعضاء نفسها ، وبالتالي يستحيل وجود الروح قبل وجود الجسد

(١) يقول سقراط لسميّاس : إن الأشياء التي يكون بينها انسجام توجد أولاً في حالة تنافر ثم يجيئها الانسجام فينسقمها ، يعنى أن المادة تأتي أولاً والانسجام ثانياً ، فإن كانت الروح السجماً لا أكثر كما زعم من قبل تحتم أن يكون الجسد قد وجدت أجزاؤه قبل وجود الروح . وهذا القول يتنافى مع ما يسلم به سميّاس نفسه الآن من أن الروح كانت موجودة قبل الجسد بدليل تذكر الانسان أشياء لم تصادفه في تجارب حياته



المعرفة عبارة عن تذكر ، وإن الروح انسجام ، فأيهما إذن تستبقى لنفسك ؟

أجاب : إني لأحسبني يا سقراط أشد يقيناً بأولاهما التي أقيم لي عليها الدليل الوافي ، مني بالثانية التي لم ينهض عليها دليل قط ، فليست ترتكز إلا على أسس من الظن والاستحسان ، وأنا عليم علم اليقين أن هذه الأدلة التي تعتمد على الظنون مضللة ، وهي خداعة ما لم يؤخذ عند استخدامها حذر شديد — هي خداعة في علم الهندسة وفي سائر الأشياء أيضاً . أما نظرية المعرفة والتذكر فقد أقيم برهانها على أسس من اليقين ، والبرهان هو أن الروح لا بد كانت موجودة قبل أن تحل في الجسد ، لأن الجوهر<sup>(١)</sup> متعلق بها ، ومجرد اسم الجوهر يقتضى الوجود ، وما دمت قد ارتضيت هذه النتيجة بحق وعلى أسس وافية ، كما أعتقد ، فينبغي ، فيما أظن ، ألا أستطرد في الجدل ، وألا أسمح لسواي أن يزعم بأن الروح هي عبارة عن انسجام

قال : دعني ياسمياس أبسط الموضوع من وجهة نظر أخرى : هل يمكن فيما تتصور أن يكون الانسجام أو أي مركب آخر ، في حالة تختلف عن حالة العناصر التي تألف منها ؟

— لا ولا ريب

— أم هل هو يفعل أو يعاني شيئاً غير الذى تفعله هي  
أو تمناهي ؟

فوافق سمياس

— إذن فليس يسوق الانسجامُ الأجزاء أو العناصر التى  
يتكون منها هو ، ولكنه يتبعها فقط

فوافق سمياس

— لأنه يستحيل على الانسجام أن يكون على شيء من  
الحركة أو الصوت أو أية صفة أخرى تكون مضادة للأجزاء  
فأجاب : يستحيل أن يكون ذلك

— أو ليس كل انسجام يتوقف على الحالة التى تنسجم فيها  
العناصر ؟

قال : لست أفهم ما تقول .

— أريد أن أقول إن الانسجام يقبل التدرج ، فهو أكثر  
انسجاماً ، وهو أقرب إلى الانسجام التام ، حينما تدنو الأجزاء  
فى تناسبها إلى التام ، إن أمكن لها ذلك . وهو أقل انسجاماً ،  
وأبعد عن الانسجام التام ، حينما تكون الأجزاء أقل تناسباً

— حقاً

ولكن هل تقبل الروح التفاوت ؟ أعنى هل تكون روح  
ولو إلى أقل حد ممكن ، أكثر أو أقل روحانية من غيرها ،  
أو أبعد عن تمام الروحانية ، أو أدنى إليه من روح أخرى ؟  
— لا يكون ذلك قطعاً

— ومع ذلك فقد يقال بحق إن روحاً تتصف بالذكاء  
والفضيلة وإنها خيرٌ ؛ وإن روحاً أخرى تتصف بالغباء والرذيلة  
وإنها شريرة : وحق هذا الذى يقال ؟

— نعم هو حق

— ولكن ماذا يقول أولئك الذين يصرون على أن الروح  
انسجام ، فيما رأيت من وجود الفضيلة والرذيلة فى الروح ؟ —  
أيقولون إن ثمَّ انسجاماً آخر وتنافراً آخر ، وإن الروح الفاضلة  
تكون منسجمةً ، وما دامت هى نفسها انسجاماً ، ففى باطنها  
انسجام آخر ، وإن الروح الرذيلة ليست منسجمة ولا يكون فى  
باطنها انسجام ؟

— أجب سيماس : إني لا أحير جواباً ، ولكنى أحسب .  
أن سيزعم أولئك الذين يأخذون بهذا الرأى شيئاً كهذا  
— ونحن قد اتفقنا فيما سبق أن ليست روح أكثر روحانية  
من غيرها ، وهذا الاتفاق يساوى الموافقة على أن الانسجام

لا يزيد في درجة انسجامه ولا ينقص ، أى لا يكون أكمل  
ولا أنقص انسجاماً

— جد صحيح

— وما لا يزيد في درجة انسجامه ولا ينقص لا يكون  
أكثر ولا أقل تناسقاً !

— صحيح

— وما لا يكون أكثر ولا أقل تناسقاً لا يكون فيه من  
الانسجام أكثر ولا أقل ، ولكنه دائماً مقدار متساوٍ من  
الانسجام ؟

— نعم الانسجام متساوٍ

— فإذا لم تزد روح ولم تنقص في روحانيتها المجردة عن  
غيرها ، فهي ليست أكثر ولا أقل انسجاماً منها ؟  
— تماماً

— وعلى ذلك فليس فيها من الانسجام أو التنافر مقدار  
أكثر أو أقل ؟

— ليس فيها ذلك

— ولما كان ما فيها من الانسجام أو التنافر ليس أقل  
ولا أكثر فلا يكون لروح من الرذيلة أو الفضيلة أكثر مما يكون

لغيرها ، على فرض أن الرذيلة تنافرت ، وأن الفضيلة انسجام ؟

— إنها لا تكون أكثر من غيرها أبداً

— ولأن توخينا باسميأس في حديثنا دقة أكثر ، فلن

يكون لروح أية رذيلة ، إن كانت الروح انسجاماً ، لأنه ما دام

الانسجام مطلقاً فهو لا يساهم في غير المنسجم ؟

— لا

— وعلى ذلك فلا تقع رذيلة من روح هي روح مطلقة ؟

— كيف يمكن ، وفاقاً لما سبق من حديث ، أن تقع

منها الرذيلة ؟

— وبناء على هذا إذن تكون أرواح الحيوانات جميعاً

سواء في الخير ، ما دامت كلها متساوية ومطلقة في روحانيتها ؟

فقال : إني موافقك يا سقراط

فقال : وهل يمكن في ظنك أن يصدق كل هذا ؟ أنسلم

بهذه النتائج كلها — وهي مع ذلك ناتجة فيما يظهر من الزعم بأن

الروح انسجام ؟

فقال : كلا ولا ريب

قال : وأيضاً ، أي عنصر بين الأشياء البشرية تراه

مسيطرًا ، سوى الروح ، والروح الحكيمة بنوع خاص ؟ أترى  
بينها مثل ذلك العنصر ؟

— حقاً إنى لا أرى

— وهل الروح على اتفاق مع رغبات الجسد ، أم هى وإياها  
فى خلاف ؟ فثلاً عند ما يكون الجسد ظمآن ساخناً ، أفلا تصدف  
الروح بناعن الشرب ؟ وعند ما يحس الجسد جوعاً ، أفلا تصدفنا  
عن الأكل ! وذلك واحد فقط من عشرة آلاف من أمثلة  
التضاد بين الروح وبين أشياء الجسد

— جد صحيح

— ولكن سبق منا اعتراف بأن الروح مادامت انسجاماً ،  
فلا يمكنها أن تنطق بإشارة لا تتفق مع الأوتار التى تألفت هى  
منها ، من حيث حالات التوتر والاسترخاء والتوج وسائر المؤثرات ،  
إنها تتبعها فقط ، ولا تستطيع أن تقودها ؟

فقال : نعم ؛ إنا اعترفنا بذلك يقيناً

— ومع ذلك فلسنا نرى الآن أف الروح تفعل الضد  
تماماً — فهى تقود العناصر التى يظن أنها تتألف منها ، وهى  
فى معظم الأحوال تعارضها وتقهرها طيلة الحياة بكل ما أمكنها  
من سبل

وقد تكون معها أحياناً أشد عنفاً بأن ترغها على آلام الأدوية والألعاب ، ثم قد تعود فتكون وإياها أرق وداعة ، وهي في ذلك تتهدد بل وتزجر الشهوات والعواطف والخاوف . كأنما هي بذلك تتحدث إلى شيء غير نفسها ، كما يصور لنا هوميروس أوديسيوس في الأوديسة بهذه الكلمات :

لقد ضرب على صدره لكي يؤنب قلبه :

« يا قلبُ صبراً ، فيا طالما احتملت أسوأ من ذلك شراً »  
أفتظن هوميروس ، قد تأثر حين سطر هذا ، بالفكرة القائلة إن الروح انسجام ، وإن رغبات الجسد قبيحة أن تسوقها ، وإنه لم يكن يرى أنها هي التي بطبيعتها تسيطر على تلك الرغبات وتقودها ، وإنها أمعن في الألوهية من أي انسجام ؟

— نعم يا سقراط ، إنني موافق جداً على ذلك

— إذن فلن نصيب يا صاح في قولنا إن الروح انسجام ، لأن في ذلك تناقضاً ظاهراً مع هوميروس الإلهي كما أنه متناقض وإيانا فقال : حقاً

قال سقراط : كفى يا سيبليس حديثاً عن هارمونيا<sup>(١)</sup> ؛

(١) Harmonia إلهة في طيبة ، ويظهر أن لفظة harmony

الأفرنجية ومعناها الانسجام قد اشتقت منها

المهتكم الطيبة ، فما أحسبها قد أغلظت معنا الصنيع ، ولكن ماذا أقول لكادموس الطيبى ، وكيف أسترضيه ؟

. قال سيبيس : أظنك واجداً سبيلا إلى استرضائه ، فلست أرتاب في أنك رددت حديث الانسجام بطريقة لم أكن أتوقعها قط . فقد أيقنت حينما تقدم سمياس باعتراضه أن ليس إلى إجابته من سبيل ، فأدهشنى لذلك أن أرى قوله يخور فلا يشبت أمام جمعتك الأولى ، وليس بعيداً أن يلاقى الآخر ، الذى تدعوه كادموس ، مصيراً كهذا المصير

فقال سقراط : لا يا صديقى العزيز ، فما ينبغى أن نُزهِى خشاة أن تنطلق من عين خبيثة هذه الكلمة التى أوشك أن أنطق بها ، فلنا أن ندع الأمر بين أيدي من هم فى علينا ، حتى أذنو ، على طريقة هومر ، فأختبر ما يتوقد فى عبارتك من حماسة ، وخلاصة اعتراضك باختصار هى ما يأتى : إنك تريد أن يقام لك الدليل على أن الروح باقية خالدة ، وتظن أن الفيلسوف الذى يطعن إلى الموت إنما يركن إلى طمأنينة فارغة حمقاء ، إذا هو ظن أنه سيكون فى العالم الأدنى أوفر جزاء ممن سلك فى حياته سبيلا أخرى ، ما لم يستطع أن يدلل على ذلك ، وأنت تزعم أن إثبات ما للروح من قوة وألوهية ، وإثبات وجودها السابق لوجودنا



في هيئة البشر ، لا يقتضى بالضرورة خلودها . فإذا سلمنا بأن الروح قد عمرت طويلا ، وأنها في حالتها الأولى علمت وعملت شيئا كثيرا ، فليس هذا الاعتبار دليلا على خلودها ، وقد يكون حلولا في الصورة البشرية ضربا من الموت الذى هو ابتداء الانحلال ، وقد تنتهى آخر الأمر إلى ما يسمى بالموت ، بعد أن تفرغ من عناء الحياة . وسواء أكانت الروح تحل في الجسد مرة واحدة فقط أم مرات عدة ، فذلك ، كما قد تقول ، لا يخفف من مخاوف الأفراد شيئا ، فليس يخلو إنسان من الشعور الطبيعي ، فإن لم يكن لديه عن خلود الروح علم وبرهان حق له أن يخاف . ذلك ما أحسبك قائله يا سيبيس ، وهو ما أعيده عامداً ، حتى لا يفلت منا شيء منه ، ولكى تستطيع إن شئت أن تضيف إليه أو تحذف منه شيئا

فقال سيبيس : ولكنى ، فيما أرى الآن ، لا أجد ما أضيفه أو ما أحذفه . إنك عبرت عما أريد

فسكت سقراط هنيهة ، وبدأ عليه كأنما غاص في تأمله ، وأخيراً قال : إن هذا المبحث الذى أثرته يا سيبيس لندو خطر عظيم ، فهو يتضمن موضوع الكون والفساد برمته ، وذلك ما أود ، إن شئتم ، أن أقدم لكم فيه خبرتى . فخذوها إن رأيتم

فما أقول شيئاً يعين على حل إشكالكم

فقال سيبيس : لشد ما أرغب في أن أنصت لما تقول

قال سقراط : إذن فهناك حديثي يا سيبيس : لقد كنت في صباى شديد الرغبة في معرفة ما يسمى بالعلم الطبيعي من أبواب الفلسفة . فقد ظننت أن له أعراضاً سامية ، إذ هو العلم الذى يبحث في علل الأشياء ، فينبئنا لماذا وجد الشيء ، وفيه خلقه وفناؤه ، وكنت لا أنى أقلق نفسى بالنظر في مسائل كهذه : هل يرجع نمو الحيوان إلى فساد يحمىء به عاملاً الحر والبرد كما يقول بعض الناس<sup>(١)</sup> ؟ أيكون العنصر الذى تفكر به هو الدم أم الهواء أم النار ؟ أم قد لا يكون شيئاً من هذا القبيل ؟ — فربما كان المخ هو القوة التى تبتدع أحاسيس السمع والبصر والشم ، وقد تنشأ عن هذه الأحاسيس الذاكرة والرأى ؛ وعلى الذاكرة والرأى قد يبنى العلم ، ولكن إذا وقفت فيهما الحركة وأدركهما السكون ؛ وبعدئذ مضيت أختبر فساد الأحاسيس ، وأتناول بالبحث أشياء الأرض والسماء ، واستخلصت أخيراً أتى عاجز كل العجز عن هذه المباحث ، وعلى ذلك سأقيم لك الدليل قاطعاً

(١) هذا رأى قديم يعلل الحياة في الكائنات الحية بتأثير الحرارة والبرودة في معادن خاصة

فقد فُتنتُ بها إلى درجة عميت معها عيناى أن ترى الأشياء  
التي كنت أحسبني ، ومحسبني الناس ، عالما بها علم اليقين ؛  
وقد أنسيت ما كنت ظننته من قبل بديها لا يحتاج إلى دليل ،  
وهو أن نموَّ الإنسان نتيجة الأكل والشرب ، لأنه بهضم الطعام  
يجتمع لحم إلى لحم وعظم إلى عظم ، وحيثما تجمعت عناصر متجانسة  
كبر الجرم الضئيل ، وعظم الإنسان الصغير . ألم يكن ذلك  
رأيا معقولا ؟

قال سيبيس : نعم أظن ذلك

— حسنا ، دعني أنبئك شيئا آخر ، فقد مر بي زمن كنت  
فيه أحسب أنى أفهم معنى الأكبر والأصغر فهما جيدا ، فإذا  
أبصرت رجلا ضعفا واقفا إلى جانب رجل ضئيل ، توهمت أن  
أحدهما أطول من الآخر قيد رأس ، أو أن حصانا كان يلوح لى  
أنه أكبر من حصان آخر ، بل أوضح من ذلك أننى كنت فيما  
يظهر أحسب العشرة تزيد على الثمانية باثنين ، وأن ذراعين  
أكبر من ذراع واحدة ، لأن الاثنين ضعف الواحد

قال سيبيس : وماذا أنت اليوم قائل فى مثل هذه الأمور ؟  
فأجاب : كان ينبغي أن أناى بنفسى بعيداً عن توهم أننى  
أعلم لأىها سبباً ؛ حقا كان ذلك ينبغي ، فاست أستطيع أن أقنع

نفسى بأننا لو أضفنا واحداً إلى واحد صار الواحد الذى جاءته  
 الإضافة اثنين ، أو أن الوجدتين مضافتين معاً تساويان بسبب  
 الإضافة اثنين ، فليست بمسيع كيف أنه إذا انفصلت إحداها  
 عن الأخرى كانت واحداً لا اثنين ، ثم إذا تلاقيا ، فقد يكون  
 مجرد التقارب بينهما سبباً فى أن تصبحا اثنتين : هذا وليست  
 أفهم كيف تكون قسمة الواحد سبيلاً للحصول على اثنين ،  
 لأنه عندئذ تكون النتيجة الواحدة ناتجة من سبيين متباينين —  
 فى المثال الأول نشأ اثنان من جمع واحد إلى واحد وتقاربهما ،  
 وفى الثانى كان السبب هو انفصال واحد عن واحد وطرحه  
 منه <sup>(١)</sup> . وليست مقتنعاً بعد ذلك بأننى أفهم لماذا يتولد الواحد ،  
 أو أى شيء آخر ، ولماذا يزول ، بل ولماذا يكون إطلاقاً . إننى  
 لن أسلم بهذا قط وإنى لأتمثل فى ذهنى فكرة مهوشة عن طريقة  
 أخرى

ثم استمعت إلى رجل كان عنده كتاب أنا كسجوراس ،  
 كما قال : وطالع فيه أن العقل هو المصرف والعلّة لسكل شيء ،  
 ولشد ما اغتبطت لذكر هذا الذى كان باعناً على الإعجاب . وقلت

(١) يعنى أننا يمكن أن نقسم الواحد نصفين فيكون لنا بذلك اثنان .  
 كذلك يمكن أن نضم واحداً إلى واحد فيكون لنا بذلك اثنان أيضاً . فكان  
 الاثنين تنتج عن علتين مختلفتين

لنفسى : إذا كان العقل هو المسير فإنه سيسير بكل شيء إلى الصورة المثلى ؛ ويضع كل شيء أحسن موضع ؛ وزعمت أن من يرغب من الناس فى استكشاف علة تولد أى شيء أو زواله أو وجوده ؛ فعليه أن يرى كيف تكون الصورة المثلى لذلك الشيء من حيث وجوده وسعيه وعمله ؛ لذلك كان لازماً على المرء ألا يضع نصب عينيه إلا الحالة المثلى بالنسبة إلى نفسه وإلى الناس ثم عليه بعد ذلك أن يعلم الأسوأ أيضاً ؛ فالأمثل والأسوأ يحويهما علم واحد . وسررتى ما ظننت أنى واجد فى أناكسجوراس من يعلمنى ما وددت أن أعلم من أسباب الوجود ؛ وخيل لى أنه منبئى أول الأمر عن الأرض أمسطحة هى أم كرية ، وأنه باسط لى بعد ذلك علة هذا وضرورته وأنه معلمى طبيعة الأمثل ومظهر لى أن الأمثل إنما هو هذا <sup>(١)</sup> ، فإن زعم أن الأرض قائمة فى المركز شرح كيف أن هذا هو الوضع الأمثل ، وكنت سأقتنع به لو بين لى ذلك ، وما كنت لأقتضيه غير ذلك سبباً ، وحسبت أننى قد ألتبس به بعد ذلك فأسأله عن الشمس والقمر والنجوم ،

---

(١) أى أنه اعتقد أنه سيجد فى نظرية أناكسجوراس البراهين الكافية على أن الكون فى صورة مثلى ، فسقراط لا يطلب تعليلاً لظواهر الكون لأن هو اعتقد بحق أنها فى أوضاع مثالية ، فتلك عنده غاية تكفى وحدها أن تكون هدفاً أقصى

فيشرح لي سرعتها المقارنة ، ونكوسها ومختلف حالاتها ، وكيف أنها تتجه بميولها المتعددة ، القابلة منها والفاعلة نحو الأمثل دائماً ، وما كنت أتصور أنه إذا ما تحدث عن العقل باعتباره مصرفاً لها ، يعلل وجودها على هيئتها الراهنة بغير علة أن هذه هي الصورة المثلى ، وظننت أنه بعد أن يفرغ من الشرح المفصل لعلّة كل منها وعلتها جميعاً ، سيمضى يبين لي الحالة المثلى لكل منها ولها جميعاً . لقد تناولت الكتب متلهفاً لأعلم أمر الأمثل والأسوأ ، فتلوتها مسرعاً ما استطعت إلى السرعة سبيلاً ، وقد رجوت آمالاً لم أكن لأبيعها بكثير

ما أبعد ما رجوت من أمل ، وما أسوأ ما عدت به من فشل ! فما مضيت حتى ألفت فيلسوفى قد نبذ العقل نبذاً كما نبذ كل ما سواه من أسس الاتساق ، وانتكس إلى الهواء والأثير والماء وما إليها من شوارد الآراء ، فكان عندي أشبه برجل أصرّ باديّ ذى بدء أن العقل هو علة أفعال سقراط بصفة عامة ، فلما أراد أن يبيّن بالتفصيل أسباب أفعالي العديدة ، أخذ يبرهن أنني أجلس ها هنا لأن جسمى مصنوع من عظام وعضلات ، وأن العظام كما كان ينتظر أن يقول : صلبة تفصل بينها أربطة ، وأن العضلات مرنة وهي تغطي العظام التي يحتويها كذلك غشاء

أو محيط من اللحم والجلد . ولما كانت العظام مشدودة إلى مفاصلها لقبض العضلات وبسطها ، كان في استطاعتي أن أتى أطراف بدنى ، وهذا علة جلوسى هاهنا فى وضع منحن . إنه كان سيزعم هذا ، وكان سيشرح بمثل هذا كلامى إليكم ، فقد كان سيعزوه إلى الصوت والهواء والسمع ، وكان سيدكر من هذا النوع من الأسباب عشرة آلاف سوى ما ذكر ، ناسياً أن يشير إلى السبب الحقيقى وهو أن الاثنين قد رأوا فى إدانتى صواباً ، فرأيت أنا بناء على ذلك أن الأفضل والأصوب هو مقامى هاهنا محتملاً ما حكم على به ، فأرجح الظن عندى أن عظامى وعضلاتى هذه كانت تود لوفرت إلى ميغارا أو بوتيا Beotia — وإنى لأقسم بالكلب أنها تود ذلك ، إذا لم يكن يسيرها إلا فكرتها هى عن الأحسن ، وإذا لم أكن أنا قد آثرت أن أحتمل كل عقوبة تقضى بها الدولة ، على اعتبار أن ذلك أفضل وأشرف مسلماً ، بدل أن أمثل دور الآبق فالوذ بالفرار . لاشك أن فى هذا كله خلطاً عجيباً بين الأسباب والحالات . وقد يمكن القول حقاً إتنى لا أستطيع تحقيق غاياتى بغير العظام والعضلات وسائر أجزاء الجسد ، أما القول بأننى أفعل ما أفعل من أجلها ، وأن فعل العقل إنما يكون على هذا النحو ولا يكون

باختيار الأحسن ، فذلك ضرب من القول العاثر العقيم : وإني لأستغرب ألا يستطيع الناس أن يفرقوا بين السبب والحالة ، وهو ما يخطئ الدهاء فيه وفي تسميته دائماً ، لأنهم يتخطون في الظلام ؛ وهكذا ترى واحداً من الناس يقترض دوامة من الماء تحيط بالأرض التي تتركز في موضعها بفعل السماء ، وترى آخر يذهب إلى أن الهواء عماد الأرض ، وأن الأرض في شكل الحوض الفسيح<sup>(١)</sup> ، ولا تسبخ عقولهم قط وجود أية قوة تسير بهم إذ تصرفهم نحو الأحسن ، وهم لا يتخيلون أن في ذلك قوة فوق القوة البشرية ، وإنما هم يتوقعون أن يجدوا للعالم عماداً آخر أقوى من الخير وأكثراً منه دواماً وشمولاً ، وهم بغير شك يرون أن قوة الخير القسرية الشاملة هي كل شيء ، ولكنني مع ذلك أتمنى أن يكون هذا هو المبدأ الذي أتعلمه إن وجد من يعلمنيه ، ولما كنت قد فشلت أن أستكشف بنفسى أو بإرشاد غيري من الناس طبيعة الأمثال ، فسأعرض عليكم إذا شئتم طريقة البحث في العلة التي وجدتها تتلو الأمثال في المثالية<sup>(٢)</sup>

(١) ينهك سقراط بهذا القول على أصحاب المذاهب الفلسفية الأولى الذين كانوا يطلون الكون بالماء تارة وبالهواء طوراً ، دون أن يتفقدوا بفهمهم إلى ما وراء المادة من قوة مدبرة

(٢) أصدق تحليل للكون عند سقراط هو معرفة الشكل التالي أو الكمال الذي تنشده ظواهر الكون ، فبه نستطيع أن نلعل كل شيء =



أجاب : لشد ما أحب أن أصنى إلى ذلك  
فضى سقراط : ظننت أنى ما دمت قد فشلت فى تأمل  
الوجود الحقيقى فينبغى أن أحرص على عين روحى فلا أفقدها  
كما قد يؤذى الناس عيونهم الجثمانية بشهود الشمس والنظر إليها  
أثناء الكسوف ، ما لم يتحوطوا فلا ينظرون إلا إلى الصورة  
المنعكسة على الماء أو ما يشبه الماء من وسيط ؛ حدث لى ذلك  
فخفت أن تصاب روحى بالعمى الشامل إذا أنا نظرت إلى الأشياء  
بعينى أو حاولت أن أفهمها بوساطة الحواس ، وفكرت أنه  
يحسن بى أن أعود إلى المثل فأبحث فيها عن حقيقة الوجود ،  
وإنى لأعترف بنقص هذا التشبيه<sup>(١)</sup> — لأتى بعيد جدا عن  
التسليم بأن من يتأمل صور الوجود بوساطة المثل يراها « معتمة  
خلال منظار » دون من ينظر إليها وهى فى نشاطها وبين نتائجها ،

---

= وكان يمتنى أن يجد بين الناس من يعلمه طبيعة ذلك الكمال ولكنه  
لم يوفق ؛ لذلك يريد أن يعرض على سامعيه علة تعجىء فى المرتبة بعد الكمال  
مباشرة

(١) يقول إنه إذا أراد أن يبحث فى علة الكون فلن يتوجه بفكره  
وخواسه نحو ظواهر الكون نفسها ، خشاة أن يبهره وهجها فتصاب  
العين البصرة من نفسه بالعمى ، كما يحدث للعين الجثمانية فيمن ينظر إلى  
الشمس نفسها دون أن يلتصق صورتها على صفحة الماء ، ولكنه سيبحث  
فى عالم المثل بفكره ، والمثل فى الواقع صورة من الكون ، أو الكون  
صورة منها على الأصح

ومهما يكن من أمر فهذه سبيلي التي سلكتها : فرضت بادي' الأمر مبدأ زعمت أنه أمئن المبادئ ، ثم أخذت أثبت صحة كل شيء يبدو متفقاً مع ذلك المبدأ ، سواء أكان ينتمى إلى السبب أو إلى أى شيء آخر ، واعتبرت كل ما يتنافر وإياه غير صحيح ، ولكنى أحب أن أوضح بالشرح ما أغنى ، فإحسبكم تفهمون ما أريد

فأجاب سيديس : كلا ، حقاً إنا لم نفهم جيداً  
قال : ليس فيما أوشك أن أنبئكم به من جديد ، فهو ما ظلت أكرره أينما حلت ، فيما سبق من نقاش ، وفي ظروف غيره سلفت ، فثمة علة قد ملكت على خواطرى ، أريد أن أبسط لكم طبيعتها ، ولا مندوحة لى عن العودة إلى تلك الألفاظ المألوفة التى يلوکها كل إنسان ، فأزعم قبل كل شيء أن ثم جمالا مطلقاً وخيراً مطلقاً وكبراً مطلقاً وما إلى ذلك . سلم معى بهذا ولعلى أستطيع أن أدلك على طبيعة العلة ، وأن أقيم لك الدليل على خلود الروح

فقال سيديس : نستطيع أن تمضى من فورك فى برهانك ، فلست أتردد فى أن أسلم لك بهذا  
فقال : حسناً ، إذن فأحب أن أعلم هل تتفق معى فى الخطوة

التالية ، وتلك أنه لو كان هنالك شيء جميل غير الجمال المطلق لما شككت في استحالة أن يكون ذلك الشيء جميلاً إلا بمقدار مساهمته في الجمال المطلق — وإني أقرر هذا عن كل شيء . أنت موافق على هذا الرأي في العلة ؟

فقال : نعم أوافقك

ففضى قائلاً : لست أعلم شيئاً ولا أستطيع أن أفهم شيئاً عن أى سبب آخر من تلك الأسباب الحكيمة التي يزعمونها ، فإن قال لي أحد إن جمالا ينبعث عن ازدهار اللون أو الشكل أو ما شئت من شيء من هذا القبيل ، لطرحت قوله جملة ، فليس لي منه إلا ربكتي ، ولتشبثت بفكرة واحدة دون غيرها تشبثاً قد يكون على شيء من الحق ، ولكنني من صوابها على يقين ، وهي أنه لا يجعل الشيء جميلاً إلا وجود الجمال والمساهمة فيه ، مهما تكن سبيل الوصول إلى ذلك ، وكيفية الحصول عليه ، فلست أقطع برأى في الكيفية ، ولكنني أقرر بقوة أن الأشياء الجميلة كلها إنما تكون جميلة بالجمال ، وعندى أن ذلك وحده هو الجواب المعصوم الذي أستطيع أن أدلي به لنفسي أو لأي أحد آخر ، وإني لأتشبث به ، وبقيني أن لن تصيبني الهزيمة قط ، وأنه في مكنتي أن أجيب ، في عصمة من الزلل ، على نفسي أو على أي.

أحد من الناس ، بأن الأشياء الجميلة لا تكون جميلة إلا بالجمال .  
ألست توافق على ذلك ؟

— نعم أوافق

— وبالكبر وحده تصير الأشياء الكبيرة كبيرة فأكبر  
وأكبر ، وبالصغر يصير الصغير صغيراً ؟

— حقا

قلو لاحظ شخص أن ( ١ ) أطول من ( ب ) بمقدار رأس ،  
وأن ( ب ) أصغر من ( ١ ) بمقدار رأس ، فسترفض أن تسلم له بهذا ،  
وستزعم بقوة أنك لا تعنى إلا أن الأكبر أكبر بالكبر ،  
وبسببه ، وأن الأصغر ليس أصغر إلا بالصغر ، وبسببه ، وهكذا  
تجنب نفسك خطر القول بأن الأكبر أكبر أكبر ، وأن الأصغر  
أصغر ، بمقياس الرأس ، الذى هو هو فى كلتا الحالين ، وستجنب  
نفسك كذلك ما فى افتراض أن الرجل الأكبر أكبر بسبب  
لرأس الذى هو صغير ، من سخف فظيع . ألم تكن لتخشى  
ذلك ؟

فقال سيبس ضاحكا : كنت لأخشاه حقا

. وكنت تخشى ، بنفس الطريقة ، أن تقول إن عشرة تزيد  
على ثمانية باثنين ، وبسببها ، ولكنك كنت تقول إنها تزيد

عليها بالعدد ، وبسببه ، أو أن ذراعين يزيدان على ذراع واحد  
بنصف بل هما يزيدان عليه بالكبر — ذلك ما كنت تقوله  
لأن الخطر بذاته موجود في كلتا الحالين

قال : جد صحيح

— ثم ألم تكن لتحذر من التأكيد بأن إضافة واحد إلى  
واحد ، أو قسمة واحد ، هي سبب اثنين ، وكنت لتقسم أمام  
الملا بأنك لا تدري طريقة يجي بها أى شيء إلى الوجود ،  
إلا مشاطرة لجوهره الأصلي ، فينتج أن سبب الاثنين الأوحد  
هو — في حدود ما تعلمه أنت — مشاطرة الاثنينية ، فهذه  
المشاطرة هي طريقة عمل اثنين كما أن مشاطرة الواحد هي طريقة  
عمل الواحد ، وكنت ستقول إنى مُطرح ألغاز القسمة والإضافة  
جانباً — فقد تجيب عنها رؤوس أبلغ من رأسى حكمة ، وما دمت  
كما أنا عديم الخبرة ، أفزع من ظلى كما يذهب المثل ، فلستُ  
أقوى على أن أتناول بالهدم مبدأ ذا أساس مكين . فإن هاجمك  
في ذلك مهاجم ، لم تحفل به ، أو أجبتة حتى ترى إن كانت  
النتائج الناجمة متفقاً بعضها مع بعض أو لا ، فإن طلب إليك بعد  
ذلك أن تتناول هذا المبدأ بالشرح ، مضيت تزعم مبدأ أسمى ،  
فأسمى المبادئ السامية ، حتى تجد لنفسك مكنناً ، ولكنك

لم تكن لتخلط في تدليك بين المبدأ والنتائج ، كما فعل الأرستيون  
 The Eristics على الأقل إذا أردت أن تستكشف الوجود  
 الحقيقي . لا لأن هذا الخلط كان سيئاً لهؤلاء الذين لا يعينهم  
 الأمر إطلاقاً ولا يفكرون فيه ، فلهيهم من الذكاء ما يكفي أن  
 يجعلهم يغتبطون بأنفسهم غبطة عظيمة ، مهما يكن ما تحويه  
 أفكارهم من عناء كبير ، ولكني أعتقد أنك فاعل كما أقول إن  
 كنت فيلسوفاً

قال سميثاس وسيبيس في صوت واحد : إن ما تقوله لحق بالغ  
 — اشكراتس : نعم يا فيدون ، وليس يدهشني منهما هذا  
 التسليم ، فكل إنسان له من الفكر أدنى حدوده ليقرب بما في تدليل  
 سقراط من وضوح عجيب  
 — فيدون : يقيناً يا اشكراتس ، وقد كان ذلك عندئذ  
 إحساس الرفاق جميعاً

— اشكراتس : نعم ، وهو إحساسنا أيضاً ، نحن الذين  
 نصنئ الآن لروايك ولم نكن من الرفاق ، ولكن ما الذي  
 تلا هذا ؟

— فيدون : بعد أن سلخوا بهذا كله ، ووافقوا على وجود  
 المثل ، وعلى مشاركة سائر الأشياء فيها ، تلك الأشياء التي اشتقت

أسمائها من تلك المثل . قال سقراط ما يأتي ؛ إن كنت مصيباً  
فما أتذكر :

— تلك هي طريقتك في الحديث ، ومع ذلك فحين تقول  
إن سمياس أكبر من سقراط وأصغر من فيدون ، ألسنت بذلك  
تصف سمياس بالكبر والصغر معاً ؟

— نعم إنى أفعل ذلك

— ولكنك على رغم هذا تسلم بأن سمياس لا يزيد في  
الحقيقة عن سقراط بسبب أنه سمياس ، كما قد يدل عليه ظاهر  
العبارة ، ولكنه يزيد عليه بسبب ما له من حجم . فليس يزيد  
سمياس على سقراط لأنه سمياس أكثر مما يزيد عليه لأن سقراط  
هو سقراط ؛ إنما سبب الزيادة أن فيه صغراً حينما يقرب إلى كبر  
سمياس ؟

— حقا

— وإذا كان فيدون يربى عليه حجماً ؛ فإيس ذلك لأن  
فيدون هو فيدون ؛ بل سببه أن في فيدون كبراً بالنسبة إلى  
سمياس الذي هو أصغر بالمقارنة ؟

— هذا حق

— وإذا كان فسمياس يقال عنه إنه كبير كما يقال عنه إنه صغير

لأنه في موقف وسط بينهما ، فهو يزيد بكبره على صغر أحدهما ،  
كما أن كبر الآخر يزيد على صغره . ثم أضاف ضاحكا :  
ما أشبهني فيما أقول بكتاب ، ولكني أعتقد أن ما أقوله حق  
فوافق سمياس على هذا

— والسبب في هذا القول مني هو رغبتى في أن تروا معى  
أنه ليس الكبر المطلق وحده هو الذى يستحيل عليه أن يكون  
كبيرا وصغيرا في آن معا ، بل إن ما فينا من كبر ، وكذلك  
ما في الحشرات ، لن يقبل كذلك الصغير بتاتا ، ولن يرضى أن  
يربى عليه ، وسيحدث بدلا من هذا أحد شيئين — إما أن  
الأكبر سيزول أو يتراجع أمام ضده ، وهو الأصغر ، أو أنه  
سيبتلاشى بازدياد الأصغر ، ولكنه لو قبل أو سلم بالصغر فلن يغير  
ذلك منه ، كما أنى لا أزال كما كنت تماما الشخص الصغير بذاته  
مع كونى قد تلقيت الصغير وقبلته حينما قرنت إلى سمياس . فكما  
أنه يستحيل قطعا على مثال الكبير أن يتنازل ليكون أو ليصير  
صغيرا ، كما يستحيل على أى ضد آخر ظل كما هو ، أن يكون  
أو يصير ضد نفسه أبدا ، فهو إما أن يزول أو يمحو أثناء التغير  
أجاب سيبيس . هذا عين ما أرتئيته

فلما أن سمع ذلك أخذ الرفاق ، ولست أذكر على التحقيق



من هو ، قال : بحق السماء ، أليس هذا هو النقيض تماما لما سبق التسليم به — ذلك أن من الأكبر جاء الأصغر ، ومن الأصغر جاء الأكبر ، وأن الأضداد إنما تولدت من أضداد ، فأحسبكم الآن منكرين هذا إنكارا قاطعا

فقال سقراط نحو المتكلم برأسه منصتا ، ثم قال : تعجبني جرأتك في تذكيرنا بهذا ، ولكنك لم تلاحظ أن هنالك اختلافا بين الحالتين ، فقد كنا نتحدث فيما سلف عن الأشياء المتضادة. أما الآن فحديثنا عن الضد في ذاته الذي يستحيل عليه — كما هو مقطوع به — أن يتحول إلى ضد نفسه سواء أكان موجودا فينا أم في الطبيعة . إذن فقد كنا يا صديقي نتحدث عن الأشياء التي تنسب إليها الأضداد ، والتي سميت تبعا لها ، أما الآن فنحن إنما نتكلم عن الأضداد نفسها الموجودة في الأشياء والتي تخلع أسماءها عليها ، فلن تقبل قط هذه الأضداد الذاتية ، فيما نعتقد ، الكون أو صدور بعضها من بعض . وهنا التفت إلى سيبيس وقال : هل أدخل اعتراض صاحبنا شيئا من الحيرة في نفسك يا سيبيس ؟

فأجاب سيبيس : لم أشعر بذلك ، ولكني لا أنكر أني أوشك أن أحس الارتباك

فقال سقراط : إذن فنحن بعد هذا كله متفقون على أن الضد  
لن يكون مضادا لنفسه بأية حال ؟

فأجاب : إننا في هذا على اتفاق تام

— ولكن اسمح لى أن أطلب إليك مرة ثانية أن تنظر  
إلى المسألة من وجهة أخرى ، لتبى إن كنت متفقاً معى : أهناك  
شئ تسميه بالحرارة وشئ آخر تطلق عليه اسم البرودة ؟

— يقينا

— ولكن أهما النار والثلج ذاتهما ؟

— كلا ، بغير شك

— ليست الحرارة هى النار ، ولا البرودة هى الثلج ؟

— لا

— ولكنك لن تتردد فى التسليم بأنه إذ يكون الثلج تحت  
تأثير الحرارة ، كما سبق القول ، فلن يلبثا ثلجا وحرارة ، بل كلما  
ازدادت الحرارة ، تراجع الثلج أو أدركه الفناء  
أجاب : جدد صحيح

— كذلك كلما ازدادت البرودة على النار فإما أن تتراجع  
أو تنفنى وإذا تكون النار تحت تأثير البرودة ، فلن يلبثا ناراً وبرودة ،  
كما كانت الحال من قبل

قال : هذا حق .

— وفي بعض الحالات لا يكون اسم المثال ( Idea ) مقصوراً على المثال ، بل إن لكل شيء آخر حق المشاركة في الاسم ، ما دام موجوداً في صورة المثال ، من غير أن يكون هو المثال ، وسأسوق إليك مثلاً لعل أوضح هذا القول : أليس يطلق دائماً اسم الفردى على العدد الفردى ؟

— جد صحيح

— ولكن هل هذا وحده هو الشيء الذى يسمى بالفردى ؟ أليس ثمة أشياء أخرى لها أسماءها الخاصة بها ، ويطلق عليها رغم ذلك اسم الفردى ، لأنها وإن كانت ليست هى الفردية ذاتها ، غير أنها لا تخلو من الفردية قطعاً ؟ — هذا ما أريد أن أستجيب عنه — أليست الأعداد ، كرقم ثلاثة مثلاً ، من نوع الفردى : وهناك غير هذا كثير من الأمثلة : أليست تقول مثلاً إنه يجوز أن يدعى رقم الثلاثة باسمه الأسمى ، ثم يطلق عليه كذلك اسم الفردى ، وليس الفردى هو الثلاثة ذاتها ؟ وليس يقال هذا عن العدد ثلاثة فقط ، بل إنه جائز أيضاً على خمسة ، وعلى كل الأعداد الفردية الأخرى — كل منها فردى دون أن يكون هو الفردية ؛ وهكذا قل فى اثنين وأربعة وسائر سلسلة الأعداد المتعاقبة ، كل

عدد زوجي دون أن يكون هو الزوجية . هل تسلم بهذا ؟

قال : نعم ، وهل إلى إنكاره من سبيل ؟

— ألقى بالك إذن إلى الغاية التي أنشدها ؛ ليست الأضداد  
المعنوية وحدها هي التي يطرد بعضها بعضاً ، بل كذلك الأشياء  
المجسدة التي وإن لم تكن متضادة في ذاتها إلا أنها تحتوى أضداداً ؛  
وأنا أزمع أن هذه الأشياء أيضاً ترفض المثل (idea) الذي يكون  
مضاداً لما تحتويه في داخلها ، وهي إذا ما تقدم ذلك فاما أن  
تسحب أو تغنى . خذ عدد ثلاثة مثلاً ، أليس يصبر على التلاشي  
أو أى شيء آخر ، أهون عليه من أن يتحول إلى عدد زوجي مع  
بقائه ثلاثة ؟

فقال سيبيس : جد صحيح

قال : ومع ذلك فلا ريب في أن العدد اثنين ليس مضاداً  
للعدد ثلاثة ؟

— إنه لا يضاده

— إذن فليست المثل المتضادة وحدها هي التي يقاوم  
بعضها تقدم بعض ، ولكن ثمة أشياء أخرى تقاوم كذلك  
اقتراب الأضداد ؟

— فقال : هذا جد صحيح

قال : هبنا نحاول تحديد ماهية هذه ( الأشياء ) إن أمكن ذلك

— لا ريب في هذا

— أليست هذه ياسيبس تُرغم الأشياء التي في حوزتها على

أن تتخذ شكل بعض الأضداد فضلا عن شكلها هي ؟

— ماذا تعني ؟

— أعني ، كما كنت أقول الآن توا ، وما ليس بي حاجة

لإعادته إليك ، إن الأشياء التي يملكها العدد ثلاثة ، لا يلزم

فقط أن تكون ثلاثة في عددها ، بل ينبغي كذلك أن تكون فردية

— جد صحيح

— ويستحيل على المثال المضاد أن يعتدى على هذه الفردية

التي انطبع العدد ثلاثة بطابعها ؟

— كلا

— وهو إنما استمد هذا الطابع من عنصر الفردى ؟

— نعم

— والزوجى والفردى ضدان ؟

— حقا

— إذن فمثال العدد الزوجى لن يلحق بثلاثة أبدا ؟

— كلا

— وإذن فليس لثلاثة في الزوجى من نصيب ؟

— كلا .

— إذن فالثلاثي أو العدد ثلاثة غير زوجي ؟

— جد صحيح

لأعد إذن إلى مازعمته من تمييز بين الطبائع التي ليست أضداداً وهي مع ذلك لا تقبل أضداداً ، فكما في هذا المثال ، على الرغم من أن ثلاثة ليست مضادة للزوجي إلا أنها لا تقبل شيئاً من الزوجي أبداً ، ولكنها دائماً تعرض الضد في الجانب الآخر أو كما أن اثنين لا تقبل الفردي ، أو النار البرودة . ومن هذه الأمثلة ( ومنها كثير غير هذا ) ربما استطعت أن تصل إلى نتيجة عامة أنه ليست فقط الأضداد هي التي لا تقبل أضداداً ، بل كذلك لا شيء مما يسوق الضد يقبل ضد ما يسوقه فيما يسوق إليه . واسمح لي هنا أن أخلص ما سبق من قول — فليس في التكرار من ضرر ، لن يقبل العدد خمسة طبيعة الزوجي ، أكثر مما تقبل عشرة ، وهي ضعف الخمسة ، طبيعة الفردي — فللضعف ضد آخر وليس مضاداً للفردي تضاداً دقيقاً ، غير أنه يرفض الفردي إجمالاً . ولن تقبل كذلك أجزاء النسبة ٣ : ٢ فكرة الكل ، وكذلك أي كسريكون فيه نصف ، لا بل والذي

يكون فيه ثلث ، ولو أنها ليست مضادة للكل ، هل تسلم بذلك ؟  
فقال : نعم إني متفق تماماً ، وذهب معك إلى ذلك

قال : أظنني الآن أستطيع أن أبدأ ثانياً ، وإني لأرجوكم  
أن تُدلوإا إلى عن هذا السؤال الذي أوشك أن ألقيه ، بجواب  
غير الجواب القديم للأمون ، وسأقدم لكم لما أريد مثالا ،  
وعسى أن تجدوا أساساً آخر فيما قيل الساعة توا يكون مأموناً  
كذلك ، أعنى أنه لو ساء لكم أحد : « ما هو الشيء الذي يجعل  
الجسم حاراً بحلولة فيه ؟ » فستجيبون أنه ليس الحرارة ( وهذا  
ما أدعوه بالجواب المأمون ) ، ولكنه النار ، وهو جواب يفضل  
ذلك كثيراً ، ونحن الآن مهيأون للادلاء به . أو لو ساء لكم أحد :  
« لماذا يعتل الجسد ؟ » فلن تقولوا من المرض بل من الحمى ،  
وفي مكان القول بأن الفردية هي سبب الأعداد الفردية ستقولون  
إن الجوهر الفرد هو سببها . وهكذا في الأشياء بصفة عامة .  
أحسب أنك ستفهم ذلك فهماً جيداً بغير أن أسوق إليك  
أمثلة أخرى ؟

— فقال : نعم إني أفهم ما تقول فهما جيداً

— حدثني إذن ما هو الشيء الذي يجعل الجسم حيا

بحلولة فيه ؟

فأجاب : هو الروح

— أهذه هى الحال دائماً ؟

فقال : نعم ؛ بالطبع

— إذن فهما يكن ما تملكه الروح ؛ فإنها إذ تأتيه تحمل

إليه الحياة ؟

— نعم ؛ يقيناً

— وهل ثمة ضد للحياة ؟

فقال : نعم هناك

— وما هو ذاك ؟

— الموت

— إذن فلن تقبل الروح أبداً ، كما اعترفنا ، ضد ذلك الذى

تسوقه . ثم قال : والآن ؛ بماذا سمينا ذلك المبدأ الذى يقاوم

الزوجي ؟

— الفردى

— والمبدأ الذى يقاوم الموسيقى\* أو العادل ؟

فقال : غير الموسيقى\* وغير العادل

— وبماذا نسمى ذلك المبدأ الذى لا يقبل الموت

فقال : الخالد

— وهل تقبل الروح الموت ؟



— كلا

— إذن فالروح خالدة ؟

فقال : نعم

— أيجب لنا القول بأن ذلك قد ثبت بالدليل ؟

فأجاب : نعم يا سقراط ، لقد ثبت بأدلة كثيرة

— وإذا فرضنا أن الفردى لا يخضع للفناء ؛ أليس يلزم أن

ثلاثة غير قابلة للفناء ؟

— طبعاً

— وإذا كان الشيء البارد غير قابل للفناء ؛ ثم جاء العنصر

الدافئ يهاجم الثلج ؛ أفلا ينبغي للثلج أن يتراجع متماسكاً متجمداً

لأنه عندئذ يستحيل عليه أن يفنى كما كان يستحيل عليه أن يبقى

مع قبوله للحرارة ؟

فقال : حقاً

— وكذلك لو كان العنصر الذى لا يبعث البرودة ؛ أى

الدافئ ، مستعصياً على الفناء ؛ لما فنيت النار وما انطفأت حين

تُغير عليها البرودة ، ولكنها تنأى بغير أن تتأثر ؟

فقال : يقيناً

— ويمكن أن يقال هذا القول نفسه عن الخالد : لو كان

الخالد مستعصياً كذلك على الفناء ، لاستحال فناء الروح حين

يهاجها الموت ، إذ يدل البرهان السابق على أن الروح لن تكون قط ميتة ، فلن تقبل الموت أكثر مما تقبل ثلاثة أو العدد الفردى والزجى ، أو النار ، أو الحرارة التى فى النار ، البرودة ، ومع ذلك قرب أحد يقول : « ولكن على الرغم من أن الفردى لن يصير زوجيا حين يقترب الزوجى منه ، فلماذا لا يجوز أن يفنى الفردى وأن يحل مكانه الزوجى ؟ » ونحن لا نستطيع أن نجيب من يتقدم بهذا الاعتراض بأن العنصر الفردى مستعص على الفناء لأن ذلك لم يعترف به بعد ، فلو قد اعترف بهذا لما أشكل علينا الزعم بأن العنصر الفردى والعدد ثلاثة يهمان بالرحيل حين يقترب الزوجى ، وهذا البرهان بعينه كان يصح عن النار وعن الحرارة وعن أى شىء آخر

— جد صحيح

— ويجوز هذا القول نفسه عن الخالد : لو كان الخالد مستعصيا كذلك على الفناء ، إذن لكانت الروح مستعصية على الفناء كالخالد سواء بسواء ، فان لم يكن ، وجب أن يقام برهان آخر على استحالة فنائها

فقال : ليس بنا من حاجة إلى برهان آخر ، إذ لو كان الخالد — وهو سرمدى — عرضة للفناء ، للزم ألا يستحيل الفناء على شىء

فأجاب سقراط : نعم ، فكل الناس مسلمون بأن الفناء  
مستحيل على الله وعلى صورة الحياة الروحية وعلى الخالد  
بصفة عامة

قال : نعم ، كل الناس بذلك مسلمون — هذا صحيح ،  
وأكثر من هذا ، فهم مجمعون — إن لم أكن مخطئا — على  
أن الآلهة كالناس فى ذلك

— وإذن فما دمنّا قد رأينا أن الخالد لا يناله التخریب ،  
أفلا يلزم أن تكون الروح مستعصية على الفناء كذلك — مادامت  
خالدة ؟

— بكل تأكيد

— إذن فحين يهاجم الموت إنسانا ، فقد يتعرض الجزء  
الفانى منه للموت ، أما الخالد فينأى عن طريق الموت حيث يحفظ  
مصونا سليما ؟

— حقا

— إذن يا سيبيس فالروح خالدة بغير شك ، هى مستعصية  
على الفناء ، وستحيا أرواحنا حقا فى عالم آخر !

فقال سيبيس : إني مقتنع يا سقراط ، وليس لدى بعد ذلك  
ما أعترض عليه . فإن كان عند صديقى سمياس ، أو عند أحد

سواه اعتراض آخر ، فيجعل به ألا يلتزم الصمت وأن يعلنه .  
 اللهم إن كان لديه شيء يريد أن يدلي به ، أو كان يود لو أدلى  
 به ، فلست أرى أن سيحجود عليه الدهر بأنسب من هذه اللحظة  
 حتى يجوز له أن يرجئ إليه الحديث .

فأجاب سمياس : ولكن ليس عندي ما أقوله بعد ذلك ،  
 بل لست أرى مجالا للشك ، إلا ما ينشأ حتما عن ضخامة الموضوع  
 وضعف الإنسان ، فذلك ما لم يسعني إلا أن أشعر به

فأجاب سقراط : نعم يا سمياس فقد أحسنت قولاً : أضف  
 إلى ذلك أن المبادئ الأولى يجب أن تبسط للبحث الدقيق حتى  
 وإن كانت تبدو يقينا ، فإذا ما استوثقنا منها وثوقا مرضيا ،  
 استطعنا بعدئذ ، فيما أظن ، في شيء من الإيمان المزعزع بالعقل  
 البشري ، أن نتبع مجرى البرهان ، فإن ألفيناه واضحا لم يكن بنا  
 بعد ذلك حاجة لسؤال

فقال : ذلك صحيح

قال : أما إن كانت الروح يا أصدقائي خالدة حقا ، فما أوجب  
 العناية بها ، ليس في حدود هذه الفترة من الزمن التي تسعى  
 بالحياة وكفى ، بل في حدود الأبدية ! وما أهول الخطر الذي  
 ينجم عن إهمالها بناء على هذه الوجهة من النظر . لو كان الموت

خاتمة كل شيء ، وكانت صفقة الأشقياء في الموت راجحة ، لأنهم سيفتبطون بخلصهم ، لا من أجسادهم فحسب ، بل من شرهم ومن أرواحهم معاً . أما وقد اتضح في جلاء أن الروح خالدة ، فليس من الشر نجاة أو خلاص إلا بالحصول على الفضيلة السامية والحكمة العليا ، لأن الروح لا تستصحب معها شيئاً في ارتقائها إلى العالم الأدنى ، اللهم إلا التهذيب والتثقيف ، الذين يقال عنهما بحق إنهما ينفعان الراحل أكبر النفع أو يؤذيانه أكبر الأذى ، إذا ما بدأ حِجَّتَه إلى العالم الآخر

فبعد الموت ، كما يقولون ، يقود كل امرئ شيطانه<sup>(١)</sup> الذي كان تابعاً له في الحياة ، إلى مكان معين يتلاقى فيه الموتي جميعاً للحساب ، ومن ثم يأخذون سماتهم نحو العالم الأدنى ، يقودهم دليل نيظت به قيادتهم من هذا العالم إلى العالم الآخر ، فإذا ما لقوا هناك جزاءهم ولبثوا أجلهم ، رجع بهم ثانية بعد ذكر الدهور المتعاقبة دليل آخر ، وليست هذه الرحلة للعالم الآخر ، كما يقول اسكيلوس Aeschylus في «التلفوس» Telephus ، طريقاً واحدة مستقيمة ، وإلا لما احتاج الأمر إلى دليل ، فلم يكن أحد ليضل

(١) في الأصل Genius ومعناها روح طيبة أو خبيثة تسيطر على الانسان وتعمل عليه بكل أعماله منذ ولادته حتى يأتيه الأجل

في طريق واحدة ، ولكن الطريق كثيرة الشعب والحنايا ،  
وإني لأستنتج ذلك مما يُقدَّم إلى آلهة العالم الأدنى من الشعائر  
والقرايين ، في أمكنة من الأرض تتلاقى عندها سبل ثلاث .  
فالروح الحكيمة المنظمة تكون عالمة بموقفها وتسير في سبيلها على  
هدى ، أما الروح الراغبة في الجسد ، والتي لبثت أمداً طويلاً  
— كما سبق لي القول — ترفرف حول الهيكل الذي لا حياة  
فيه ، وحول عالم الرؤية ، فيحملها شيطانها الملزم لها في عنف  
وعسر ، وبعد عراك متصل وعناء كثير ، حتى تبلغ ذلك المكان  
الذي تجتمع فيه سائر الأرواح . فإن كانت روحاً دنسة ، خبيثة  
الصنيع بأن انغمست في الفتك المنكر ، وفي أخوات الفتك من  
الجرائم الأخرى ، وتلوثت بهذه السلسلة من الآثام — فإن كل  
إنسان يفرُّ من تلك الروح وينصرف عنها ، فلن يكون أحدها  
رفيقاً أو دليلاً ، بل تظل تجبّط وحدها في أرذل الشر ، حتى  
ينقضى أجل معلوم ، فإذا ما انقضى ذاك الأجل ، حُلت خانعة إلى  
مستقرها الملائم ؛ كذلك لكل روح طاهرة مستقيمة ، مضت  
في حياتها مرافقة للآلهة مترسمة خطوم ، مقامها الخاص  
هذا وإن في الأرض لربوعاً مختلفة عجيبية ، تختلف في حقيقة  
أمرها — كما أعتقد معتمداً على رأى ثقةٍ لن أذكر اسمه — تمام

الاختلاف عن آراء الجغرافيين من حيث طبيعتها ومداها  
 فقال سميّاس : ماذا تعنى يا سقراط ؟ لقد سمعت للأرض أوصافاً  
 كثيرة ولست أدرى مع أيها تذهب ، وأحب أن أعلم ذلك  
 فأجاب سقراط : حسناً يا سميّاس ، لا أظن أن حكاية تروى  
 تستلزم لروايتها فن جلوكس Glaucus ، ولست أرى أن فن  
 جلوكس مستطیع أن یقیم الدلیل علی صدق حکایتی ، الّتی أنا  
 عاجز تمام العجز عن إثباتها بالدلیل ، وحتى لو استطعت ذلك ،  
 لخشيت يا سميّاس أن أختتم حياتی قبل أن یکمل الدلیل ، ومع  
 ذلك فقد أستطیع أن أصف لك صورة الأرض وربوعها كما  
 أتصورها !

قال سميّاس : حسبي منك ذلك  
 قال : حسناً ، إذن فيقيني أن الأرض جسم مستدير ، هو  
 من السموات في مركزها . لهذا لم يكن بها حاجة إلى الهواء  
 أو ما إلى الهواء من قوة أخرى ، ليكون لها عماداً ، بل هي قائمة  
 هنالك ، تحول موازنة السماء المحيطة بها ، وتوازنها هي نفسها ،  
 بينها وبين السقوط أو الانحراف في أية ناحية ، ذلك لأن الشيء  
 الذى يكون في مركز شيء آخر منتشر انتشاراً متوازناً ، ويكون  
 هو نفسه متزاناً ، لن ينحرف بأية درجة في أى اتجاه ، بل سيظل

ملازماً لحالة بعينها دون أن يحيد . ذلك هو أول رأى لى

فقال سمياس : وهو بغير شك رأى صحيح

— كذلك أعتقد أن الأرض فسيحة جدا ؛ وأتأنا ، نحن الذين نقيم في المنطقة التي تمتد من نهر فاسيس Phasis إلى أعمدة هرقليس Pillars of Heracles ، بمحاذاة البحر ، إنما نشبه النمل أو الضفادع احتشدت حول مستنقع ؛ فلسنا نأهل إلا جزءاً ضئيلاً ، وأعتقد أن كثيراً من الناس يقيمون في أمكنة كثيرة كهذه . فلا بد من القول بأن هنالك فجوات في أنحاء الأرض جميعاً ؛ مختلفاً أشكالها وحجومها ، يتجمع فيها الماء والضباب والهواء ؛ وأن الأرض الحقيقية أرض نقية نقيم في السماء النقية حيث سائر النجوم — تلك هي السماء التي يجري عنها الحديث عادة بأنها أثير ؛ وليس الأثير منها إلا إرساباً يتجمع في فجواتها وأما نحن الذين نقيم في هذه الفجوات ؛ فنظن مخدوعين بأننا إنما نقيم على سطح الأرض ، كما يخيل للسكان الذي في قاع البحر بأنه على سطح الماء ، وبأن البحر هو السماء التي يرى خلالها الشمس وسائر النجوم — فهو لم يطفُ على سطح الماء قط لوهره وفتوره ؛ ولم يرفع رأسه ليرى ، ولا سمع دهره ممن شهد تلك المنطقة الثانية ، وهي أشد نقاء وجمالا من منطقتنا . والآن ، فتلك



حالتنا تماماً . فنحن مقيمون من الأرض في فجوة ، ونخيل لأنفسنا أننا على السطح ، ونطلق على الهواء اسم السماء ثم نتوهم أن النجوم سابحة في تلك السماء . ولكن ذلك أيضا يرجع لما بنا من ضعف وفقر ، فهما اللذان يحولان بيننا وبين الصعود إلى سطح الهواء : فلو استطاع إنسان أن يبلغ الحد الخارجى . أو أن يستعير جناحى طائر ليطير بهما صعودا فيكون كالسمكة التى تطل برأسها لتشهد هذا العالم ، إذن لرأى عالما قاصيا ، ولاعترف الإنسان إذا ما شحذت طبيعته من بصره ، بأن ذلك هو مكان السماء الحق والضوء الحق والنجوم الحق ، لأن هذه التربة وهذه الصخور بل وكل هذه المنطقة التى تحيط بنا قد فسدت وتأكلت كما يتأكل ما فى البحر من أشياء بفعل الماء الأجاج . فيندر فى البحر أن ينمو شيء نموا رقيقا كاملا ، فكل ما فيه شقوق ورمال وحماة لانهاية لها من الطين . لا بل يجوز أن تقرر البر بما فى ذلك العالم من مناظرهى أروع فى جمالها ، فالعالم الآخر أسمى بدرجة عظيمة جداً . والآن أستطيع أن أقص عليك يا سمياس حكاية رائعة عن تلك الأرض العليا التى تحت السماء ، وهى جد جديرة بالإنصات

فأجاب سمياس : ونحن يا سقراط يسرنا أن نصفى

قال : الحكاية يا صديقى هى كما يأتى : فأولا إذا نظرت إلى الأرض من أعلى رأيته تشبه إحدى هذه الكور التى تكسوها أغشية من الجلد فى اثنتى عشرة قطعة ، وهى مختلفة الألوان ، فليس ما يستخدمه المصورون فى هذه الدنيا من الألوان إلا مثال منها ، أما هنالك فالأرض كلها مصبوعة بها ، وهى أشد لمعانا ونصاعة من ألواننا ، ثم أرجوانى عجيب الرونق ، و ثم ذهب يتألق والأبيض فى أرضها أنصع من كل ثلج أو طباشير . تلك الأرض مصبوعة بهذه الألوان وغيرها ، وهى أكثر عددا وأروع جمالا مما وقعت عليه عين الإنسان ، والفجوات نفسها (التي كنت أتحدث عنها) يغمرها الهواء والماء ، فتراها كالضوء الوامض بين سائر الألوان ، وبها لون خاص بها يخلع على تباين ما فى الأرض نوعا من التآلف ، وكل شئ مما ينمو فى هذه المنطقة الجميلة — أشجارا وأزهارا وفاكهة — أجمل — بنفس الدرجة — من أضرابه هنا ؛ و ثم تلال ، صخورها أشد صقلا ، وأكثر شفافية ، وأجمل لونا — بنفس الدرجة — مما تغلو بقدره عندنا من زمرد وعقيق ويصب سائر الجواهر التى إن هى إلا نثرات منها ضئيلة ، فالأحجار كلها هنالك كأحجارنا الكريمة ، بل أروع منها جمالا ؛ و علة ذلك أنها نقية ، وأنها لم تفسدها ولم

تَبْرِهَا العناصر المُلحَة الفاسدة ، كما فعلت بأحجارنا الكريمة ،  
تلك العناصر التي خثرت عندنا فتولد منها الدنس والمرض في  
التراب وفي الصخور على السواء ، كما تولدنا في الحيوان والنبات ،  
تلك هي جواهر الأرض العليا ، وفيها كذلك يسطع الذهب  
والفضة وما إليهما ، وليست تلك الجواهر بخافية عن العين ،  
وهي كبيرة وكثيرة ، وتوجد في مناطق الأرض جميعاً ، فطوبى  
لمن يراها . ويعيش فوق الأرض ناس وحيوان ، منهم من  
يستوطن اقليماً داخلياً ، ومنهم من يسكن حول الهواء ؛ كما نسكن  
نحن حول البحر ، ومنهم من يعيش في بلد يتاخم القارة ، ويهب  
حوله الهواء . وجملة القول إنهم يستخدمون الهواء كما نستخدم  
نحن الماء والبحر ، وللأثير عندهم ما للهواء عندنا ؛ هذا وحرارة  
فصولهم هي بحيث لا يعرفون معها مرضاً ، فيَعْمَرُونَ أطول بكثير  
مما نَعْمَرُ نحن ، ولهم بصر وسمع وشم ، وسائر الحواس كلها ، وهي  
أعظم كمالاً من حواسنا بنفس الدرجة التي بها الهواء أنقى من  
الماء ، أو الأثير أصفى من الهواء . كذلك لهم معابد وأماكن  
مقدسة فيها يقيم الآلهة حقاً ، فهم يسمعون أصواتهم ويتلقون  
إجاباتهم ، وهم يشعرون بهم ويدبرون بينهم وبين أنفسهم أطراف  
الحديث ، وهم يرون الشمس والقمر والنجوم كما هي في حقيقة

أمرها ، وعلى هذا النحو كل ما هم فيه من أسباب النعيم تلك هي طبيعة الأرض كلها ، وما حول الأرض من أشياء ، وفي الفجوات التي على ظهر الأرض أصقاع متباينة ، بعضها أعمق وأوسع من فجوتنا التي نقيم فيها ، وأخرى أعمق وأضيق فوهة منها ، وبعضها أوسع وأقل عمقاً ، وتربطها جميعاً ببعض ثقوب عدة وممرات عريضة وضيقة في باطن الأرض . وهناك يتدفق فيها ومنها — كما يتدفق في الأحواض — تيار عظيم من الماء ، وثم مجار ضخمة لأنهار تحت الأرض لا ينقطع جريانها ، وينابيع حارة وباردة ، ونار عظيمة ، وأنهار كبيرة من النار ، ومجار من طين سائل ، منها الرفيع والسميك ( كأنهار الطين في صقلية وما يتبعها من مجارى الحم ) فتغمر المناطق التي تتدفق حولها . وهناك في باطن الأرض نوع من الذبذبة يحرك هذا كله إلى أعلى وإلى أسفل ؛ والحركة الآن في هذا الاتجاه ، وبين الفجوات هوة هي أوسعها جميعاً ؛ تنفذ خلال الأرض كلها ؛ وهي التي وصفها هوميروس بهذه الكلمات :

« إن أغور عمق تحت الأرض جد سحيق »

وقد أطلق عليها في مواضع أخرى اسم جهنم ، وكذلك فعل كثير غيره من الشعراء . وسبب الذبذبة هو تلك الأنهر التي

تندفق في هذه الهوة ومنها ، ولكل منها طبيعة التربة التي تجري فيها ، وإنما كانت تلك الأنهار دأمة التدفق دخولا في الهوة وخروجاً منها لأن عنصر الماء ليس له قاع ولا مستقر ، وهو يهيج ويهتز صعوداً وهبوطاً ، وهكذا تفعل الرياح والهواء المحيطان به ، إذ هما يتبعان الماء في صعوده وهبوطه وفي اندفاعه فوق الأرض هنا وهناك ، مثل ذلك مثل الشهيق والزفير لا ينقطعان حين تتنفس الهواء ، وباهتزاز الرياح تبعاً للماء دخولاً وخروجاً نشأت عنها العواصف المروعة القاصفة : فإذا ما تراجعت المياه مندفعة إلى الأجزاء السفلى من الأرض — كما تسمى — انسكبت في تلك المناطق خلال الأرض وغمرتها ، كما يحدث إذا تحركت مضخة الماء الحركة الثانية ، فإذا ما خلفت تلك المناطق وراءها وكرت إلى هنا مندفعة ، فإنها تملأ ما هنا من فجوات مرة أخرى ، حتى إذا امتلأت هذه ، فاضت تحت الأرض في قنوات لتلتصق سبيلها إلى أمكنتها العديدة ؛ فتكوّن بذلك البحار والبحيرات والأنهار والينابيع ، ومن ثم تفور في الأرض ثانية ، فيدور بعضها دورة طويلة في أراض فسيحة ، ويذهب بعضها إلى أمكنة قليلة وإلى المواضع القريبة ، ثم تهبط مرة أخرى إلى جهنم ، فيبلغ بعضها حدّاً دون ما كان ارتفع إليه بمقدار كبير ،

ولا يهبط بعضها الآخر دون ذلك الحد هبوطاً كثيراً ، لكنها جميعاً تكون أوطأ من نقطة الانبثاق إلى حد ما ، ثم ينهمر بعضها ثانياً في الجانب المقابل ، وينهمر بعضها الآخر في الجانب نفسه ، ويدور بعضه حول الأرض في ثنية واحدة أو في عدة ثنايا تشبه حنايا الثعبان ، وتنزل ما استطاعت النزول ، ولكنها دائماً تعود فتصب في البحيرة ، أما الأنهار التي على كلا الجانبين فلا تستطيع النزول إلى أبعد من المركز ، لأن في الجانب المقابل لهذه الأنهار هاوية

فهذه الأنهار عديدة وقوية ومنوعة ، منها أربعة رئيسية أعظمها وأقصاها نحو الخارج هو ذلك المسمى بالأقيانوس oceanus الذي يجري في دائرة حول الأرض ، ويسير في الاتجاه المضاد له نهر أشيرون Acheron الذي يجري تحت الأرض في ربوع جدداء حتى يصب في بحيرة أشيروزيا Acherusian Lake : هذه هي البحيرة التي تذهب إلى شواطئها أرواح الدهاء حين يدركهم الموت ، حيث يلبثون أجلاً مضروباً ، يكون طويلاً لبعضها قصيراً لبعضها الآخر ، ثم تعود ثانياً لتحل في جسوم الحيوان . وينبع النهر الثالث فيما بين ذينك النهرين ، وهو يصب على مقربة من منبعه في منطقة شاسعة من النار ، حيث يكون بحيرة

أوسع من البحر الأبيض المتوسط ، يغلى فيها الماء والطين ، ثم يخرج منها عكراً مليئاً بالوحل ، فيدور حول الأرض حتى يبلغ فيما يبلغ من مواضع أطراف بحيرة أشيروزيا ، ولكنه لا يختلط بمائها ، وبعد أن يتحوى في عدة ثنايا حول الأرض ، يفوص إلى جهنم أدنى مما كان مستوى . هذا هو نهر بيرفليجثون Pyriphlegethon — كما يسمى — الذى يقذف في كل مكان بفوارات من النار . ويخرج النهر الرابع في الجهة المقابلة ، ويسقط أول ما يسقط في منطقة همجية متوحشة ، تصطبغ كلها باللون الأزرق القاتم الذى يشبه حجر اللازورد ، وهذا النهر هو ما يسمى نهر ستيجيا Stygian River وهو يصب في بحيرة ستكس Styx التى يكوّنها ، وبعد أن يصب في البحيرة ويستمد لمائه قوى عجيبة ، يجرى تحت الأرض ، دائراً حولها في اتجاه يصاد نهر بيرفليجثون ، ويلتقى به في بحيرة أشيروزيا من الجهة المقابلة ، ولا يختلط ماء هذا النهر أيضاً بغيره ، بل يجرى في دائرة ويتدفق في جهنم ، مقابلاً لنهر بيرفليجثون ويسمى هذا النهر كوكيتوس Cocytus كما يقول الشاعر

تلك هى طبيعة العالم الآخر ، فلا يكاد الموتى يصلون إلى حيث تحملهم شياطينهم وحداناً حتى يقضى في أمرهم بآدى

ذى بدء إن كانوا أنفقوا الحياة فى الخير والتقوى أم لا ، فن ظهر  
منهم أن حياتهم لم تكن لا إلى الخير ولا إلى الشر ، فإنهم يذهبون  
إلى نهر أشيرون ، ويركبون ما يصادفونه من وسائل النقل ،  
فيحملون فيها إلى البحيرة حيث يقيمون ويطهرون من أوزارهم ،  
ويعانون جزاء ما أساءوا به للناس من أخطاء ، ثم يُغتفر لهم وينالون  
جزاء وفاقاً بما قدمت أيديهم من خير . أما أولئك الذين لا يرجي  
لهم إصلاح ، فيما يظهر ، لفداحة ما أجزموا ، أولئك الذين  
أتوا من الآثام المنكرة شيئاً كثيراً ، كتنديس المعابد ، وإزهاق  
الأنفس إزهاقاً خبيثاً عنيفاً أو ما أشبه ذلك — أولئك يلقى بهم  
فى جهنم لا يخرجون منها أبداً ، فهى لهم أنسب مصير . أما هؤلاء  
الذين أجزموا إجراماً لا يجلب عن العفو على هوله — أولئك الذين  
قسوا على والد أو والدته مثلاً وهم فى سورة من الغضب ثم أخذهم الندم  
مدى ما بقى من حياتهم ، أو الذين قتلوا نفساً مدفوعين بظروف  
تخفف من جرمهم — هؤلاء يلقون فى جهنم ولزام عليهم أن  
يصلوا عذابها حولاً ، وفى نهايته تقذف بهم الموجة : أما قاتل  
النفس فتقذف به إلى مجرى نهر كوكيتس ، وأما قتلة الآباء  
والأمهات فإلى نهر بيرفليجيثون — فيحملون إلى بحيرة أشيروزيا  
حيث يرفعون عقائرهم صائحين بضحاياهم القتل ، أو بمن نالتهم



منهم إساءة ، عسى أن تأخذهم بهم رحمة فيقبلوهم ويسمحوا لهم بالخروج من النهر إلى البحيرة . فإن نالهم الرحمة من أولئك ، خرجوا ونجوا من عذابهم ، وإن لم يرحمهم حلوا إلى جهنم مرة أخرى ، ومنها إلى الأنهار ، وهكذا دواليك حتى يظفروا من أساؤا إليهم بالرافة ، فهكذا قضى عليهم قضاتهم . أما من امتازت حياتهم بالقوى ، فأولئك يطلق سراحهم من هذا السجن الأرضي ، فينطلقون إلى عليين حيث يقيمون في مقامهم الطاهر ويعيشون على تلك الأرض وهي أنقى ؛ وأما أولئك الذين طهروا أنفسهم حقاً بالفلسفة فهم يعيشون منذ الآن متحللين من أجسادهم في منازل أجمل من تلك ، يعجز عنها الوصف ويضيق الوقت أن أحدثكم عنها

إذن يا سمياس ، وقد رأيت هذه الأشياء كلها ، فما ذا ينبغي لنا ألا نفعله لكي نظفر بالفضيلة والحكمة في هذه الحياة ؟ ألا إن الجزء الجليل . والأمل لعظيم

لست أريد أن أقطع بصدق الوصف الذي قدمته عن الروح ومنازلها — فما ينبغي لرجل ذى فطنة أن يقطع بهذا ، ولكنه في رأي حقيق وقد اتضح خلود الروح أن يجازف بالظن ، لا خاطئاً فيه ولا عابثاً ، أن يكون الصواب شيئاً كهذا ، وإنه منه لظن

عظيم ، ولا بد له أن يسرى عن نفسه بمثل هذه الكلمات ، فن  
أجلها أطلت حكايته ، ولهذا أوصيكم ألا يأخذ أحد على روحه  
الأسى ، مادام قد طرح زينة الجسد ولذائذه ، واعتبرها غريبة  
عنه ، بل هي أدنى إلى إيذائه بما تجر وراءها من أثر ، وما دام  
في هذه الحياة قد تعقب لذة المعرفة ، إلا أن أولئك الذين يزينون  
أرواحهم بلآئها الصحيحة ، وهي : الاعتدال والعدل والشجاعة  
والنبل والحق — أولئك تكون أرواحهم ، إذا ما زينت بتلك  
الآلى ، مهياة للرحيل إلى العالم الأدنى حين يدركها الموت ، فأنتم  
أى سمياس وسيبيس ، وياسائر الرجال ، سترحلون فى وقت  
قريب أو بعيد . أما أنا ، فها هو ذا ينادىنى صوت القدر على حد  
قول شاعر المأساة ، ولا بد أن أخرج السم عما قريب ، ويجمل بى  
فيما أظن أن أذهب أولاً إلى الحمام حتى لا يشق على الناس غسل  
جسمانى بعد موتى

فلما أن فرغ من الحديث قال أقريطون : أعندك ما تشير  
علينا به يا سقراط ؟ ألدبك ما تقوله عن أطفالك ، أو عن أى  
شئ آخر نستطيع أن نعينك فى أمره ؟

فقال : ليس عندى شئ بعينه : غير أنى أحب لكم ، كما  
كنت أحدثكم دائماً ، أن تعنوا بأنفسكم ، فذلك فضل

تستطيعون أن تواصلوا أداءه لى ، ولدوىّ ولنا جميعاً . ولا ينبغي  
لكم أن تكونوا أدياء فيما تقولون ، لأنكم لو جهلتم أنفسكم  
وصدّقتُم عما أوصيتكم به ، وليست هذه أول مرة أوصيكم فيها ،  
فلن تجدى عليكم حماسة الادعاء شيئاً

قال أقريطون : سنبدل جهدنا ، ولكن كيف تريدنا أن  
نواريك الثرى ؟

على أى وجه تشاؤون ، غير أنه لا بد لكم أن تمسكوا بى ،  
وأن تحذروا فلا ألوذ منكم بالفرار . ثم التفت إلينا وأضاف باسمه :  
لا أستطيع أن أقنع أقريطون أننى سقراط ذاته الذى كان يتحدث  
ويوجه الحوار ، فهو يحسبنى سقراط الآخر الذى سيشهد به بعد  
حين جثة هامدة — وهو يسأل : ماذا عسى دفنى أن يكون ؟  
مع أنى قد أفضت فى الحديث محاولاً إقامة الدليل على أنى مُخلفكم  
حين أجمع السم ، حيث أتوجه إلى لذائذ أصحاب النعيم —  
ويظهر أنه لم يكن لحديثى هذا الذى سرّيت به عن أنفسكم وعن  
نفسى ، أثر فى أقريطون ، لذلك أريدكم أن تكونوا لى الآن  
عنده كفلاء ، كما كان هو كفيل عند المحاكمة : على أن يختلف  
وعدكم عما وعد ، فقد كان كفل للقضاة أنى سأتقى ، ولكن  
عليكم أن تكفلوا له أنى غير باق ، بل لى ظاعن راحل ، فتقل

بهذا لوعته عند موتى ، ولا يُحزَنُه أن يرى جثمانى يحترق أو يُهال عليه التراب . إني لا أحب له أن يتحسر على جدى العاثر ، بأن يرتاع لدننى ؛ فتأخذه الحيرة : على هذا النحو نكفن سقراط ؛ أو هكذا نشيعه إلى القبر أو نواريه التراب . إن الأقوال الباطلة ليست شرّاً فى ذاتها فحسب ؛ بل إنها لتصيب الروح بشرها . لا تحزن إذن . أى عن يزى أقريطون ؛ وقل إنك لا تقبر منى إلا الجنان ؛ فاقبره على النحو الذى جرى به العرف ؛ وكما تفضل أن يكون

ولما فرغ من هذه العبارة ، نهض ودخل غرفة الحمام ، يصحبه أقريطون ، الذى أشار إلينا بأن ننتظر ، فانتظرنا نتحدث ونفكر فى أمر الحوار وفى هول المصاب ، لقد كنا كمن ثكل فى أبيه ، وأوشكنا أن نقضى ما بقى من أيامنا كالأيتام ، فلما تم اغتساله جئنا له بأبنائه — ( وكانوا طفلين صغيرين ويافماً ) كما وفدت نساء أسرته ، فحاذبهن وأوصاهن ببعض نصحه ، على مسمع من أقريطون ، ثم صرفهن وعاد إلينا

ها قد دنت ساعة الغروب ، فقد قضى داخل الحمام وقتاً طويلاً ، وعاد بعد اغتساله فجلس إلينا ، ولكننا لم نُفِضْ فى الحديث وماهى إلا أن جاء السجان ، وهو خادم الأحد عشر ، ووقف

إلى جانبه وقال : لست أتهمك يا سقراط بما عهدته في غيرك من الناس ، من سورة الغضب ، فقد كانوا يثورون ويصبحون في وجهي حينما آمرهم باجتراع السم ، ولم أكن إلا صادعاً بأمر أولى الأمر . أما أنت فقد رأيتك أنبل وأرق وأفضل ممن جاءوا قبلك إلى هذا المكان ، فليس يخامرني شك أنك لن تنقم عليّ ، فليس الذنب ذنبي ، كما تعلم ، إنما هي جريرة سوى . وبعد فوداعاً ، وحاول أن تحتل راضياً ما ليس من وقوعه بد ، وإليك لعليم فيم قدومي إليك . ثم استدار فخرج ، منفجراً بالبكاء .

فظهر إليه سقراط وقال : لك مني جميل بجميل . فسأصدع بما أمرتني به . ثم التفت إلينا وقال ، ياله من فائن ! إنه ما انفك يزورني في السجن ، وكان يحادثني الحين بعد الحين ، ويعاماني بالحسنى ما وسعته . أنظروا إليه الآن كيف يدفعه فضله أن يحزن من أجلى ؛ فلزام علينا يا أقريطون أن نعمل ما يريد . مر أحداً أن يجيء بالقدح إن كان قد تم إعداد السم ، وإلا فقل للخادم أن يهبي شيئاً منه

فقال أقريطون : ولكن الشمس لا تزال ساطعة فوق التلّاع ، وكثير من سبقوك لم يجرعوا السم إلا في ساعة متأخرة بعد انذارهم . إنهم كانوا يأكلون ويشربون وينغمسون في لذائذ الحس

فلا تتعجل إذن ، إذ لا يزال في الوقت متسع  
 فقال سقراط : نعم يا أقریطون ، لقد أصاب من حدثاتي  
 عنهم فيما فعلوا ، لأنهم يحسبون أن وراء التأجيل نفعاً يجهونه ،  
 وإنني كذلك لعلى حق في ألا أفعل كما فعلوا ؛ لأننى لا أظن أنى  
 منتفع من تأخير شراب السم ساعة قصيرة . إننى بذلك إنما  
 أحتفظ وأبقى على حياة قد انقضى أجلها فعلاً ، إنى لو فعلت ذلك  
 سخرت من نفسى . أرجو إذن أن تفعل بما أشرت به ولا تعص  
 أمرى

فلما سمع أقریطون هذا ، أشار إلى الخادم فدخل ، ولم يلبث  
 قليلاً ان عاد يصحبه السجان يحمل قدح السم ، فقال سقراط :  
 أى صديق العزيز ، انك قد مرنت على هذا الأمر ، فارشدنى  
 كيف أبدأ : فأجاب الرجل : لا عليك إلا أن تجول حتى تنقل  
 ساقاك ثم ترقد ، فيسرى السم ، وهنا ناول سقراط القدح فحدق  
 فى الرجل بكل عينيه ، يا أشكراتس ، وأخذ القدح جريئاً وديعاً  
 لم يرع ولم يمتنع لون وجهه . هكذا تناول القدح وقال : ما قولك  
 إذا سكبت هذا القدح لأحد الآلهة ، أفيجوز هذا أم لا يجوز ،  
 فأجاب الرجل من إننا لا ندري يا سقراط إلا بمقدار ما نظنه كافياً  
 فقال : إنى أفيهم بما تقول ، ومع ذلك فيحق لى بل يجب على أن



موت سقراط





أصلى للآلهة أن توقفنى فى رحلتى من هذا العالم إلى العالم الآخر—  
 فلعل الآلهة تهبنى هذا ؟ فهو صلاتى لها . ثم رفع القدح إلى شفثيه  
 وجرع السم حتى الثمالة رابط الجأش مقتبطاً وقد استطاع معظماً  
 أن يكبح جماح حزنه حتى تلك الساعة ، أما وقد رأيناه يشرب  
 السم ، وشهدناه يأتى على الجرعة كلها ، فلم يمد فى قوس الصبر  
 منزع ، وانهمرنى الدمع مدراراً على الرغم منى ، فسترت وجهى  
 وأخذت أندب نفسى ، حقاً لى لم أكن أبكيه بل أبكى خفيعى  
 فيه حين أفقد مثل هذا الرفيق . ولم أكن أول من فعل هذا ،  
 بل إن أقرىطون وقد ألقى نفسه عاجزاً عن حبس عبراته ، نهض  
 وابتعد ، فتبعته ، وهنا انفجر أبولودورس الذى لم ينقطع بكأؤه  
 طول الوقت بصيحة عالية وضعتنا جميعاً موضع الجبناء ؛ ولم يحتفظ  
 بهدونه منا إلا سقراط . فقال : ما هذه الصرخة العجيبة ؟ لقد  
 صرفت النسوة خاصة حتى لا يستن صنيعاً على هذا النحو ؛ فقد  
 خبّرت أنه ينبغى للانسان أن يسلم الروح فى هدوء ، فسكوناً وصبراً  
 فلما سمعنا ذلك ؛ اعترانا الخجل وكفكفنا دموعنا ؛ وأخذ  
 سقراط يتجول حتى بدأت ساقاه تخوران — كما قال — ثم استلقى  
 على ظهره ؛ كما أشير له أن يفعل . وكان الرجل الذى ناوله السم  
 ينظر إلى قدميه وساقيه حيناً بعد حين ؛ ثم ضغط بعد هنيهة على

قدمه بقوة وسأله هل أحس فأجاب أن لا ؛ ثم ضغط على ساقه وهكذا صعد ثم صعد ؛ مشيراً لنا كيف أنه برد وتصلب ؛ ثم لمس مسقراط نفسه ساقيه وقال . ستكون الخاتمة حين يصل السم إلى القلب فلما أخذت البرودة تتمشى في أعلى نخذه كشف عن وجهه ، إذ كان قد دثر نفسه بغطاء ، وقال : ( وكانت هذه آخر كلماته ) إني يا أقریطون مدين بديك لاسكليپوس Asclepius فهل أنت ذا كرا أن ترد هذا الدين ؟ فأجاب أقریطون أنه سيوفى الدين ثم سأله إن كانت لديه رغبة أخرى ولم يكن لهذا السؤال من جواب ؛ وما هي إلا دقيقة أو دقيقتان حتى سُمعت حركة ؛ فكشف عنه الخادم ؛ وكانت عيناه مفتوحتين ؛ فأقبل أقریطون فنه وعينه

هكذا يا أشكراتس قضى صديقنا الذي أدعوه بحق أحكم من قد عرفت من الناس ؛ وأوسعهم عدلاً وأكثرهم فضلاً

